THE LAUGHING JESUS

RELIGIOUS LIES AND GNOSTIC WISDOM



AUTHORS OF THE JESUS MYSTERIES AND JESUS AND THE GODDESS

TIMOTHY FREKE & PETER GANDY

يسوع الضاحك

الأكاذيب الدينية والحكمة الغنوصية

تيم فريك وبيتر غاندي

هذا الكتاب مخصص لجميع
أولئك الذين يحبون أعدائهم

تيمفريك رائد روحي أثرت أعماله في حياة مئات الآلاف من الناس. وهو مؤلف لأكثر من 30 كتاباً، تُرجمت إلى 15 لغة، بما في ذلك كتاب من بين أفضل 6 كتب مبيعًا مفاجئة على موقع أمازون وكتاب العام بحسب صحيفة ديلي تلغراف.

أمضى تيم حياته في استكشاف الروحانية العالمية وهو قادر على توجيه الآخرين إلى تجربة مباشرة لحالة اليقظة. يقدم دورات تدريبية تغير حياة المشاركين، وندوات تجريبية، وأمسيات ترفيهية حول "فلسفة الستاند أب" في جميع أنحاء العالم وعبر الإنترنت.

لمشاهدة مقاطع فيديو مجانية لتيم، تعرف على الأحداث القادمة واشترك في نشرته الإخبارية الملهمة "WAKE UP CALL"، قم بزيارة www.timfreke.com

بيتر غاندي حاصل على درجة الماجستير في الحضارة الكلاسيكية وهو مرجع يحظى باحترام دولي في مجال الأسرار الوثنية القديمة والمسيحية المبكرة.

جدول المحتويات

الجزء الأول

ماء الاستحمام

الفصل الأول الروحانية الغنوصية والدين الحرفي

الحرف يقتل، لكن الروح تبعث الحياة.

بولس، رسالة إلى أهل أفسس [1]

استيقظ! استيقظ من غفلتك الجماعية التي تظنها "حياة حقيقية". انظر إلى ما وراء وهم الانفصال، وأدرك أننا جميعًا في جوهرنا واحد. على الرغم من أننا نبدو أفرادًا منعزلين، إلا أن هناك في الواقع وعيًا واحدًا يحلم بأن يكون كل شخص وكل شيء. هذه هي طبيعتنا الجوهرية المشتركة. السر البسيط للاستمتاع بهذا الحلم الذي نسميه "الحياة" هو أن نستيقظ على الوحدة. لأنك، بمعرفتك أنك واحد مع الكل، ستجد نفسك مغرماً بالكل. ستقع في حب الحياة. هذه هي رسالة المسيحيين الأوائل، الذين رمزوا لهذه الحالة المستيقظة بشخصية "يسوع الضاحك" الغامضة. [2]

هل سبق لك أن رأيت صورة ليسوع وهو يضحك؟ ربما لا، لأننا ورثنا شكلاً مشوهاً من المسيحية أنشأته الكنيسة الرومانية في القرن الرابع، والذي يركز بشكل حصري على يسوع "رجل الأحزان". الصورة التي هيمنت على ثقافتنا هي صورة رجل يتعرض للتعذيب حتى الموت على الصليب. لكن المسيحيين الأوائل لم يروا في يسوع رجلاً تاريخياً "تألم من أجل خطايانا". لقد نظروا إلى يسوع على أنه البطل الأسطوري لقصة تعليمية رمزية، والتي تمثل الرحلة الروحية المؤدية إلى تجربة اليقظة التي أطلقوا عليها اسم "غنوص" أو "المعرفة".

كان المسيحيون الأوائل رجالاً ونساءً ملهمين رأوا كم يمكن أن تكون الحياة جيدة إذا استيقظنا وعشنا في حب. لقد تخيلوا عالماً جديداً لن يكون مقسماً بعد الآن إلى عبيد أو مواطنين، رجال أو نساء، غير يهود أو يهود. لكن عن غير قصد، أدت هذه المجموعة من غير الملتزمين إلى ولادة نظام شمولي سيحكم أوروبا بقبضة حديدية لأكثر من ألف عام. لم تكن النتيجة جنة على الأرض، بل الإمبراطورية الرومانية المقدسة. تحوّل الحلم إلى كابوس.

بذلت الكنيسة الرومانية كل ما في وسعها لقمع تعاليم الغنوص وصورة يسوع الضاحك. لقد نجحت بشكل كبير لدرجة أنه يبدو الآن من الغريب حتى مجرد الإشارة إلى أن المسيحية كانت في الأصل تدور حول الصحوة الروحية. لكن في منتصف القرن العشرين، تم العثور على بعض نصوص المسيحيين الأوائل في كهف بالقرب من نجع حمادي في مصر. في هذه النصوص، تُعلن رسالة الصحوة بصوت عالٍ وواضح.

أولئك الذين أدركوا الغنوص الروحي قد حرروا أنفسهم بالاستيقاظ من الحلم الذي عاشوا فيه وعادوا إلى طبيعتهم. [3]

كيف يمكنك أن تتحمل النوم، بينما تقع على عاتقك مسؤولية اليقظة؟ [4]

أنت نائم وتحلم. استيقظ. [5]

استمع إلى تعاليمي، فهي جيدة وعملية، وتخلص من النوم الذي يثقل كاهلك بشدة. [6]

يقع الناس في العديد من الأوهام الفارغة والخيالات الفارغة، التي تعذبهم كما يعذب النائمون كفريسة للكوابيس. عندما يستيقظون يرون أن كل تلك الأحلام لم تكن شيئاً. هكذا حال أولئك الذين نبذوا الجهل، كما لو كانوا يستيقظون من النوم. لم يعودوا يرون العالم على أنه حقيقي، بل كحلم في الليل. إنهم يقدرون الغنوص كما لو كان الفجر. بينما يعيشون في حالة من الجهل، يبدو الأمر كما لو أن الجميع نائمون. إن تجربة الغنوص تشبه الاستيقاظ. [7]

إن تعاليم الصحوة هذه ليست مسيحية حصراً. على مر التاريخ، استيقظ رجال ونساء من جميع الأديان على الوحدة والمحبة. نستخدم المصطلح الواسع "غنوصي" الذي يعني "العارف" للإشارة إلى جميع هؤلاء الأفراد، لأنه على الرغم من أنهم يعبرون عن رؤاهم بلغات مختلفة من ثقافاتهم المتنوعة، إلا أنهم جميعًا يتحدثون عن تجربة الصحوة أو الغنوص.

غالباً ما ألهم هؤلاء الأفراد ذوو الكاريزما تشكيل مجتمعات صغيرة مكرسة للاستيقاظ الروحي. لكن المفارقة تكمن في أنه كلما زاد نجاح هذه الجماعات، كلما تحولت إلى نقيضها. ما يبدأ كتحالف فضفاض من المفكرين الأحرار غير الملتزمين بالتقاليد يتدهور بمرور الوقت إلى دين منظم واستبدادي، وينتهي الأمر بالناس إلى إساءة فهم الرسالة الأصلية تمامًا. نشير إلى هذا الشكل المنحط من الغنوصية باسم "الحرفية".

يُطلق على الغنوصية أحيانًا اسم "الفلسفة الخالدة" لأنها وُجدت في جميع الثقافات وفي جميع العصور. ليس الأمر أن جميع الغنوصيين يقولون الشيء نفسه تماماً. لا يفعلون ذلك. بل إن تعاليمهم أشبه بأصابع تشير من وجهات نظر مختلفة إلى نفس تجربة الغنوص. لسوء الحظ، يركز معظم الناس على الإصبع ويغفلون عن المغزى. هذا هو التفسير الحرفي للأمور. إن الأديان الحرفية هي نوادي للأشخاص الذين يريدون عبادة إصبع مؤسسهم باعتباره الإصبع الحقيقي الوحيد، لكنهم لا يفهمون تجربة الصحوة التي يشير إليها.

هذا الكتاب بمثابة إدانة قوية للدين الحرفي وتأكيد متحمس للروحانية الغنوصية. لنبدأ بالتمييز بوعي بين الغنوصية والحرفية:

يعلم الغنوصيون أن الشيء المهم هو أن نستيقظ ونعيش الغنوص بأنفسنا.

يُعلّم أصحاب النزعة الحرفية أن الشيء المهم هو الإيمان الأعمى بالعقائد الدينية.

يفسر الغنوصيون تعاليمهم على أنها علامات تشير إلى تجربة اليقظة.

يرى أصحاب النزعة الحرفية تعاليمهم على أنها الحقيقة المطلقة.

يستخدم الغنوصيون الأمثال الرمزية للتعبير عن طريق الاستيقاظ الروحي.

يخطئ أصحاب التفسير الحرفي في اعتبار الأساطير الغنوصية روايات حرفية لأحداث تاريخية خارقة للطبيعة، وينتهي بهم الأمر تائهين في خرافات غير عقلانية.

يعلم الغنوصيون أن جميع الكتب تحتوي على كلمات البشر.

يؤمن أصحاب التفسير الحرفي للنصوص المقدسة بأنها كلمة الله.

يدرك الغنوصيون أن طريقة التعبير عن حكمة اليقظة يجب أن تتطور باستمرار لمعالجة الحالة الإنسانية المتغيرة باستمرار.

يريد أصحاب التفسير الحرفي للنصوص المقدسة مجموعة ثابتة من النصوص المقدسة ذات سلطة مطلقة على مر العصور.

يريد الغنوصيون منا أن نفكر بأنفسنا، حتى نصبح أكثر وعياً ونستيقظ.

يريد المتشددون حرفياً أن نؤمن بما يؤمنون به، حتى ننضم إلى طائفتهم.

يدرك الغنوصيون أن الحياة نفسها هي عملية صحوة.

يعتقد أصحاب التفسير الحرفي أن دينهم الخاص هو السبيل الوحيد إلى الحقيقة، ويدينون كل من يتبعه باعتباره ضائعاً في ضلال شيطاني.

الغنوصية تدور حول الاستيقاظ من وهم الانفصال إلى الوحدة والحب.

إن التفسير الحرفي يبقينا نائمين في عالم "نحن ضدّهم" المليء بالانقسام والصراع، والذي يسكنه "المختارون" و"الملعونون".

الغنوصية توحدنا.

إن التفسير الحرفي للأمور يفرقنا.

على مر التاريخ، كشف الغنوصيون باستمرار عن الدين الحرفي باعتباره مصدراً خبيثاً للجهل والانقسام والمعاناة. لم تكن هذه الرسالة الغنوصية أكثر أهمية من اليوم. إن الديانات الثلاث الكبرى في الغرب - اليهودية والمسيحية والإسلام - تسير في مسار تصادمي يهدد أمن العالم بأسره. إن أخذ الخرافات الدينية حرفياً هو السبب الجذري للمشاكل في الشرق الأوسط التي أدت إلى أحداث 11 سبتمبر ومجموعة من الفظائع الأخرى منذ ذلك الحين. لكن العنف الديني ليس بالأمر الجديد. إن الصراع الحالي ليس إلا استمراراً لتاريخ طويل ومروع من القتل والموت في سبيل الله.

حرق المسيحيين على يد الوثنيين كمشاعل مشتعلة للإضاءة لصيدهم. الانتقام المسيحي الوحشي من الوثنيين. الاضطهاد المستمر لليهود من قبل المسيحيين. التوسع العنيف للإمبراطورية الإسلامية والغزو الدموي للهند. الحروب الصليبية الوحشية التي شنها المسيحيون ضد المسلمين. أهوال محاكم التفتيش. الإبادة الجماعية للشعوب الأصلية في العالم الجديد. حرق الساحرات جماعياً. كان الدافع وراء كل ذلك هو الرغبة في إرضاء الله. تم تبرير كل ذلك بالرجوع إلى النصوص المقدسة التي لم تكتفِ بالتغاضي عن هذا السلوك بل طالبت به. لم تحدث هذه الشرور لأن مرتكبيها كانوا أشخاصاً سيئين، بل لأنهم كانوا واقعين تحت سيطرة أفكار سيئة للغاية.

الطفل وماء الاستحمام

لقد حان الوقت لنقول كفى لهذا الجنون ونلقي بالدين الحرفي في مزبلة التاريخ. لكن يجب أن نكون حذرين من عدم التخلص من الجيد مع الرديء. الدين ليس سيئاً بالكامل. لقد لبّت هذه المعرفة الشوق الإنساني العميق لفهم أسرار الحياة والموت. لقد ألهمت الناس من جميع الثقافات لإنشاء أعمال فنية رائعة، وكاتدرائيات ومعابد مجيدة، وموسيقى وأغاني متسامية. تكمن هذه القوة في جوهرها في الروحانية الغنوصية. نريد في هذا الكتاب أن ننقذ تعاليم الغنوص من تحت ركام العقائد الدينية المتراكمة، حتى نتمكن من التخلص من التفسير الحرفي الديني القديم ولكن مع الحفاظ على الحكمة الخالدة لليقظة وإحيائها.

دعونا نتوقف عن الإيمان الأعمى بالكتب القديمة، ولنستمع بدلاً من ذلك إلى تلك الأصوات الهرطقية التي غرقت في ضجيج صيحات الحرب الحرفية. تخيل للحظة أن ما أخبرنا به الغنوصيون عبر العصور صحيح. قد نبدو منفصلين، لكننا في جوهرنا واحد. إن الوعي الذي لديك هو نفس الوعي الذي لدى الجميع. وإذا أدركت هذا، ستجد نفسك مغرماً بالجميع.

تخيل ما سيحدث لو بدأنا بالفعل في الاستيقاظ والعيش وفقًا لتعاليم الغنوصية عن الوحدة والمحبة. لو بدأنا نحب جيراننا حقاً، وحتى أعداءنا، لأننا ندرك أنهم في الواقع تعبيرات عن ذواتنا الأعمق. لو أدركنا حقيقة أنه لا يوجد يهود ولا مسيحيون ولا مسلمون. لا يوجد شيء اسمه "نحن ضدّهم". لا يوجد سوى نحن. هذه هي الرؤية الغنوصية التي ألهمتنا لكتابة هذا الكتاب.

في الجزء الأول، "ماء الاستحمام"، نقوم بعملية تطهير ديني لطرد سموم التفسير الحرفي من نظامنا. نلقي نظرة فاحصة على الكتب المقدسة المزعومة لليهودية والمسيحية والإسلام، ونوضح أن هذه النصوص بعيدة كل البعد عن كونها إلهية. نوضح أنها لم تُكتب أو تُوحى من الله، بل صنعها البشر. وغالباً ما يكون ذلك على يد أسوأ أنواع الرجال. تنكر السياسيون في زي الكهنة.

في الجزء الثاني، "الطفل"، نقوم بإحياء التعاليم الغنوصية القديمة، باستخدام لغة حديثة خالية من المصطلحات الدينية البالية. نقدم الحكمة الخالدة للاستيقاظ في حلة تناسب القرن الحادي والعشرين، حتى تتمكن من تجربة الغنوص، هنا والآن، وأنت تقرأ هذا الكتاب. نريدكم أن تفهموا المزحة وتفهموا بأنفسكم لماذا يضحك يسوع الغنوصي.

الفصل الثاني التخلص من السموم الدينية

> ينقسم سكان الأرض إلى نوعين. أصحاب العقول، ولكن بلا دين، وأولئك الذين لديهم دين، ولكن ليس لديهم عقول.
>
> أبو العلاء المعري، شاعر إسلامي في القرن العاشر [1]

'الله أكبر'! يُطلق المؤذن نداءً لإيقاظ العالم. يتردد صدى الدعاء في رأسك بينما تهوي الطائرة نحو الأرض. "لا إله إلا الله". يا للنشوة الإلهية للاستسلام النهائي لإرادة الله القدوسة المنتصرة المجيدة! إن "الاستسلام" هو المعنى الحقيقي لكلمة "الإسلام". المسلم الحقيقي هو من أسلم نفسه بالكامل لله. وأي استسلام أكبر يمكن أن يكون هناك من إراقة دم المرء في الجهاد العظيم؟ أن يصبح شهيداً في سبيل محمد صلى الله عليه وسلم! فكرة أخيرة قبل أن ينفجر جحيم الجحيم من حولك. أما الكافرون الذين يستحقون الموت فسوف يغلون في اللهيب، أما أنتم فستتحولون إلى مجد! ضوضاء. صرخات. ألم. تم الأمر. الله أكبر! '

كابوس الدين

كانت أحداث 11 سبتمبر بمثابة جرس إنذار للعالم. [ملاحظة من المترجم، أحداث 11 سبتمبر عملية أمريكية إسرائيلية ألصقت بعملاءهما الأصوليين المسلمين، الذين هم من صنعهم في الشرق الأوسط، المرجع تصفح النت] علينا أن نستيقظ من كابوس الدين. لأنه لم يكن التفسير الحرفي للإسلام وحده هو الذي أدى إلى أهوال أحداث 11 سبتمبر وما أعقبها من فظائع. كما لعب اليهود والمسيحيون الحرفيون دورهم أيضاً. دعونا نلقي نظرة على الجنون الديني الذي أدى إلى أزمة العالم الحالية:

> في الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، قام المتشددون في التفسير الحرفي للشريعة الإسلامية، الذين كانوا يعتقدون أن الله سيكافئهم في الآخرة باثنتين وسبعين عذراء بالإضافة إلى تذاكر دخول مجانية إلى الجنة لجميع أفراد أسرهم، باستشهاد أنفسهم وقتل آلاف الأشخاص الآخرين عن طريق تحطيم طائرات في البرجين التوأمين في نيويورك.
>
> كان هؤلاء الإسلاميون الحرفيون غاضبين من استيلاء اليهود الحرفيين على فلسطين، والذين تنص نصوصهم المقدسة على أن الله قد وهبهم هذه الأرض.
>
> اندلعت الانتفاضة الفلسطينية عندما قام رئيس الوزراء الإسرائيلي بجولة حول المسجد الأقصى في القدس. هذا موقع مقدس لدى المسلمين الذين يتبعون التفسير الحرفي للشريعة الإسلامية، لأن محمدًا توقف هناك ذات ليلة للقاء إبراهيم وموسى وعيسى، أثناء رحلة إلى الجنة على حصان طائر سحري.
>
> دعماً للانتفاضة الفلسطينية، هاجم المتشددون الإسلاميون الولايات المتحدة لأن المسيحيين الحرفيين في أمريكا يدعمون بقوة توسع إسرائيل. يعتقد هؤلاء المسيحيون الحرفيون أنه فقط عندما يعود اليهود إلى "الأرض المقدسة" سيأتي المسيح مرة أخرى ليحدث نهاية العالم، وهو ما يأملون بشدة أن يحدث قريباً.

رداً على الهجوم الوحشي الذي شنه المتشددون الإسلاميون، أعلن الرئيس المسيحي المتشدد لأمريكا، متجاهلاً وصية العهد الجديد بـ "محبة الأعداء" و"إدارة الخد الآخر"، عن "حملة صليبية" لحماية "العالم المتحضر". لقد أرعبوا شعبهم بأفكار عن متطرفين دينيين مجانين مسلحين بأسلحة دمار شامل، هؤلاء المتطرفون الدينيون المجانين الذين كانوا بالفعل مسلحين بأسلحة دمار شامل أطلقوا العنان لـ "الصدمة والرعب" التوراتية.

ورداً على ذلك، بدأ المتشددون في تطبيق الشريعة الإسلامية، متجاهلين نصيحة محمد القائلة "رد الإساءة بالإحسان، لأن عدوك سيصبح صديقك"، بقطع رؤوس الناس على الإنترنت.

ويستمر الأمر على هذا المنوال. ومع ذلك، ففي خضم هذه المهزلة المأساوية التي تمزق العالم، يجد كل هؤلاء الحرفيين الدينيين المختلفين العزاء في شيء رائع يسمح لهم بتحمل دوامة المعاناة التي لا تنتهي. إنهم على يقين تام بأنهم يرضون الله.

إن التمسك الحرفي بالدين هو أكبر تهديد للسلام العالمي في القرن الحادي والعشرين. في جميع بؤر التوتر في العالم - البلقان، الشيشان، قبرص، تيمور الشرقية، كشمير، إندونيسيا، أيرلندا الشمالية، نيجيريا، فلسطين، الفلبين، السودان، الشرق الأوسط - الدين إما هو السبب الجذري للمشكلة أو أحد العوامل الرئيسية المساهمة فيها. في الغرب، يُقال لنا إن الخطر يكمن في "الأصولية الإسلامية"، لكن المشكلة تكمن في الأصولية الدينية بجميع أشكالها. و"الأصولية" ليست سوى اسم جديد للحرفية الدينية المتطرفة التي ابتلينا بها لقرون. إن العنف الذي يحظى بموافقة إلهية والذي يهدد عالمنا اليوم ليس ظاهرة جديدة. لطالما كان الإرهاب الديني هو القاعدة عبر التاريخ.

الدين هو أعظم إنجاز للشيطان

في كتابنا السابق "يسوع والإلهة المفقودة"، خلصنا إلى أن الدين هو أعظم إنجاز للشيطان. لقد كنا نتصرف باستفزاز متعمد، بالطبع، لأننا بالتأكيد لا نعتقد أن هناك كائناً شريراً ضخماً يدير كل هذه الفوضى. لكن وجهة نظرنا كانت جادة. في أساطيرنا الروحية الغربية، يُعتبر الشيطان أو الديابولوس هو المُقسِّم. إنه يرمز إلى كل ما يفرقنا في الصراع ويمنعنا من الاتحاد في الحب. ولا شيء يثير الانقسام بشكل مروع أكثر من الدين الحرفي. إنها الآن، ولطالما كانت، قوة شريرة شيطانية في العالم.

من السهل إلقاء اللوم في الأزمة الحالية على المسلمين المتطرفين ونسيان الفظائع التي ارتكبها الغرب عبر التاريخ باسم المسيحية. دعونا لا ننسى المعاناة التي لا توصف والتي لحقت بالمسلمين واليهود خلال الحروب الصليبية. عندما سقطت القدس في أيدي الصليبيين، قاموا بذبح أكثر من سبعين ألف مسلم في المسجد الأقصى وحده. كما قاموا بحرق آلاف اليهود أحياء في معابدهم. يسجل أحد المؤرخين المسيحيين أن "قواتنا كانت تغلي البالغين في أواني الطبخ وتطعن الأطفال على أسياخ وتأكلهم مشويين". [2]

دعونا نتذكر آلاف الرجال والنساء والأطفال الذين أدينوا بتهمة الهرطقة وأحرقوا أحياءً على يد محاكم التفتيش. دعونا نتذكر في قلوبنا أولئك الذين وُضعوا على كرسي التعذيب، بآليته المصنوعة من الحديد المطاوع لتثبيت الرأس حتى يتمكن المحقق من إزالة لسان أو أسنان الهرطقي بسهولة،

ومقعده المصمم بذكاء والذي سمح بإدخال أدوات التعذيب في شرج أو مهبل الضحية.

دعونا لا ننسى أن الكنيسة الكاثوليكية أنشأت محاكم التفتيش من أجل التطهير العرقي لإسبانيا من مئات الآلاف من المسلمين واليهود، وهو ما فعلته بوحشية لا يمكن تصورها. ثم خططت محاكم التفتيش لإعدام ثلاثة ملايين من سكان هولندا لمجرد أنهم أصبحوا بروتستانت، ولكن لحسن الحظ فشلت هذه الخطة. وصف أحد كتاب ذلك الوقت محاكم التفتيش بأنها "وحش متوحش ذو مظهر مروع لدرجة أن أوروبا بأكملها ترتجف لمجرد ذكر اسمها". [3]

لكن لم تكن أوروبا وحدها التي ارتجفت أمام جلادي محاكم التفتيش المقدسة. عندما انطلق كولومبوس في قاربه الصغير، كانت أشرعته مزينة بصلبان الصليبيين الحمراء. ربما يكون كولومبوس قد اكتشف العالم الجديد، لكن هذا كان مجرد صدفة سعيدة. كان يبحث في الواقع عن طريقة للإبحار حول العالم ومهاجمة الإمبراطورية الإسلامية من الخلف. عندما اكتشف الأمريكتين بدلاً من ذلك، كتب كولومبوس أنه وجد ما يكفي من الذهب لاستعادة القدس. في العالم الجديد، كررت محاكم التفتيش الإسبانية الإبادة الجماعية التي ارتكبتها على نطاق أوسع.

وبفعالية كبيرة في أوروبا. لقي مئات الآلاف، وربما الملايين، من الأمريكيين الأصليين الأبرياء حتفهم في ألم ومعاناة لا يمكن تصورها. أُحرقوا أحياءً أو عُذبوا حتى الموت كشهادة مجيدة على انتصار المسيحية في جميع أنحاء العالم.

فلنتذكر الاضطهاد المتواصل الذي تعرض له اليهود على يد المسيحيين الحرفيين. على مر التاريخ المسيحي، كان اليهود يُحرقون أحياءً بشكل روتيني على يد حشود متعصبة بمباركة كاملة من الكهنة والباباوات. كانت الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثالث عشر هي التي أجبرت اليهود لأول مرة على العيش في الأحياء اليهودية وارتداء شارة صفراء، وهي سياسة كان الفاتيكان لا يزال يطبقها في القرن التاسع عشر. في أوروبا الشرقية، استخدمت محاكم التفتيش الأفران لحرق الهراطقة، الذين كانوا يُدهنون بالشحم ويُشوون أحياء. كل ما تغير في القرن العشرين هو أن العملية أصبحت صناعية.

عندما بدأ الفاشيون والنازيون باضطهاد اليهود من خلال إذلالهم، وحرمانهم من جميع الحقوق، وحشرهم في الأحياء اليهودية، وقتلهم وحرقهم، فإنهم لم يكونوا يفعلون سوى ما فعلته الكنيسة لقرون. عندما قدموا قوانينهم المتعلقة بنقاء العرق، زعموا أنهم كانوا يتبعون فقط خطى أكثر الجماعات الدينية احتراماً في الكاثوليكية، وهم اليسوعيون. أعلن أحد أعضاء المجلس الفاشي الكبير في إيطاليا ما يلي:

> إن معرفة أننا، ككاثوليك، إذا أصبحنا معادين للسامية، فإننا ندين بذلك للتعاليم التي نشرتها الكنيسة على مدى القرون العشرين الماضية، تريح نفوسنا. [4]

دعونا لا ننسى أن قوات الأمن الخاصة النازية التي أبادت اليهود قد نقشت على أبازيم أحزمتها عبارة "الله معنا".

بالنسبة لأولئك الذين لم يبتلوا بجنون التفسير الحرفي للدين، يبدو من المستحيل فهم كيف يمكن

للبشر أن يلحقوا مثل هذه الأهوال ببشر آخرين. لكن بالنسبة لأولئك التعساء الذين وقعوا في قبضة الجنون الديني، تُرى هذه الجرائم المروعة ضد الإنسانية بطريقة مختلفة تمامًا. إنها أعمال صالحة، يطلبها الله ويبررها الكتاب المقدس.

تم تبرير حرق الهراطقة حتى الموت بمقطع في إنجيل يوحنا، والذي ينص على ما يلي:

> إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ.[5]

لقد تم إضفاء الشرعية على اضطهاد اليهود من خلال العهد الجديد، مما يوضح تمامًا أن اليهود كانوا مسؤولين عن قتل المسيح، وأنهم ولدوا من الشيطان وشكلوا مجمعًا للشيطان. [6] تم إضفاء الشرعية على التدمير المخطط له لجميع البروتستانت في أوروبا والقتل الجماعي للسكان الأصليين لأمريكا من خلال العهد القديم، حيث يأمر الله شعبه المختار بذبح كل من يقف في طريقهم الذي رسمه الله لهم. الله يوافق على التطهير العرقي. هذا ما جاء في الكتاب المقدس!

الأصولية

في عام 2000 كتبنا في الفصل الختامي من كتابنا "يسوع والإلهة المفقودة":

> يشعر كل من الأصوليين المسيحيين والمسلمين بالتهديد والضعف، مما يجعلهم متوترين ومنفعلين، وقد يحتاجون إلى اشتباك مبارك إلهياً لتخفيف التوتر. لا يوجد شيء يضاهي الصراع المقدس في حشد الدعم للدين - والأصوليون يعرفون ذلك.

وصل كتابنا إلى رفوف المكتبات في نفس الوقت الذي اصطدمت فيه الطائرات بالبرجين التوأمين. لسنا أنبياء. لقد كان من الواضح بشكل صارخ لسنوات أن الديانات الكبرى في العالم الغربي تسير على مسار تصادمي، لأن هذه المعتقدات أصبحت أصولية بشكل متزايد.

لا يعتبر الأصوليون الإسلاميون أيًا من الدول الإسلامية القائمة إسلامية بما فيه الكفاية، ولا حتى المملكة العربية السعودية، حيث يطالب قانون الشريعة بالبتر لمجرد السرقة، وقطع الرأس علنًا للزنا، ويحكم على مفسدي الدولة بقطع جزئي للرأس يتبعه الصلب. وقد تحالف بعض الأصوليين المسيحيين مع الفاشيين والمتعصبين البيض، ويدعون إلى القتل الجماعي لليهود والسود والمثليين. كان تيموثي مكفاي، المسيحي المتجدد، ينتمي إلى هذا التيار البغيض بشكل خاص من التفسير الحرفي للمسيحية، وحتى أحداث 11 سبتمبر، كان يحمل الرقم القياسي لأكبر عملية تفجير للمدنيين في زمن السلم في أمريكا.

يدين بعض الأصوليين اليهود وجود إسرائيل الحديثة باعتبارها تدنيساً للمقدسات لأنهم يعتقدون أن المسيح وحده هو من يجب أن يؤسس دولة يهودية جديدة. لقد قاموا بعدة محاولات لتفجير المسجد الأقصى في القدس، لأنهم يريدون بناء الهيكل الثالث على أنقاضه. بطلهم هو مستوطن يهودي دخل ضريح إبراهيم أثناء صلاة الجمعة وأطلق النار على المسلمين بمدفع رشاش. قام متشدد يهودي آخر بإطلاق النار على رئيس الوزراء الإسرائيلي لأنه تجرأ على الحديث عن مبادلة بعض الأراضي المقدسة لليهود مقابل السلام مع الفلسطينيين.

إن ما يدفع الأصوليين من جميع الأديان إلى التطرف هو أن لديهم يقيناً مطلقاً بأنهم على صواب وأن كل الآخرين على خطأ. وتأتي ثقتهم المطلقة من حقيقة أنهم يعتقدون أن آراءهم هي آراء الله. الآراء البشرية نسبية، أما آراء الله، بحكم تعريفها، فيجب أن تكون مطلقة. لا جدال مع الله. يجب تطبيق قوانين الله. انتهى النقاش. ولهذا السبب، فإن الأصولية، مثل الفاشية، ليس أمامها سوى الحرب.

المفارقة الكبرى هي أن الأصوليين من مختلف المذاهب يشتركون في الكثير من القواسم المشتركة. إن رؤيتهم للحياة وكيفية عيشها مدفوعة بنفس الاحتياجات والاضطرابات النفسية. ما يكرهونه في الآخر هو إسقاط لما يكرهونه في أنفسهم. لو نشأوا في ثقافة مختلفة لكانوا أصوليين من طائفة أخرى. وقد تجلى هذا الأمر بشكل واضح بعد أحداث 11 سبتمبر، عندما أعلن الأصوليون المسيحيون أن الهجوم على البرجين التوأمين كان عقاباً إلهياً على أمريكا لتسامحها مع الحركة النسوية والمثلية الجنسية. اتضح على الفور أن هؤلاء الذين يطلق عليهم اسم المسيحيين لديهم قواسم مشتركة مع طالبان أكثر مما لديهم مع غالبية الناس المتعاطفين في بلادهم.

أعلن اثنان من أبرز الأصوات في اليمين الديني الأمريكي، وهما المبشران التلفزيونيان جيري فالويل وبات روبرتسون، على الهواء مباشرة أن الله سمح بحدوث أحداث 11 سبتمبر لأنه كان "غاضباً" من أمريكا. أعلن فالويل:

> الوثنيون والمؤيدون للإجهاض والنسويات والمثليون والمثليات... جميعهم الذين حاولوا علمنة أمريكا، أشير إليهم بإصبعي وأقول "لقد ساعدتم في حدوث ذلك".

وفي نهاية حديث فالويل، رد روبرتسون قائلاً: "حسنًا، أنا أوافق تمامًا". [7]

] إذا كنت تتساءل أين كان الله صباح يوم 11 سبتمبر، فأنت الآن تعرف. . كان هناك في تلك الطائرات يساعد المتطرفين الإسلاميين على ارتكاب جرائم قتل جماعي لأنه غاضب من أمريكا لتسامحها الشديد!

يكره الأصوليون العالم الحديث. لكن هذا لا ينبغي أن يفاجئنا. لقد عارض أصحاب النزعة الحرفية التقدم باستمرار. عارضت الكنيسة إلغاء العبودية لأنها مُشرّعة في كل من العهد القديم والعهد الجديد. وقد عارضت إدخال التخدير أثناء الولادة لأن الكتاب المقدس يقول إن النساء مقدر لهن أن يعانين أثناء الولادة. عارضت إدخال التطعيم لأن الأمر متروك لله ليقرر.

من يعيش ومن يموت. اليوم، تدين الكنيسة الكاثوليكية استخدام الواقي الذكري، الأمر الذي أدى إلى إصابة الملايين بمرض الإيدز، وهي عقيدة تسببت في الكثير من المعاناة التي يمكن تجنبها لدرجة أنها يجب أن تصنف كواحدة من أعظم الشرور على مر العصور.

ومع ذلك، فإن الأصوليين ليسوا معارضين لكل ما تقدمه الحداثة. في نهاية المطاف، فإن الأصوليين من جميع المذاهب يسعدون أكثر من أي وقت مضى بتسليح أنفسهم حتى الأسنان بثمرة الحداثة السامة: الأسلحة الفتاكة. ربما كان طالبان يكرهون أجهزة تشغيل الفيديو وأجهزة التسجيل وأجهزة التلفزيون، لكن لم يكن هناك شيء يفضلونه أكثر من خوض المعارك على متن شاحنة

تويوتا صغيرة مسلحة ببندقية كلاشينكوف.

الأصولية الدينية مرض غير عقلاني يدفع الرجال والنساء المحترمين إلى أن يصبحوا أعداءً للانفتاح الفكري وسعة القلب، وينضموا إلى خدمة التعصب الذي يقرّه الله. يخلق التطرف أناساً متزمتين بشكل خطير ينقلبون على أولئك الذين يتبنون القيم الروحية الحقيقية المتمثلة في الحب والتسامح والتفاهم. يكره الأصوليون بشكل خاص أتباع دينهم الذين يقترحون الحوار مع الآخرين. قام أحد الأصوليين الهندوس بقتل موهانداس غاندي. قتل متطرف إسلامي مالكوم إكس. وقتل متطرف مسيحي جون لينون. قتل أحد الأصوليين اليهود إسحاق رابين.

لكن الأصوليين ليسوا مجرد وحوش. غالباً ما تدفعهم قناعاتهم الدينية الراسخة إلى إظهار كرم وعطف كبيرين. لكن هذا يقتصر بشكل صارم "علينا" وليس "عليهم". قبل أن يغتاله الجيش الإسرائيلي، كان الشيخ أحمد ياسين، المقعد على كرسي متحرك، مصدر الإلهام "الروحي" لحماس، وهي جماعة إرهابية/تحريرية فلسطينية (احذف ما يناسب تحيزاتك)، وشخصية تحظى باحترام كبير داخل مجتمعه، وكان مسؤولاً عن إنشاء المدارس والبرامج الاجتماعية. لكنه كان مسؤولاً أيضاً عن قتل أطفال إسرائيليين.

الأصولية هي سوء فهم جوهري للتاريخ والروحانية وطبيعة الواقع، مما يدفع الناس العاديين إلى ارتكاب أعمال مروعة لأسباب دينية. هذه قصة رجل لطيف ومهذب يُدعى أنور شيخ. وهو الآن في السبعينيات من عمره، ويشتهر بكتبه التي تنتقد القرآن. بسبب هذا العمل الشجاع، وُصِمَ بأنه مرتد "يستحق القتل" من قبل الأصوليين الإسلاميين. [8] لكن في عام 1947، خلال تقسيم الهند وباكستان، كان أنور نفسه شابًا إسلاميًا أصوليًا متأثرًا بالحماسة الدينية. وعازماً على إرضاء الله بالانتقام لمقتل إخوانه المسلمين، خرج إلى شوارع لاهور وضرب ثلاثة من السيخ الأبرياء حتى الموت، اثنان منهم بالهراوة والثالث بالمعول. ويكتب:

> كما تعلمون، سيطر علينا جنون في عام 1947. جنون. كنت جزءًا من ذلك. عندما كنت أقتلهم، لم أستطع التفكير إلا في الانتقام. كنت أعلم أنني مقدر لي أن أذهب إلى الجنة الإسلامية، حيث تنتظرني عشرات الحور العين. سبعون عذراء ذوات صدور منتصبة، والله سيمنحني ما يكفي من الرجولة لأربعة وثمانين عاماً. ماذا يمكن أن يرغب شاب أكثر من ذلك؟ كما ترون، لم أكن خائفاً فحسب، بل كنت أتطلع أيضاً إلى ممارسة الجنس بشكل متواصل في الجنة. أنتم لا تصدقوني. أرجوكم صدقوني. صدقت ذلك في ذلك الوقت. كنت صغيراً وسهل التأثر.
>
> ظللت أفكر، كما أفعل الآن، أنني دمرت ثلاث أرواح بريئة. ربما كانوا على قيد الحياة لولا وجودي. لا أعرف حتى من كانوا. وبدأت أفكر. كل هذا حدث بسبب الدين. لم أتوقف قط عن قراءة القرآن. الآن أقرأها بعيون مفتوحة على مصراعيها. في أحد الأيام قرأت شيئاً قرأته مئات المرات من قبل: "يا أيها المؤمنون، لا تمشوا أمام النبي". لا ترفع صوتك فوق صوته، وسألتُ نفسي: لماذا؟ لماذا يرفع الله إنساناً على حساب الآخرين؟ حسناً، بمجرد أن تسأل لماذا، لن تستطيع التوقف أبداً. انكسرت التعويذة.
>
> مهما حدث الآن، سأموت وأنا واثق من معتقداتي الإنسانية والعقلانية، وإذا نجحت

كتاباتي في إبعاد حتى بضع عشرات من الناس عن الكراهية والتعصب الديني، فسأشعر أنني قد كفرت عن ذنوبي جزئياً، على الرغم من أنه لا شيء، لا شيء يمكن أن يعيد ضحاياي الثلاثة إلى الحياة. لا أقلق على نفسي. أشعر بالقلق على الآخرين. انظروا ماذا فعلنا ببعضنا البعض بأيدينا العارية. باستخدام الأسلحة النووية، يمكنهم تدمير كل شيء باسم الدين. ربما يفعلون ذلك، كما تعلم. ربما. [9]

هرمجدون

يجب الاستماع إلى تحذير أنور شيخ الحزين، لأن الأصوليين قد يدمرون العالم بالفعل. يتباهى الأصوليون الإسلاميون في باكستان بأنهم سيسيطرون على الجيش في غضون عشر سنوات، وبالتالي سيتمكنون من قيادة الأسلحة النووية. [10] لكننا لسنا بحاجة إلى انتظار الأصوليين ليضعوا أيديهم على الزر النووي، فقد كان لدينا ذلك لعقود في الولايات المتحدة، حيث يؤمن الأصوليون المسيحيون إيمانًا راسخًا بذلك.

تتمثل مهمتهم الإلهية في التعاون مع خطة الله العظيمة لنهاية العالم، والتي يفسرونها على أنها محرقة نووية قادمة.

قبل أسبوع واحد من إعلان ترشحه للرئاسة عام 1980، قال رونالد ريغان لأحد الصحفيين: "قد نكون الجيل الذي يشهد هرمجدون". قال جيري فالويل لأحد المراسلين إن الرئيس ريغان وافقه الرأي بشأن نبوءات الكتاب المقدس وقال: "جيري، نحن نتجه بسرعة كبيرة نحو هرمجدون الآن". قال وزير الدفاع في عهد ريغان، كاسبار واينبرغر، لطلاب جامعة هارفارد: "لقد قرأت سفر الرؤيا، ونعم، أعتقد أن العالم سينتهي... وكل يوم أعتقد أن الوقت ينفد". [11] في ذلك الوقت، كان واينبرغر رئيسًا لوزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) والمسؤول الثاني عن الأسلحة النووية الأمريكية. إن مثل هذه المعتقدات لدى أولئك الذين يمتلكون مثل هذه القوة الشيطانية تثير احتمالاً مثيراً للقلق بأن يصبح التحذير الكتابي من نهاية العالم نبوءة تحقق ذاتها.

أظهر تقرير حديث أن ما يقرب من أربعة من كل عشرة أمريكيين يعتقدون أن الكتاب المقدس عندما يتنبأ بأن الأرض ستدمر بالنار، فإنه يتنبأ بحرب نووية. [12] لكن، وفقًا لبعض الأصوليين المسيحيين، لا يمكن أن يأتي هذا اليوم المجيد حتى يتم إعادة تأسيس اليهود الذين تشتتوا في جميع أنحاء العالم في مملكة داود في العهد القديم. ثم سيصبح سهل جميل خارج القدس يسمى هرمجدون موقع المعركة الكبرى الأخيرة بين الخير والشر، وسيعود يسوع مرة أخرى ليختتم الأمور.

إن الرغبة في المساعدة على تحقيق النبوءات الكتابية دفعت الأصوليين المسيحيين في الولايات المتحدة إلى تشكيل تحالف غير مقدس مع الأصوليين اليهود الذين يعتزمون إعادة تأسيس مملكة داود الأسطورية. لكن هذا التحالف لا يدوم إلى ما لا نهاية. بالنسبة للمسيحيين الأصوليين، بمجرد إعادة تأسيس مملكة داود، فإن الأخبار ليست جيدة بالنسبة لليهود. عندما تأتي أيام النهاية، لن يصعد إلى السماء إلا المسيحيون (من الطائفة الصحيحة بالطبع). اليهود، مثلنا جميعاً، يجب أن يعتنقوا المسيحية أو يحترقوا.

يتزايد ميل الأصوليين المسيحيين إلى التفكير في نهاية العالم. كتاب "تُركوا خلفهم" هو واحد من

سلسلة كتب تستغل الاعتقاد الأصولي بأننا نتجه نحو "الخلاص". هذه هي اللحظة التي سيُرفع فيها جميع المسيحيين المولودين من جديد من كوكب الأرض إلى السماء. قد يبدو هذا وكأنه حبكة فيلم خيال علمي من الدرجة الثانية، لكن المؤلفين جادون للغاية، وقد باعوا أكثر من ستين مليون نسخة في الولايات المتحدة. على ما تبقى من كوكب الأرض المدمر والمشع، سيقيم "يسوع اللطيف" معسكر تعذيبه المسمى الجحيم. هنا، أولئك منا الذين لم يحالفهم الحظ بما يكفي ليتم "تركهم وراءهم" سيتعرضون للعذاب إلى الأبد. في ضوء ذلك، ليس من المستغرب أن السياسيين الأصوليين المسيحيين لا يرون أي جدوى من التعاون لمنع ظاهرة الاحتباس الحراري. إنهم يعتقدون أن الجو سيصبح أكثر حرارة بكثير مما يتخيله حتى دعاة حماية البيئة!

يبدو من غير المعقول أن يتمكن الناس من الإفلات من مثل هذا الهراء في هذا العصر، خاصة وأن المسيحية تصرخ بأن "النهاية قريبة" منذ ألفي عام ولم يحدث ذلك بعد. يؤكد يسوع لتلاميذه مراراً وتكراراً في الأناجيل أن نهاية العالم ستأتي في حياتهم. لكن ها نحن ذا بعد ألفي عام ولم يحدث أي شيء مما تنبأ به يسوع. [13] إن الاستمرار في الترويج لهذه النبوءة في حين أن يسوع نفسه أخطأ فيها أمر غير منطقي. لكن، في المقابل، لا يحتاج الأصوليون إلى أن تكون الأمور منطقية. لقد تخلوا عن العقلانية طواعيةً لصالح الإيمان الأعمى بالكتب القديمة.

المتعلمون والأمويون والحرفيون

تتجلى الأصولية في العديد من الأشكال المختلفة، ولكن يمكن اختزالها إلى فكرة واحدة بسيطة للغاية. الكتاب المقدس هو كلمة الله المعصومة. وقد صاغ مصطلح "الأصولية" بعد نشر كتاب بعنوان ″الأصول″ من قبل مجموعة من الكهنة الأمريكيين المحافظين في أوائل القرن العشرين. [14] تتمثل الفكرة الأساسية للكتاب في أن كل ما يقوله الكتاب المقدس صحيح وتاريخي وقد حدث حرفياً كما هو موصوف. لا يمكن الإيمان بأي شيء أقل من ذلك مع البقاء مسيحياً. من الواضح أن الأصولية ليست جديدة إذا نظرنا إليها بهذه الطريقة، لأنه من الصعب وصفها بأنها طريقة جديدة للنظر إلى الكتاب المقدس.

لقد دأب المسيحيون المتمسكون بحرفية النصوص على تعليم أن الكتاب المقدس صحيح حرفياً. على مدى ألفي عام تقريباً، سيطرت الكنيسة على كل جانب من جوانب حياة الفرد، وصولاً إلى ما يُسمح له بالتفكير فيه، وبررت ذلك بالإشارة إلى "الكتاب المقدس". وبما أن كل طريقة أخرى للنظر إلى الحياة قد تم قمعها بعنف، لم يكن هناك بديل عن النظرة المسيحية للعالم. لم يكن هناك مخرج من التفكير الدائري الذي ينص على: "كل شيء في هذا الكتاب صحيح". كيف أعرف؟ لأنه مكتوب في هذا الكتاب.

قبل اختراع الكتب، كانت التقاليد في الثقافات الشفوية تخضع لتغييرات طفيفة أثناء نقلها، تمامًا كما هو الحال في لعبة الهمسات الصيني. كان التغيير حتمياً، ولو لم يكن ذلك إلا بسبب قصور الذاكرة البشرية. قد تكون الأفكار القديمة أو غير المناسبة أو غير ذات الصلة تم إسقاطها بتكتم وإدراج عناصر جديدة. لكن مع اختراع الكتابة، فُقدت هذه المرونة. عندما أصبحت التقاليد "مكتوبة على الحجر"، أصبحت غير قابلة للتغيير.

ما إن بدأ البشر بالكتابة حتى بدأ الله نفسه بالنشر. هكذا ولدت الفكرة الرئيسية للتفسير الحرفي.

الله يكتب الكتب. قد يستعين أحياناً بسكرتير، مثل موسى أو محمد، لكنه مع ذلك يحب التواصل مع رعاياه عبر الكلمة المكتوبة. تم ابتكار نوع أدبي جديد يسمى "الكتب المقدسة". الكتب المقدسة لها خصوصية وهي محظورة على نوع النقد الذي يمكن تطبيقه على أي عمل أدبي آخر.

لطالما عرف البشر أن الكلمات قوة، ولكن عندما اخترعوا الكتابة تعلموا أن الكلمة المكتوبة يمكن أن تمتلك القوة إلى الأبد. الدين الحرفي مهووس بالكلمة المكتوبة. نزل موسى من الجبل ومعه قوانين مكتوبة. يُعرف اليهود بأهل الكتاب. تعلن المسيحية بشكل مشهور: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ.". كان محمد أمياً، لكن الله أنزل عليه رسالة مكتوبة، وعلمه القراءة والكتابة. وسرعان ما أصبح من الضروري لكل دين أن يكون له نصه المقدس، وسرعان ما تكاثرت هذه النصوص. طالما عاش الناس داخل ثقافة مغلقة بإحكام، مع دين واحد ونص مقدس واحد فقط، كان كل شيء على ما يرام. لكن أينما تصادمت الثقافات، سرعان ما اتضح أن هناك العديد من النصوص المقدسة المختلفة المستوحاة من العديد من الآلهة المختلفة التي تقول مجموعة متنوعة من الأشياء المتناقضة. بحسب التعريف، لا يمكن إلا لدين واحد من هذه الأديان أن يكون الدين الحق الوحيد. لكن أيهم؟

إن هدف الأصوليين من فرض قراءة كتابهم الخاص فقط هو منع الناس من طرح مثل هذه الأسئلة. هذه حيلة قديمة استخدمها أصحاب التفسير الحرفي للنصوص لآلاف السنين. أحرقت الكنيسة الرومانية المكتبات الوثنية حرقاً هائلاً ودمرت جميع أعمال أولئك "الزنادقة" الذين تجرأوا على تحديها. استمر استخدام اللغة اللاتينية لقرون بعد أن توقفت عن كونها لغة الشعب لضمان عدم ملاحظة أي شخص للتناقضات التي تعج بها الكتب المقدسة. ولضمان عدم التشكيك في تفسير الكنيسة للكتاب المقدس، تم تجريم قراءته لأي شخص باستثناء رجال الدين. أي شخص عادي يُقبض عليه وهو يحمل كتاباً مقدساً كان يُعدم.

لم تتم ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الدارجة إلا بعد الإصلاح البروتستانتي، وذلك بفضل النضال البطولي لأفراد شجعان واجهوا التعذيب والإعدام بسبب جهودهم. كان حجر الأساس للإصلاح هو حق جميع الرجال والنساء في قراءة الكتاب المقدس بلغتهم الخاصة. وكانت النتيجة تماماً كما كانت الكنيسة تخشى. عندما بدأ الناس بدراسة النصوص بأنفسهم، أصبحت فكرة أن الكتاب المقدس هو كلمة الله المعصومة موضع شك متزايد. والآن، بعد ثلاثة قرون من البحث الدقيق، أصبح من الواضح أن الكتاب المقدس ليس في الواقع سوى قطعة أخرى انتقائية ومتناقضة وغريبة من الأدب القديم.

علاج للروح الغربية

حان الوقت لكسر سحر الكلمة المكتوبة. من المفترض أن تكون النصوص المقدسة مجرد وسيلة، ولكن مع التفسير الحرفي للنصوص أصبحت الوسيلة هي الرسالة نفسها. إن ما يسمى بـ "الكتب المقدسة" هي وثائق خطيرة أبقتنا تحت سيطرتها لفترة طويلة جداً. إن التعلق الشديد بكتاب ما هو إلا شكل آخر من أشكال عبادة الأصنام. هذه الكتب ليست كلمة الله، بل هي كلمات رجال، وغالباً ما يكونون رجالاً ذوي أجندة سياسية واضحة. لقد حان الوقت لنستيقظ من كابوس التفسير الحرفي للنصوص، وحتى بعض الأشخاص داخل الكنيسة المسيحية بدأوا يعترفون بذلك. كتب القس جون

شيلبي سبونج، أسقف نيوارك:

> أنظر إلى سلطة الكتب المقدسة كشخص تربى على الكتاب المقدس الحرفي ثم أصيب بخيبة أمل منه. كان تعلقي بالكتاب المقدس شديداً لدرجة أنه دفعني إلى دراسة قضت نهائياً على أي احتمال لربط الكتاب المقدس بالواقع حرفياً... إن تفسير الكتاب المقدس حرفياً يسبب لي مشاكل أكثر بكثير من الفوائد. إنه يقدم لي إلهاً لا أستطيع احترامه، فضلاً عن عبادته. [15]

تزعم نصوصنا المقدسة أنها الذكريات الجماعية لماضينا الأعمق. يزعمون أنهم يخبروننا من نحن ومن أين أتينا. إنها تمثل هويتنا الجماعية تمامًا كما تمثل ذكرياتنا الفردية هويتنا الفردية. تخيل للحظة أنك استيقظت ذات صباح ووجدت أن كل ما كنت تعتقد أنك تعرفه عن نفسك كان غير صحيح. لم يكن اسمك هو اسمك الحقيقي. لم يكن والداك هما والديك الحقيقيين. هويتك بأكملها كانت مختلقة. هكذا هو الحال مع ما يسمى بنصوصنا المقدسة، لأنها ليست كما تدعي أنها عليه. لقد تم تشويهها عمداً، وتذكرها بشكل سيئ، وتفسيرها بشكل خاطئ. لقد شوّهوا ذكرياتنا وكانت النتيجة كارثية. نحن ضحايا "متلازمة الذاكرة الكاذبة" الهائلة، ونحن في حاجة ماسة إلى علاج جماعي.

يلجأ الناس إلى العلاج النفسي لأنهم لم يعودوا قادرين على المضي قدماً في حياتهم. غالباً ما يكتشفون أن مشاكلهم الحالية تنبع من صدمات الماضي، وأنه من أجل المضي قدماً يجب عليهم أولاً العودة إلى الماضي. ونقترح أن الأمر نفسه ينطبق على الثقافات. يجب علينا مواجهة حقيقة ماضينا. لدينا تاريخ مروع من التعصب الديني، وقد تسببنا في معاناة مروعة لجيراننا باسم الله. إذا لم نتعلم من أخطائنا، فسنكررها بكل تأكيد.

كشفت أهوال أحداث 11 سبتمبر أن التفسير الحرفي للنصوص لا يزال متفشياً في العالم. ردنا هو شن هجوم شامل على الفكرة الخبيثة القائلة بأن الله يكتب الكتب. وبفضل أحدث الاكتشافات من المؤرخين وعلماء الآثار المعاصرين، فإننا نعتزم تقويض أسس الدين الحرفي. سنوضح في الفصول الثلاثة التالية أن "الكتب المقدسة" لليهودية والمسيحية والإسلام ليست كتباً "مقدسة" خاصة. إنها مجرد كتب .

الفصل الثالث كلمة الله؟

كتاب الله المقدس؟ أنظر اليه. لقد كُتب ككذبة بقلم الكتبة الكاذبين.

كتاب إرميا [1]

قبل ستة آلاف سنة، خلق الله الكون في ستة أيام ثم أخذ يوم راحة. خلق آدم من تراب ونفس، ثم خلق حواء من ضلع آدم لتؤنسه. أبقى الله آدم وحواء في جنة، لكنهما خالفا القواعد في أحد الأيام، فاضطر إلى طردهما. أنجب آدم وحواء أطفالاً، لكن أحدهم قتل أخاه. كانت هذه مجرد بداية لسلسلة من خيبات الأمل بالنسبة لله. في الواقع، تبين أن البشر فكرة سيئة للغاية لدرجة أن الله أرسل طوفاناً لتدميرهم. نجا نوح وعائلته، وعندما انحسر الطوفان انطلقوا وعمروا الأرض.

في عام 2000 قبل الميلاد، انتقل إبراهيم، أحد أحفاد نوح، إلى كنعان، حيث أصبح الجد المؤسس للشعب اليهودي. لكن بعد بضعة قرون، استُعبد اليهود على يد المصريين. ثم، في حدث يسمى الخروج، هربوا بأعجوبة من مصر تحت قيادة موسى. تاه اليهود في الصحراء لمدة أربعين عاماً قبل أن يعودوا أخيراً إلى الأرض التي وعدهم الله بها في فلسطين. لسوء الحظ، كانت هذه الأرض محتلة من قبل الكنعانيين، ولكن بفضل الله تمكن اليهود من تطهير الأرض تحت قيادة يشوع.

ثم قام اليهود بإنشاء دولة قوية تحت حكم الملك شاول وخليفته الملك داود، الذي حكم مملكة موحدة شملت شمال وجنوب فلسطين. امتدت مملكة داود حتى مصر في الجنوب، ونهر الفرات في الشرق، والسامرة والجليل في الشمال. بنى سليمان ابن داود معبداً فخماً للإله الذي جعل اليهود يحققون نجاحاً كبيراً. كان سليمان ذكياً حقاً. لكن للأسف نسي أن اليهود كانوا مميزين لأنهم كانوا يعبدون الإله الواحد الحق فقط. غضب الله من سليمان لعبادة آلهة أخرى، فعاقب اليهود بالسماح للبابليين باستعبادهم. وبعد نحو خمسين عاماً، تراجع عن موقفه وعاد اليهود إلى القدس حيث بنوا هيكلاً آخر. وعاشوا هنا في رغد العيش حتى عهد الإسكندر الأكبر.

يروي الكتاب المقدس الذي يسميه اليهود التناخ ويسميه المسيحيون العهد القديم قصة اليهود من آدم إلى الإسكندر. الرسالة واضحة. اليهود أمة عريقة للغاية ولها تاريخ موثق جيداً يمتد لآلاف السنين. يؤكد التقويم اليهودي هذا الادعاء. في أوروبا وقت كتابة هذه السطور، كان العام 2004، أما في القدس فكان العام 5764. ولإعطاء هذا التاريخ منظوراً صحيحاً، فإن هذا يجعل بداية التاريخ اليهودي قبل أكثر من ثلاثة عشر قرناً من بناء الأهرامات المصرية. كل شيء مثير للإعجاب للغاية، إلى أن تبدأ بالبحث عن الأدلة التي تبرر ذلك.

سيشاهد المسافرون إلى مصر المعابد الشاسعة والمعالم الأثرية الرائعة التي تنتشر في أرجاء البلاد. تشهد النصوص والمنحوتات والتحف على ثقافة متطورة استمرت بالفعل لآلاف السنين. وينطبق الشيء نفسه إلى حد كبير على بلاد ما بين النهرين، التي تسمى "مهد الحضارة". إذن، ما الذي اكتشفناه في فلسطين والذي يعود تاريخه إلى هذه الفترات المبكرة؟ لا شيء سوى القمامة المعتادة وقطع الفخار التي خلفها عدد قليل من البدو الرحل والرعاة.

وقد قيل في بعض الأحيان إن فلسطين تعرضت للغزو مرات عديدة لدرجة أنه لم يبقَ شيء فوق سطح الأرض. ومع ذلك، لم تكشف التحقيقات تحت السطحية عن أي شيء ذي أهمية. لم يتم العثور على أي قصور فخمة أو معابد أو مبانٍ حجرية مصقولة تبرر مزاعم وجود إمبراطورية عظيمة تتمركز في القدس. لو فعلوا ذلك، لكانوا الآن على طريق السياحة الدينية المربحة للغاية. لكنهم ليسوا كذلك.

لقد كان من الواضح منذ قرون أن قصصاً مثل قصة آدم وحواء هي مجرد أساطير لا أساس لها في التاريخ. لكن ماذا عن بقية التناخ؟ هل هذا تاريخ؟ تشير الأدلة إلى عكس ذلك. بل إن التناخ عبارة عن مجموعة من الأساطير والحكايات. ولإنصاف التناخ، فهو لا يدعي أبداً أنه تاريخ. في الواقع لن تجد كلمة تاريخ في أي مكان في صفحاتها، لأن الكلمة لم تكن موجودة حتى باللغة العبرية. لقد أسقطنا على هذه النصوص القديمة فكرتنا الحديثة عن التاريخ باعتبارها متميزة عن الأساطير، وهو مفهوم لم يكن موجوداً ببساطة في ذلك الوقت.

يكتب توماس طومسون، أستاذ دراسات العهد القديم في جامعة كوبنهاغن:

> اليوم لم يعد لدينا تاريخ لإسرائيل. لم يقتصر الأمر على انتقال قصة آدم وحواء والطوفان إلى الأساطير، بل لم يعد بإمكاننا الحديث عن زمن الآباء. لا مكان لهذه الصور في وصف الماضي التاريخي الحقيقي. نحن نعرفها فقط كقصة، وما نعرفه عن هذه القصص لا يشجعنا على التعامل معها كما لو كانت أو كان من المفترض أن تكون تاريخية. لا يوجد دليل على وجود ملكية موحدة، ولا يوجد دليل على وجود عاصمة في القدس أو على وجود أي قوة سياسية متماسكة وموحدة سيطرت على غرب فلسطين، ناهيك عن إمبراطورية بالحجم الذي تصفه الأساطير. ليس لدينا دليل على وجود ملوك يحملون اسم شاول أو داود أو سليمان؛ كما ليس لدينا دليل على وجود أي معبد في القدس في هذه الفترة المبكرة. [2]

يصف إسرائيل فينكلشتاين، مدير قسم الآثار في جامعة تل أبيب، وكاتبه المشارك نيل سيلبرمان، الكتاب المقدس بأنه "ليس أكثر تاريخية من ملحمة هوميروس عن أوديسيوس أو تأسيس إينياس لروما". إن السرد التوراتي مليء بالتناقضات والمفارقات التاريخية لدرجة أنه يجب اعتباره رواية تاريخية أكثر من كونه سجلاً تاريخياً دقيقاً. [3]

مشاهير الصف الأول في التناخ

دعونا نلقي نظرة على بعض أبطال التناخ لنرى ما إذا كان هناك أي دليل على أنهم كانوا بالفعل شخصيات تاريخية حقيقية.

إبراهيم

يُعتبر إبراهيم الأب الأعظم للأمة اليهودية. وهو أيضاً شخصية مهمة بالنسبة للمسيحيين والمسلمين. إن وجود دليل على وجوده أمر بالغ الأهمية لفكرة أن هذه الديانات الثلاث قد تكون جميعها "أبناء إبراهيم"، كما يُزعم في كثير من الأحيان. بحسب التسلسل الزمني التوراتي، انتقل إبراهيم إلى كنعان حوالي عام 2100 قبل الميلاد. لكن هذا مستحيل لأن إبراهيم يقال إنه جاء من مدينة أور

الكلدانية التي لم تكن موجودة إلا بعد عام 1000 قبل الميلاد. قبل هذا التاريخ لم يكن هناك كلدانيون. يخبرنا سفر التكوين أن إسحاق ابن إبراهيم طلب المساعدة من أبيمالك ملك الفلسطينيين، ومع ذلك لم يكن للفلسطينيين وجود في المنطقة حتى بعد عام 1200 قبل الميلاد. وعلى الرغم من أن الجمل يذكر بشكل متكرر في قصص إبراهيم والآباء الآخرين، إلا أن تدجين الجمل لم يحدث إلا حوالي عام 1000 قبل الميلاد. لم تنتشر قافلة الجمال التي ورد ذكرها بشكل متكرر في التناخ، بحمولتها من "الصمغ والبلسم والمر"، على نطاق واسع حتى القرن الثامن قبل الميلاد.

موسى

لا يوجد دليل على وجود موسى. على الرغم من تصويره كعضو مؤثر في العائلة المالكة المصرية، إلا أنه لم يُذكر في أي سجل مصري. ولا يوجد أي دليل يدعم فكرة أن اليهود قد تم أسرهم في مصر أو أنهم قاموا بالخروج من البلاد بأمر من موسى. لقد دوّن المصريون تاريخهم بتفصيل كبير لكنهم لم يذكروا أي شيء عن اليهود الأسرى. وسط مئات الآلاف من النقوش المصرية الضخمة ونقوش المقابر والبرديات، هناك صمت تام حول "600 ألف رجل على الأقدام، بالإضافة إلى النساء والأطفال" الذين يخبرنا سفر الخروج أنهم فروا من جيوش فرعون. [4]

إن قصة موسى، بمعجزاتها العديدة، تحمل كل سمات الأسطورة. إن رواية ميلاد موسى هي إعادة سرد لأسطورة ميلاد سرجون الكبير، ملك أكاد، والتي عُرفت في عدد من الاختلافات منذ أوائل القرن السادس قبل الميلاد. ومثل موسى، تم وضع الطفل سرجون "في سلة من القصب" و"إلقاؤه في النهر"، ومنه أنقذته امرأة ذات نفوذ لاحقاً. تحكي قصص يونانية مماثلة عن الطفل ديونيسوس المحبوس في صندوق والملقى في نهر النيل. ربما تعود كل هذه القصص إلى الحكايات المصرية التي تروي قصة أوزيريس المحبوس في صندوق والملقى في النيل.

يوشع

بحسب التناخ، فإن يشوع هو القائد العظيم الذي قاد الغزو المدمر لـ "الأرض الموعودة" في كنعان، ولكن لا يوجد دليل على ذلك. في الواقع، إن غزو كنعان من قبل اليهود الفارين من المصريين أمر مستحيل تاريخياً. من القرن الرابع عشر إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، عندما يفترض أن يكون الخروج قد حدث، كانت كنعان مقاطعة تابعة لمصر، لذلك لم يكن اليهود قد هربوا من الحكم المصري على الإطلاق، بل انتقلوا ببساطة من إقليم مصري إلى آخر. إن سفر يشوع، الذي يروي الغزو المزعوم لليهود للأرض الموعودة، لا يذكر المصريين في كنعان، في حين كان من المفترض أن تكون المنطقة تعج بهم. [5]

في عام 1999 نشر البروفيسور زئيف هرتسوغ من معهد الآثار بجامعة تل أبيب مقالاً في صحيفة هآرتس الإسرائيلية بعنوان "تفكيك أسوار أريحا". [6] ويعلن فيه أن الخروج من مصر، وغزو يشوع، وأسوار أريحا الشهيرة كلها بلا أساس تاريخي. يتحسر على ذلك:

> هذه الحقائق معروفة منذ سنوات، لكن إسرائيل شعب عنيد ولا أحد يريد أن يسمع عنها. [7]

على الرغم من أن آراءه تحظى بتأييد واسع في الأوساط الأكاديمية، إلا أن مقال هرتسوغ أثار

ضجة كبيرة، وكان رد فعل الإسرائيليين العلمانيين هو الأكثر عنفاً.

السبب بسيط للغاية. أدركوا على الفور أن دولة إسرائيل الحديثة ستكون في خطر جسيم إذا تبين أن مطالبتها بالأرض تستند إلى مجرد أسطورة.

داود

وماذا عن داود؟ هل كان موجوداً؟ في عام 1993 تم العثور على نقش في تل دان يشير إلى "ملك من سلالة داود". لم يُعثر على أي إشارة سابقة إلى داود خارج التناخ. أصبح هذا الاكتشاف خبراً عالمياً وتصدر الصفحة الأولى من صحيفة نيويورك تايمز وغلاف مجلة تايم. وهنا، أخيراً، تم التحقق بشكل مستقل لأول مرة من أحد أبرز الشخصيات في الكتاب المقدس. كان هناك دليل على الوجود التاريخي للملك داود، الذي حكم المملكة الموحدة لإسرائيل ويهودا. المغني الشهير للمزامير، قاتل جالوت، وسلف يسوع. لكن عشر سنوات من التحقيق الدقيق كشفت أن النقش ليس دليلاً على وجود داود على الإطلاق.

بدايةً، فإن ترجمة "ملك سلالة داود" تعطي انطباعًا بنقش مهيب ربما كان يزين قصرًا عظيمًا. في الواقع، إنها مجرد خربشة من ستة أحرف على قطعة من الحجر - *bytdwd*. تم إعادة بناء الكلمة الأولى التي زُعم أنها "ملك" من حرف واحد فقط، لذا يمكن أن تعني في الواقع أي عدد من الأشياء. بما أنه لا توجد حروف علة في اللغة العبرية المكتوبة، فيجب إدخال هذه الحروف، مما يؤدي إلى العديد من الترجمات المحتملة للنقش. يمكن ترجمة الكلمة التي تعني "داود" أيضاً إلى "الحبيب" أو "العم" أو حتى "الغلاية"! [8] يمكن أن يكون أيضًا اسم مكان يسمبيت دود . وقد تم الإعلان أيضاً عن نقش آخر تم اكتشافه مؤخراً يشير إلى "بيت داود"، لكن اللغة العبرية الموجودة على هذا النقش تختلف عن تلك الموجودة في تل دان. [9] ماذا يحدث هنا؟

تكمن المشكلة في أنه عندما يتم اكتشاف شيء يمكن اعتباره، على سبيل المجاز، بمثابة تأكيد لشيء ما في الكتاب المقدس، فإن مجموعة كاملة من المعتقدات المسبقة تضمن جعل الأدلة تتناسب مع النظرية. يعتبر أحد الباحثين المعاصرين فكرة أن نقش تل دان يشير إلى داود مجرد تفكير بالتمني، وهي حالة كلاسيكية للباحثين الذين يعملون من الكتاب المقدس بدلاً من العمل من الأدلة. [10] ويرى باحث آخر أن "الأجزاء المنشورة في الواقع لا تنتمي إلى نقش واحد بل إلى نقشين مختلفين ومرتبطين". [11] وقد وجد باحثون آخرون مؤشرات على أن النقوش مزيفة، ويخضع الموضوع برمته الآن للتحقيق من قبل دائرة الآثار الإسرائيلية. إن سوق الآثار مليء بمثل هذه المنتجات المزيفة لأن هناك العديد من الجماعات الثرية والقوية التي لديها رغبة يائسة في إثبات صحة الكتاب المقدس. إن أي اكتشاف يبدو أنه يؤكد صحة الكتاب المقدس من المؤكد أنه سيتصدر عناوين الأخبار العالمية، ولكن عندما يتم دحضه لاحقاً، نادراً ما يظهر في الصفحات الأخيرة من الصحف.

حتى لو كان داود موجوداً بالفعل، فمن المستحيل أن يكون هو الملك العظيم الموصوف في التناخ. في الوقت الذي يقال إنه حكم فيه حضارة كبيرة ومتطورة، كشف العالم الحقيقي لعلم الآثار عن "بضع عشرات فقط من القرى والنجوع الصغيرة المتناثرة" التي تدعم المزارعين الذين "لا يتجاوز عددهم ألفي شخص". [12] إذا كان داود موجودًا على الإطلاق، فلا بد أنه لم يكن أكثر من

مجرد زعيم قبيلة في منطقة جبلية. كما لاحظ أحد المعلقين مؤخراً:

> يكمن الخلاف الرئيسي في الوقت الحاضر بين أولئك الذين يعتقدون أن داود كان زعيمًا صغيرًا على قمة تل لم تمتد سلطته لأكثر من بضعة أميال في أي اتجاه، ومجموعة صغيرة ولكنها صاخبة من "المقلدين الكتابيين" الذين يؤكدون أنه لم يكن موجودًا على الإطلاق. [13]

سليمان

وماذا عن سليمان ابن داود؟ ويُقال إنه كان لديه حريم من ثلاثمائة جارية وسبعمائة زوجة، من بينهن أميرات مصريات ومؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات. بحسب الكتاب المقدس، فقد حكم إمبراطورية واسعة. كان يمتلك أسطولاً من السفن التي كانت تتاجر مع المصريين وسكان بلاد ما بين النهرين على قدم المساواة. كان ثرياً لدرجة أن جنوده كانوا يحملون دروعاً من الذهب. كان مشهوراً جداً بحكمته لدرجة أن ملكة سبأ نفسها زارته. أمضى ثلاثة عشر عاماً في بناء قصر لإيواء تابوت العهد، وزينه بالذهب والجواهر الثمينة. لا بد أن يكون شخص ما في مكان ما قد سمع عنه.

لكن لا يوجد دليل على وجود سليمان. يقال إنه كان متزوجًا من ابنة فرعون مصري، ولكن لم يتم العثور على أي إشارة إلى هذا التحالف السلالي في أي من السجلات المصرية. لم يُذكر اسمه في أي نص معاصر من نصوص الشرق الأوسط. لكن لا ينبغي أن يفاجئنا أي من هذا، لأن القدس في ذلك الوقت لم تكن عاصمة لإمبراطورية واسعة. كانت في الواقع مجرد قرية صغيرة.

في حوالي عام 1000 قبل الميلاد، لم تكن مرتفعات يهودا تحتوي على مبانٍ عامة أو قصور أو مخازن أو معابد. تكاد علامات أي نوع متطور من حفظ السجلات، مثل الكتابة والأختام وبصمات الأختام، أن تكون غائبة تماماً. لم يتم العثور على أي سلع فاخرة تقريباً، أو فخار مستورد، أو مجوهرات. لا يمكن أن يتجاوز عدد سكان المنطقة بأكملها خمسة وأربعين ألف نسمة. أياً كان من كان يعيش في المرتفعات الفلسطينية في ذلك الوقت، فهم لم يكونوا الأشخاص الذين وضعهم كتّاب التناخ هناك.

أسطورة العودة

يريدنا التناخ أن نعتقد أنه كانت هناك ذات يوم مملكة إسرائيل العظيمة وعاصمتها القدس. لكن لا يوجد سوى القليل جداً من الأدلة فيما يتعلق بإسرائيل أو القدس. أول ما نسمعه عن القدس هو في نصوص اللعنات المصرية التي يعود تاريخها إلى 1810 إلى 1770 قبل الميلاد، حيث تم إدراجها بين العديد من المدن في فلسطين إلى جانب أسماء زعمائها. أقدم ذكر لإسرائيل لدينا هو ما يسمى "مسلة إسرائيل" للفرعون مرنبتاح، والتي يعود تاريخها إلى عام 1207 قبل الميلاد. تقول ببساطة: "إسرائيل خراب؛ لم يعد هناك نسل". [14] هناك خلاف حول ما إذا كان اسم "إسرائيل" يشير إلى شعب أم مجرد شخص، ولكن من المفارقات أن أول ذكر لإسرائيل يخبرنا أن إسرائيل لم تعد موجودة!

وبعد ذلك بقليل، لدينا نقش يعود إلى عهد الفرعون شيشنق، حوالي 945 إلى 924 قبل الميلاد، وبعد

ذلك بقليل نقش لشلمنصر الثالث، حوالي 853 قبل الميلاد، والذي يشير إلى أرض *sir-il-la-a-a.* [15] قد تكون هذه النقوش القليلة جداً مجرد خيال، فكل ما يمكن أن تخبرنا به عن إسرائيل في التناخ. بالإضافة إلى ذلك، لم يتم العثور على أي من هذه النقوش في فلسطين أو كتبها الأشخاص الذين تشير إليهم، وهو ما كان سيمثل على الأقل دليلاً على ثقافتهم الراقية. بل إنها كُتبت من قبل حكامهم التقليديين وتصف قرى في مناطق فقيرة تحت سيطرتهم.

ثمة مشكلة أخرى تتعلق بالاسمين "القدس" و"إسرائيل". يروي أصلها تاريخاً يتعارض تماماً مع التناخ. كلمة إسرائيل تعني "المقاتل من أجل إيل" الذي كان إلهًا كنعانيًا. سُميت القدس على اسم إله كنعاني آخر يُدعى شاليم. لكن وفقًا للتناخ، كان الكنعانيون أعداءً لدودين للإسرائيليين. تُرى ما السّر وراء هذا؟ الجواب بسيط ولكنه صادم.

تشير جميع الأدلة الآن إلى أن بني إسرائيل هم السكان الأصليون لكنعان. إن القصة التوراتية التي تقول إنهم وصلوا إلى فلسطين من مصر هي مجرد أسطورة. لم يأتِ بنو إسرائيل من مكان آخر، بل كانوا موجودين هناك بالفعل. هذا الرأي يحظى الآن بتأييد واسع من قبل الباحثين. يقول أحد علماء الآثار المعاصرين:

> لم يكن بنو إسرائيل في مصر قط. لم يأتوا قط من الخارج. السلسلة بأكملها مكسورة. إنها ليست مسألة تاريخية. إنها إعادة بناء أسطورية لاحقة... لتاريخ لم يحدث قط. [16]

لا تُظهر النقوش البارزة في الكرنك بمصر أي تمييز في تسريحة الشعر أو الملابس بين بني إسرائيل والكنعانيين، لذلك من الواضح أن المصريين لم يفرقوا بين الاثنين. لقد كشفت الأدلة المستقاة من الحفريات في جميع أنحاء فلسطين عن استمرارية سلسة بين الثقافتين. لا يمكننا الإشارة إلى طبقة كنعانية هنا حلت محلها طبقة إسرائيلية هناك. لقد انحدر الإسرائيليون من الكنعانيين الأصليين ولم يكونوا غزاة، كما يدعي التناخ.

قصة عودة اليهود من الأسر في مصر هي أسطورة. وكذلك قصة عودتهم من الأسر في بابل. على الرغم من أننا نعتبر الآن اليهود والإسرائيليين شعباً واحداً، إلا أنهم في العصور القديمة كانوا شعبين متميزين وعدوين لدودين. عاش الإسرائيليون في شمال فلسطين وكانت عاصمتهم في السامرة. أما شعب يهودا (المعروفون أيضًا باسم اليهود) فقد عاشوا في جنوب فلسطين وكانت عاصمتهم في القدس.

عندما غزا الآشوريون فلسطين عام 733 قبل الميلاد، قاوم الإسرائيليون وتعرضوا لمعاقبة قاسية. تم تسوية مدينة السامرة بالأرض، وتم استعباد سكانها. لكن شعب يهودا قدموا دعمهم للأشوريين، وبعد تصفية إسرائيل بدأت يهودا تزدهر كمقاطعة أشورية جديدة. ازداد عدد سكان القدس إلى حوالي خمسة عشر ألف نسمة.

وبعد قرن ونصف بدأت قوة الآشوريين في الانهيار وسيطر البابليون على الإمبراطورية الآشورية، بما في ذلك فلسطين. في عام 587 قبل الميلاد، دمر البابليون القدس وتم ترحيل سكانها إلى العبودية. لقد واجه شعب يهودا (المعروفون أيضًا باسم اليهود) نفس المصير الذي واجهه الإسرائيليون (المعروفون أيضًا باسم السامريين). لقد زالت دولة يهودا تماماً كما زالت دولة

إسرائيل، منافستها السابقة.

في منتصف القرن الخامس الميلادي، خلف الفرس البابليين وسيطروا على فلسطين. يذكر الكتاب المقدس أن الملك الفارسي سمح للإسرائيليين بالعودة من المنفى في بابل إلى القدس، لكن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً. لو عاد بنو إسرائيل إلى "ديارهم" لكانت عاصمتهم السامرة وليس القدس! كما كتب أحد الباحثين المعاصرين:

> أياً كان الأشخاص الذين تم نقلهم أو إعادتهم إلى فلسطين، فمن المؤكد أنهم لم يكونوا من بني إسرائيل. [17]

ما كانت أي إمبراطورية لتسمح لشعب بالعودة إلى دياره، لأن ذلك كان سيقضي على الغرض الكامل من الترحيل. كان تهجير الشعوب بأكملها وإعادة توطينها في أماكن أخرى ممارسة وحشية ولكنها روتينية في العالم القديم سمحت لبناة الإمبراطوريات بممارسة سيطرة كاملة على رعاياهم. هناك أدلة تاريخية على 157 حالة ترحيل من العصر الآشوري و 36 حالة من السجلات البابلية. وقد تم حساب إجمالي عدد النازحين خلال هذه الفترة القصيرة بأكثر من مليون شخص.

إن "عودة الإسرائيليون" مجرد أسطورة. تم ترحيل كل من إسرائيلين واليهود في أنحاء العالم القديم خلال هذه الفترة، ولا نعلم إلى أين ذهبوا. استقرت شعوب أخرى في المنطقة وقامت بتكييف بعض الأساطير الأصلية لإضفاء الشرعية على مطالباتها بالأرض. سيبدأ أحفادهم فيما بعد في اعتبار أنفسهم إسرائيليين ويهودًا، لكنهم في الأصل لم يكونوا أيًا منهما.

اليهود واليونانيون

في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، غزا الإسكندر الأكبر فلسطين، وحل الحكام اليونانيون محل الحكام الفرس. قبل ذلك، في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، تشير بيانات المسح من المستوطنات إلى أن عدد سكان يهودا كان ثلاثين ألف نسمة فقط. وصف العالم الكبير بيكرمان القدس في زمن الإسكندر بأنها "مقر غامض لقبيلة غير مهمة". [18] وهذا يفسر سبب عدم وجود أي ذكر لليهود في جميع النصوص اليونانية قبل عهد الإسكندر. كان الإغريق مفتونين بـ "البرابرة"، واستمتعوا بتسجيل عاداتهم الصغيرة المضحكة في العديد من الأعمال. لا شك أنهم كانوا سيسجلون شيئاً عن اليهود لو كانوا ذوي أهمية، ولكن كما كتب أحد الباحثين:

> لم يثبت حتى الآن أي شيء زيف الادعاء بأن الإغريق الكلاسيكيين لم يكونوا يعرفون حتى اسم اليهود. [19]

حتى في القرن الأول الميلادي، لم يتمكن المؤرخ اليهودي يوسيفوس من العثور على إشارات إلى اليهود في الأدب اليوناني قبل الإسكندر الأكبر. كما يوضح أحد الباحثين المعاصرين:

> في الواقع، يمكننا أن نستنتج من هذا أن الأهمية السياسية والاقتصادية لدولة يهودا الصغيرة ذات الهيكل في منطقة التلال بين البحر الميت والسهل الساحلي كانت ضئيلة للغاية بحيث لا تجذب انتباه المؤرخين. لماذا ينبغي لمؤلف يوناني، في وقت كان فيه الشرق الخيالي بأكمله مفتوحًا أمام بحثه، أن يركز على مكان صغير في الجبال القاحلة؟ [20]

بعد وفاة الإسكندر عام 325 قبل الميلاد، حكم قائده بطليموس فلسطين من مصر. شهد القرن ونصف القرن التاليان تغييراً هائلاً في فلسطين مع دخول التكنولوجيا والعادات اليونانية إلى المنطقة. حلّت العملات المعدنية محل نظام المقايضة. أحدثت الزراعة ثورة بفضل الري الاصطناعي، والدواليب المائية، والمحراث، ومعصرة النبيذ، وغيرها من الأدوات المماثلة. لقد أصبحت القدس بالفعل مدينة "بارعة في العديد من الحرف"، كما يقول أحد الكتاب اليهود في ذلك الوقت. [21] شهدت هذه الفترة نفسها ازدهاراً كبيراً في الأدب اليهودي. . لأول مرة في تاريخ هذه المنطقة، لدينا بدايات ثقافة راقية قادرة على خلق طبقة متعلمة والحفاظ عليها.

وكما يليق بمدينة هلنستية مزدهرة، كان هناك صالة رياضية، أو جامعة يونانية، في وسط القدس منذ القرن الثاني قبل الميلاد على الأقل. يخبرنا سفر المكابيين أن المكان كان يحظى بشعبية كبيرة لدرجة أن الكهنة كانوا يسارعون إلى الدراسة هناك، متجاهلين واجباتهم الكهنوتية. [22] في الصالة الرياضية، تلقى اليهود التعليم اليوناني القياسي، حيث قاموا بنسخ مقاطع من هوميروس وأفلاطون، ودراسة تاريخ ثوقيديدس وهيرودوت. كانت منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط تفقد بسرعة مكانتها كصحراء ثقافية.

منذ بداية القرن الثاني قبل الميلاد، أنتجت فلسطين العديد من الفلاسفة والشعراء والساخرين والخطباء المشهورين، حتى أن بعضهم أصبحوا أصدقاء ومستشارين لرجال دولة رومانيين مؤثرين، مثل بومبيوس وبروتوس وشيشرون. لقد وصل اليهود أخيراً إلى الساحة العالمية كشعب متطور. لكن المفارقة أنهم لم يحققوا ذلك إلا من خلال تعليم يوناني بالكامل.

جميع الأدبيات اليهودية التي أُنتجت في هذه الفترة تقريباً مكتوبة باللغة اليونانية. كان اليهود يكتبون باليونانية ويفكرون باليونانية. ومع ذلك، لم يكن اليهود يونانيين، ولن يكونوا كذلك أبداً، مهما بلغ طموحهم. قسم الإغريق العالم بأسره إلى فئتين متناقضتين: الإغريق والبرابرة. ورداً على ذلك، قسم اليهود العالم إلى يهود وأمميين، وأنتجوا مجموعة من الأدبيات التي أثبتت، على الأقل بما يرضيهم، أن اليهود لم يكونوا مساويين لليونانيين فحسب، بل كانوا أفضل منهم.

مصنع الخيال اليهودي

ما إن استوعب اليهود تعليمهم اليوناني حتى بدأوا في تقديم رواية جديدة عن كيفية حصولهم عليه. لم يتعلموا من اليونانيين. بل كان الأمر عكس ذلك. في عام 220 قبل الميلاد، سجل الكاتب اليهودي هيرميبوس رأيه بأن فيثاغورس، أول رجل في العالم اليوناني يُطلق عليه لقب فيلسوف، قد اكتسب في الواقع كل حكمته من اليهود. [23] وأضاف أرسطوبولس، الذي كتب في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، أن أفلاطون استعار أفكاره من موسى. [24] في القرن الأول الميلادي، زعم يوسيفوس أن "أحكم اليونانيين"، بمن فيهم أفلاطون وفيثاغورس وأناكسوغوراس والرواقيون، "تعلموا مفاهيمهم عن الله من المبادئ التي زودهم بها موسى". [25]

لكن كيف كان بإمكان الفلاسفة اليونانيين الوصول إلى الكتب المقدسة العبرية قبل قرون من ترجمتها إلى اليونانية؟ يؤكد أرسطوبولس لقرائه أن هذه الكتب كانت متوفرة في اليونان، ولكن لا يوجد دليل على ذلك. [26] يمكن تأريخ أول اقتباس من التناخ من قبل كاتب يوناني إلى منتصف القرن الأول الميلادي على أبعد تقدير. [27] بل إن التناخ نفسه يقول إن اليونان كانت من بين الأمم

التي لم تسمع بشهرة الرب. [28]

لكن وفقًا للكاتب اليهودي يوبوليموس، فإن اليونانيين مدينون بمعرفتهم بالأبجدية لموسى. لقد علّمها أولاً لليهود، الذين بدورهم علّموها للفينيقيين، الذين بدورهم علّموها لليونانيين. [29] يخبرنا أرتابانوس، وهو كاتب يهودي آخر، أن موسى اكتسب اسم موسايوس من اليونانيين، وأصبح معلم أورفيوس، وقدم مجموعة كاملة من الفوائد للبشرية، بما في ذلك اختراع السفن، وآليات البناء الحجري، والأسلحة، والمحركات الهيدروليكية، وأدوات الحرب، وبالطبع الفلسفة. [30] في مصر، كانت إنجازات موسى أكثر روعة. قام بتعليم الكهنة المصريين الكتابة الهيروغليفية، وقسم الأمة إلى ستة وثلاثين اسماً، وخصص لكل منها الإله الذي يجب أن تعبده، وسُمي "هرمس" بسبب قدرته على تفسير الكتابات المقدسة. [31]

خلال الفترة الهلنستية، لم يكن هناك حد لمتعة اليهود في إعادة كتابة التاريخ والتنافس مع اليونانيين والمصريين وغيرهم من منافسيهم الأقوياء. كان العالم الهلنستي بأكمله مهووسًا بعلم التنجيم، ووفقًا لـ يوبوليموس، فإن إبراهيم هو من اكتشفه. قام بتعليمه للفينيقيين، وشرح لهم حركات الشمس والقمر ومجموعة كبيرة من الأمور الأخرى. [32] كما سافر إبراهيم إلى مصر وأقام مع كهنة هليوبوليس، حيث علمهم علم التنجيم ومجموعة من المواضيع الإضافية. [33] في رواية أرتابانوس لهذه الحكاية، يصبح إبراهيم مرشداً للفرعون نفسه. [34]

ليست هذه هي القصص الخيالية الوحيدة التي اختلقها اليهود الهلنستيون ليشعروا بالرضا عن أنفسهم. يروي يوسيفوس قصة رائعة عن كيف أنه عندما وصل الإسكندر إلى القدس، انبهر بمنظر الشعب اليهودي المرتدي ملابسهم البيضاء لدرجة أنه سقط على ركبتيه أمام رئيس الكهنة. ثم التفت إلى جنرالاته المذهولين وأوضح لهم أن هذا هو الرجل الذي رآه في حلمه في مقدونيا والذي حثه أولاً على غزو بلاد فارس. [35] ثم يُعرض على الإسكندر المذهول كتاب دانيال، الذي تنبأ بأعجوبة بسقوط بلاد فارس على يد يوناني. [36] إنها قصة رائعة، وقد اعتُقد أنها حقيقية عبر التاريخ المسيحي. لكنها تفتقر تماماً إلى أي أساس تاريخي. في الوقت الحاضر، لا يوجد أي عالم لديه كلمة طيبة ليقولها عنها، حيث تتراوح الأحكام من "سخيفة" إلى "تلفيق صريح". [37]

في الحقيقة، لم يذهب الإسكندر إلى القدس قط. لم يذكر المؤرخون اليونانيون أي زيارة من هذا القبيل. [38] ولم يكن من الممكن أن يُعرض على الإسكندر سفر دانيال، لأنه لم يُكتب إلا بعد قرن ونصف من وفاته! [39] على الرغم من أن سفر دانيال يدعي أنه كُتب في القرن السادس قبل الميلاد، إلا أنه في الواقع تم تأليفه بعد ذلك بقرون. أثبت العالم الوثني فَرفوريوس ذلك لأول مرة في القرن الثالث الميلادي. وباستخدام تحليل نصي دقيق، أثبت أن سفر دانيال كُتب في القرن الثاني قبل الميلاد، خلال ثورة المكابيين اليهودية. [40] اليوم يُسلّم بصحة رأي فَرفوريوس.

يُعد سفر دانيال مثالاً نموذجياً على نوع أدبي يُسمى "النبوءة بعد الحدث". في هذا النوع الأدبي، يتم خلق انطباع بأن النص قد تنبأ بالمستقبل بشكل غريب، وفي هذه الحالة انتصار الإسكندر، ولكن في الواقع كُتبت النبوءة بعد قرون من وقوع الأحداث التي تدعي التنبؤ بها. إن المرجع الحقيقي لمثل هذه "النبوءات" هو للحاضر. تهدف هذه العناصر إلى إثارة إعجاب قراء ذلك الوقت وإضفاء هالة من القدم والشرعية الخارقة على نص جديد تمامًا. أصبح هذا النوع شائعًا للغاية في صناعة الخيال

اليهودية، واستخدمه المسيحيون لاحقًا بنجاح كبير. [41]

وهناك قصة أخرى شهيرة ابتكرها اليهود الهلنستيون تروي كيف تم كتابة النسخة اليونانية من الأسفار العبرية. يشرح نص يهودي يسمى رسالة أرسطياس أن بطليموس الأول أرسل رسالة إلى اليهود يقول فيها إنه يرغب في إضافة ترجمة يونانية للتناخ إلى مكتبته الجديدة الشهيرة في الإسكندرية. ورد اليهود بإرسال اثنين وسبعين حكيماً مشهوراً شرعوا على الفور في العمل وأنتجوا بأعجوبة اثنين وسبعين نصاً يونانياً متطابقاً، مما يدل على مدى أمانة الترجمة لأصلها العبري. وأصبح يُطلق عليه اسم الترجمة السبعينية، نسبة إلى الحكماء السبعين. في ختام أسبوع من الولائم التي أقامها بطليموس تكريماً لاثنين وسبعين حكيماً يهودياً، انفجر الفلاسفة اليونانيون بالتصفيق معلنين أن اليهود تفوقوا عليهم بكثير في التعليم والبلاغة. [42]

على الرغم من الاعتقاد بصحتها عبر التاريخ المسيحي، إلا أن هذه القصة يعتبرها العلماء الآن مجرد "أسطورة خلابة". [43] في الواقع، ليست هذه القصة مجرد أسطورة، بل إن النص الذي يرويها لأول مرة مزور! نُسبت رسالة أرسطياس إلى عالم يهودي من القرن الثالث قبل الميلاد، لكنها في الواقع كُتبت حوالي عام 130 قبل الميلاد على يد يهودي إسكندري.

وكما هو الحال مع جميع الأدب اليهودي الذي تم إنتاجه في هذه الفترة، فإن أسطورة إنشاء الترجمة السبعينية تُظهر ثقة يهودية جديدة بالنفس ووعياً ذاتياً، ومتعة في وضع الخيال والدعاية في ثوب التاريخ. في الواقع، كما يشير أحد الباحثين حول الأدب اليهودي في تلك الفترة:

> إن النقطة التي تبدو فيها القصة أقرب إلى الواقع التاريخي هي في الحقيقة الأكثر خيالاً - وهي نقطة جديرة بالتذكر! [44]

من السخف اعتبار الأساطير والخرافات التي أنتجتها هذا المصنع اليهودي الخيالي ذات صلة بالتاريخ. وهذا ينبغي أن يجعلنا نفكر مرتين في صحة تلك النصوص اليهودية الأخرى التي نعتبرها الآن "كتاباً مقدساً". لأن التناخ، الذي لا يزال يحظى باحترام الملايين، تم تجميعه في نفس الفترة وربما من قبل نفس المؤلفين.

متى تم إنشاء التناخ؟

بعد قرون من الحكم الأجنبي، رأى اليهود فرصة لتحقيق استقلالهم. في عام 161 قبل الميلاد، عقد الزعيم اليهودي يهوذا المكابي تحالفًا مع الرومان وقاد ثورة ضد الحكام اليونانيين لليهود. سيؤدي هذا التحالف مع روما في النهاية إلى تحويل يهودا إلى دولة تابعة لروما، عندما سيطر الرومان بقيادة بومبيوس على فلسطين في عام 67 قبل الميلاد. لكن في القرن الفاصل، حدثت موجة هائلة من القومية اليهودية.

أسس يهوذا المكابي وأبناؤه السلالة الحشمونية التي حكمت يهودا طوال القرن التالي. في عام 164 قبل الميلاد، أعيد تكريس الهيكل في القدس، وبعد ذلك تم الإعلان عن حقبة جديدة تمامًا، وتم إنشاء تقويم جديد، وبدأ برنامج عسكري لتوسيع الأراضي اليهودية. خلال هذه الفترة، تم كتابة وتجميع وتحرير مجموعة النصوص التي نعرفها باسم التناخ (المعروف أيضًا باسم العهد القديم)

على نطاق واسع، لتكون بمثابة التبرير الأسطوري لرغبة الحشمونيين في حكم كل فلسطين. [45]

قام الحشمونيون بصياغة تاريخ يصورهم على أنهم أحفاد شعب قديم ورث هذه المنطقة بأكملها من الله نفسه. كانوا ورثة الملك داود، الذي حكم ذات يوم كلاً من شمال وجنوب فلسطين. كان سلفهم سليمان إمبراطورًا لا يقل أهمية عن الإسكندر. يروي يوسيفوس الأسطورة التي تقول إن القائد الحشموني هيركانوس وجد المال لدفع رواتب جيشه عن طريق فتح ما يُفترض أنه قبر الملك داود، حيث اكتشف بأعجوبة ثلاثة آلاف وزنة من الفضة. [46] إذا كان داود نفسه يدفع ثمن إعادة تأسيس مملكته الأسطورية من وراء القبر، فأي "إسرائيلي" جدير بهذا الاسم يمكنه أن يرفض الانضمام إلى جيشه؟ [47]

في هذه الفترة تحديداً اكتسب مصطلح "إسرائيل" دلالة سياسية ودينية لأول مرة. ما يميز لغة التناخ هو وعيه العرقي وضيق نطاقه الطائفي، وكلاهما كانا من السمات البارزة لسلالة الحشمونيين. يعتبر العديد من العلماء الآن أن التناخ قد تم إنتاجه من قبل "جوهر أصولي يشبه طالبان من المتعصبين الدينيين". [48]

عندما غزا الحشمونيون جيرانهم، أجبروا غير اليهود على التحول إلى اليهودية، واشترطوا على الذكور البالغين أن يتم ختانهم ليصبحوا "إسرائيليين حقيقيين". [49] تم تحويل منطقة الجليل بأكملها قسراً في عام 100 قبل الميلاد. وفي الفترة نفسها شنوا حملات في شرق الأردن وإدوم والسامرة، فقاموا بذبح السكان أو إجبارهم على اعتناق اليهودية. وفي الوقت نفسه، فرّ آلاف اليونانيين واليهود المتأثرين بالثقافة اليونانية من فلسطين في مواجهة حركة طالبان اليهودية، ولهذا السبب انتهى المطاف بالعديد من الفلاسفة اليهود بالتدريس في روما.

قام الحشمونيون بتأليف القصص في التناخ لتبرير سلوكهم الوحشي. إن التطهير العرقي الذي قام به يشوع في كنعان، والذي "لم يترك فيه بنو إسرائيل أي كائن حي يتنفس"، قد أضفى الشرعية على نوع الممارسات التي كانت تُنفذ بالفعل على أرض الواقع. يروي يوسيفوس قصص الفتوحات العسكرية للقائد الحشموني هيركانوس بلغة تعكس تمامًا القصص الواردة في سفر الملوك الثاني حول التحويل القسري لشعوب بأكملها على يد الملك اليهودي يوشيا.

كانت قدرة الحشمونيين على القسوة أسطورية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالدين. فعلى سبيل المثال، قام ألكسندر جانيوس بصلب ثمانمائة من الفريسيين ذوي الميول الدينية الليبرالية، بينما تم ذبح نسائهم وأطفالهم أمام أعينهم. ويُقال إن ألكسندر جانيوس استمتع بهذا المشهد بينما كان "مستلقياً بين محظياته". [50] إن القسوة البغيضة التي تتسم بها أجزاء كبيرة من التناخ تصبح منطقية تماماً عند النظر إليها على أنها نتاج هذا النوع من البيئة. فعلى سبيل المثال، يذكر التناخ أن موسى ثار غضباً عندما قامت فرقة حرب إسرائيلية عائدة بذبح الذكور البالغين من المديانيين فقط. يأمرهم موسى بالعودة قائلاً:

> الآن اقتلوا جميع الصبيان، واقتلوا كل امرأة نامت مع رجل، ولكن أبقوا لأنفسكم كل فتاة لم تنام مع رجل قط. [51]

هل يعقل أن يكون هذا هو موسى نفسه الذي أمره الله بمنع القتل؟ أم أن هذا هو ألكسندر جانيوس

متنكراً؟

العصر الجديد

لا يذكر كتاب المكابيين، الذي كتب في العصر الحشموني، أي مجموعة نهائية وموثوقة من الكتب المقدسة. يشير فقط إلى مجموعات مختلفة من النصوص، ويذكر أن إحدى هذه المجموعات قد فُقدت في الحروب، ولكن بدأت مجموعة جديدة. [

[52] على الرغم من أن سفر المكابيين يدعي أنه كتب في القرن الثاني قبل الميلاد، إلا أنه في الواقع كتب في القرن الأول قبل الميلاد. وهذا دليل إضافي على أنه لم يكن هناك شيء اسمه التناخ حتى وقت متأخر يصل إلى القرن الأول قبل الميلاد.

تشير الأدلة إلى أن التناخ العبري والترجمة السبعينية اليونانية نشأتا في نفس الهوس القومي بالكتب الذي أنتج كل مئات النصوص الأخرى التي نمتلكها. بدلاً من أن يتطور التناخ ككل متماسك على مدى قرون، ظهر كخليط غير متماسك من النصوص، تم تجميعها من قبل مجموعة من المتطرفين الدينيين في غضون بضعة أجيال. [53] ومن الأدلة المقنعة الأخرى التي تدعم هذا الادعاء التسلسل الزمني المتقن للتناخ.

في القرن السابع عشر الميلادي، قام جيمس أوشر، رئيس أساقفة أرماغ ورئيس أساقفة عموم أيرلندا، بحساب تاريخ خلق العالم ليكون يوم الأحد، 3 أكتوبر 4004 قبل الميلاد. تم تضمين استنتاج أوشر في النسخة المعتمدة من الكتاب المقدس التي طُبعت عام 1701، وأصبح يُعتبر حقيقة من حقائق الكتاب المقدس. وخلص رئيس الأساقفة كذلك إلى أن آدم وحواء طُردا من الجنة يوم الاثنين، 10 نوفمبر 4004 قبل الميلاد، وأن سفينة نوح قد رست على جبل أرارات في 5 مايو 1491 قبل الميلاد، والذي كان يوم الأربعاء. توصل رئيس الأساقفة أوشر إلى "اكتشافه" من خلال جمع الفترات الزمنية المسجلة بعناية في جميع نصوص التناخ. في الواقع، كان الأمر دقيقاً للغاية لدرجة أنه يبدو كما لو أن شخصاً ما ترك أثراً عن قصد يمكن تتبعه بسهولة تامة. لماذا قد يفعل أحدهم ذلك؟

اعتقد المؤرخون الهلنستيون في تلك الفترة أن "عامًا عظيمًا"، يمتد لأربعة آلاف عام، كان يقترب من نهايته وأن عصرًا جديدًا على وشك البدء. لقد تنبأ بذلك هِرَقْليطُس وأفلاطون والفلاسفة الرواقيون. أعرب فيرجيل وشيشرون عن أسفهم لأن العالم أصبح مروعاً لدرجة أنه تأخر كثيراً. إن التناخ، باعتباره نتاج هذه البيئة، يتصور أيضاً "سنة عظيمة" تمتد لأربعة آلاف سنة. [54]

تبدأ السنة العظيمة في التناخ مع آدم وتتوج بالعصر الجديد للاستقلال اليهودي الذي بدأه الحشمونيون. لقد تتبع رئيس الأساقفة أوشر الأثر إلى ما اعتقد أنه تاريخ الخلق، لكن هذا لم يكن الغرض من جامعي التناخ. أراد مبتكرو التسلسل الزمني أن يتابعه قراؤهم من فجر الخلق إلى زمنهم، الذي اعتبروه "السنة صفر". فيما يلي التسلسل الزمني للتناخ كما حسبه العلماء المعاصرون:

أدم	4164 قبل الميلاد
ميلاد ابراهيم	2218
الدخول إلى مصر	1928
الخروج من مصر	1498
هيكل سليمان	1018
المنفى إلى بابل	588
العودة إلى القدس	538
إعادة تكريس الهيكل	164 قبل الميلاد - السنة صفر [55]

تنتهي "السنة العظيمة" في التناخ في نفس السنة التي أعيد فيها تكريس الهيكل في القدس بعد أن استولى يهوذا المكابي على السلطة. بدأ الحشمونيون تقويماً جديداً في هذه الفترة لأنهم اعتبروا أنفسهم خالقي عصر جديد.

التناقضات في التناخ

يجمع التناخ أجزاءً من مجموعة مشتركة من التقاليد الشعبية الفلسطينية والمصرية وبلاد ما بين النهرين التي نشأت في فلسطين على مر القرون. ثم قامت مجموعة من الطوائف القومية والدينية بتجميع هذه الأجزاء وتحريرها في سرد تاريخي زائف مطول. لكن الحشمونيين، مثل جميع مبدعي الأدب النبوي، لم يكونوا مهتمين بالتاريخ إلا إذا كان من الممكن استخدامه لخدمة مصالحهم في الحاضر، ولذلك قاموا باختلاق ماضٍ جعل الحاضر يبدو حتمياً. لكن استهتارهم بالتاريخ ترك لنا مجموعة من النصوص المليئة بالمشاكّل والتناقضات.

لنأخذ الكتب الخمسة الأولى من التناخ، والمعروفة باسم كتب موسى. في وقت مبكر من القرن الثاني عشر الميلادي، أعرب الحاخامات اليهود عن شكوك عميقة في أن هذه النصوص يمكن أن تكون قد كتبت بالفعل بواسطة موسى. أشار العالم اليهودي إسحاق بن يشوش إلى أن قائمة في سفر التكوين ذكرت أسماء ملوك عاشوا بعد فترة طويلة من المفترض أن يكون موسى قد عاش فيها. وأشار إبراهيم بن عزرا إلى أن العديد من المقاطع أشارت إلى موسى بصيغة الغائب، واستخدمت مصطلحات لم يكن موسى ليعرفها، ووصفت أماكن لم يزرها، واستخدمت لغة من فترة مختلفة تمامًا. [56] وفي وقت لاحق، قدم هوبز وسبينوزا ملاحظات مماثلة. طُرد سبينوزا من كنيسه بسبب

ملاحظته أن موسى لا يمكن أن يكون قد كتب رواية موته!

بحلول أواخر القرن التاسع عشر، توصلت مدرسة الدراسات الكتابية المعروفة باسم "النقد الأعلى"، والتي تعتمد على التحليل اللغوي والنصي، إلى استنتاج مفاده أن أسفار موسى لا يمكن أن تكون قد كُتبت بواسطة موسى. وجد العلماء في الفصول الأحد عشر الأولى من أسفار موسى قصتين عن الخلق، وقصتين عن الطوفان، وروايتين مختلفتين عن كيفية انتشار الأمم على وجه الأرض. ثم لاحظوا أن هذه القصص المزدوجة لها اسمان مختلفان لله: إيل و يهوه. من الواضح أنه تم دمج تقاليد منفصلة في الأصل. أصبحت الفرضية القائلة بأن أسفار موسى قد تم إنشاؤها عن طريق دمج وثائق منفصلة مقبولة عالميًا تقريبًا. كما كتب أحد الباحثين المعاصرين:

> يكاد لا يوجد عالم واحد في العالم يعمل بنشاط على هذه المشكلة ويدعي أن أسفار موسى الخمسة قد كتبها موسى - أو أي شخص آخر. [57]

توجد مشاكل خطيرة أخرى تتعلق بالتفسير التقليدي لكتب موسى. فعلى سبيل المثال، يخبر الله موسى أن الآباء الأوائل عرفوه فقط باسم ايل شداى، وهو إشارة إلى الإله إيل ويعني "إيل القدير". [58] وكان إيل إله الكنعانيين، الذين كانوا يُعتبرون أعداء موسى ويشوع! وجد محررو الكتاب المقدس هذا الأمر محرجاً، فابتكروا قصتهم الخاصة لتفسيره. بعد الخروج، أوضح الله لموسى أنه لم يعد يحب اسم "إيل" ويفضل أن يُدعى "يهوه" من الآن فصاعدًا. لكن إذا كان اسم يهوه غير معروف لبني إسرائيل حتى بعد الخروج، فكيف نفسر اسم "يشوع" الذي يعني "يهوه هو الخلاص"؟ ولد يشوع قبل بدء الخروج، لذلك لم يكن من الممكن أن يُطلق عليه اسم يشير إلى "يهوه".

ومع استمرار العلماء في دراسة التناخ بتفصيل متزايد، تضاعفت التكرارات والتناقضات إلى نسب سخيفة. صعد موسى جبل سيناء ثماني مرات على الأقل. يتلقى الوصايا العشر في سيناء في سفر الخروج، ثم مرة أخرى في حوريب في سفر التثنية.

. كتب الله الألواح الحجرية في سفر الخروج، الإصحاح 31، لكن موسى نقشها في الإصحاح 34. توجد ثلاث نسخ مختلفة من خطاب وداع موسى. لدينا ثلاث روايات مختلفة عن غزو القدس في ثلاثة كتب مختلفة، وواحدة منها فقط تحت قيادة داود. توجد ثلاث روايات عن موت شاول (طالوت) وثلاث روايات عن موت جالوت. ويذكر سفر إرميا أن جميع السكان نُفوا ثلاث مرات! وبحسب أحد الباحثين، لولا كل هذه الاختلافات، لكان طول النص نصف طوله الحالي. [59]

لم يضيع التابوت أبداً!

إن فهم الطريقة العشوائية التي تم بها تأليف التناخ يحل أحد الألغاز الدائمة التي شغلت الخيال الشعبي لقرون دون داع. ما يسمى بـ"تابوت العهد المفقود". هناك مائتا إشارة إلى هذا التابوت الغامض الذي يُفترض أنه كان يحتوي على لوحي موسى. ويُقال إن بني إسرائيل حملوا التابوت معهم في رحلاتهم من مصر، وقاموا بوضعه في هيكلهم عندما وصلوا إلى القدس. لكن في وقت لاحق، يصف التناخ الهيكل بأنه فارغ ويبدو أن التابوت قد اختفى دون تفسير. أثار لغز مكان وجودها نظريات مجنونة أكثر من تلك التي ظهرت عن بيغ فوت ووحش بحيرة لوخ نيس مجتمعين. لكننا لسنا بحاجة في الواقع للبحث عن التابوت مثل النازيين المختلين عقلياً، لأن التابوت

لم يضيع أبداً.

يكمن مفتاح حل هذا اللغز في فهم التاريخ المضطرب لفلسطين. كانت هذه المنطقة الصغيرة ساحة معركة دائمة. لقد خاضت القوى العظمى في العالم القديم، مصر وآشور وبابل وفارس واليونان وفي النهاية روما، جميعها معارك في فلسطين وقامت بتمركز حاميات فيها كمنطقة عازلة.

وبينما كان ميزان القوى يتأرجح بشكل كبير ذهاباً وإياباً بين الإمبراطوريات المختلفة على مر العصور، لم يكن أمام القبائل التي تعيش في هذه الأرض التي ليست لأحد خيار سوى تغيير ولاءاتها باستمرار.

في مرحلة من التاريخ كان المصريون فيها في أوج قوتهم، ابتكر الناس الذين يعيشون في فلسطين قصة عن معبدهم الديني المصمم لإرضاء المصريين، الذين كانوا معروفين بحمل آلهتهم في قارب أو سفينة، ووضع تماثيل أبو الهول بالقرب منه لحراسته. لذلك كان لدى شعب فلسطين أيضًا مزار به تابوت واثنين من أبو الهول أو الكروبيم لحراسته. وفي فترة أخرى، عندما كان الفرس في أوج قوتهم، قام أهل فلسطين بتغيير القصة لإرضاء حكامهم الجدد. لم يصنع الفرس صوراً لآلهتهم لأنهم اعتبروا ذلك قمة التجديف. وها نحن نجد أن شعب فلسطين لديه أيضاً مزار خالٍ من الصور.

إن حل واحدة من أكثر عمليات المطاردة عبثية في التاريخ بسيط. نعلم أن هذا سيخيب آمال محبي إنديانا جونز، ولكن في الحقيقة لم يضيع التابوت أبدًا، بل تم حذفه من السجل بواسطة محرر عندما أصبح عبئًا. بمرور الوقت، تم دمج القصتين في التناخ، وظل التناقض بينهما دون حل.

إن نفس الاعتبارات هي التي دفعت واضعي الأساطير التوراتية إلى تصوير اثنين من القادة العظماء كآباء لليهود. إبراهيم من بلاد ما بين النهرين وموسى من مصر. كان من المفيد الاحتفاظ بكليهما في المحفوظات لإرضاء البابليين أو المصريين، حسب من كان في السلطة. وبالمثل، عندما بدأت روما تضغط على يهودا وبدا التحالف مع اليونان فكرة جيدة، تم استخراج مراسلات دبلوماسية من الأرشيف تُظهر أن اليهود والإسبرطيين اليونانيين كانوا مرتبطين، حيث أن كلاهما ينحدر من إبراهيم. [60] كان ذلك هراءً محضاً، بالطبع، لكن الظروف الصعبة تتطلب إجراءات يائسة.

أول الموحدين؟

يقال لنا تقليدياً أن اليهودية جلبت عقيدة التوحيد إلى البشرية الفقيرة الجاهلة لأول مرة. لكن هذا ليس إلا دعاية يهودية ومسيحية. لا يوجد في التناخ بأكمله بيان قاطع للتوحيد. لقد أخفى التحرير والترجمة الماهرة حقيقة وجود عدد محرج من الآلهة في الكتاب المقدس. تشير القصص المروية في أسفار موسى إلى الإلهين إيل ويهوه، لكن إيل يكون أحيانًا مذكرًا، وأحيانًا مؤنثًا، وأحيانًا جمعًا. فعلى سبيل المثال، تتحدث الكلمات الافتتاحية الشهيرة لسفر التكوين عن الآلهة بصيغة الجمع: "في البدء خلق الآلهة الأرض". كما اكتشف علماء الآثار عدداً من الآلهة التي تحمل اسم يهوه. نعرف إلهاً يُدعى ياهو أو ياو من نابو، وكذلك آلهة يهوه من تيمان والسامرة. [61] كما يقول أحد العلماء:

إن الأسماء المستخدمة للإشارة إلى الله في الكتاب المقدس هي مزيج غريب من الأشياء. يبدو الأمر كما لو أن مؤلفي الكتاب المقدس حاولوا استيعاب جميع الأسماء المختلفة من الثقافة الكنعانية المحلية وترجمتها إلى مصطلحات يهودية. [62]

أدان الأنبياء اليهود مراراً وتكراراً شعبهم لعبادة آلهة أخرى غير يهوه، مثل بعل وآمون وكموش وتموز. وقد كشفت الدراسات الأثرية أن الآلهة اليونانية مثل أثينا وهيراكليس وغيرهم الكثير كانت تُعبد أيضاً في المنطقة. [63] يندب إرميا أن عدد الآلهة التي كانت تعبد في يهودا كان يساوي عدد مدنها، وأن المذابح في القدس كانت تساوي عدد الأكشاك في السوق. [64] لا عجب أن يهوه كان إلهاً غيوراً للغاية. لقد واجه منافسة شديدة.

فكيف وصلنا إلى اعتبار اليهود موحدين؟ تم تجميع التناخ في العالم الهلنستي عندما كانت الفكرة الأكثر أهمية التي شكلت تصور الناس عن الإله هي التوحيد اليوناني. كان فولتير أول من اقترح وجود طائفة توحيدية سرية بين اليونانيين سبقت التوحيد اليهودي. [65] كان مصيباً ومخطئاً في آن واحد. كانت هناك طائفة كهذه، لكنها لم تكن سراً على الإطلاق.

في القرن السادس قبل الميلاد، كتب هِرَقْليطُس عن الإله الواحد الذي يسميه البعض زيوس، ولكنه لا يمانع أن يُطلق عليه أسماء أخرى. [66] أدلى فيثاغورس وبارمنيدس وزينوفانيس وغيرهم الكثير بتصريحات مماثلة. إن الكثير من إنتاج أفلاطون الأدبي عبارة عن مديح ودفاع مطول عما يسميه "الواحد"، والذي يساويه بالله ويعرّفه بأنه "الوجود". كما جادل الفلاسفة الرواقيون والكلابيون بأن الآلهة الشعبية كانت كثيرة، لكن الإله الحقيقي واحد. [67] بمعنى ما، فإن تسمية هذه الفلسفة اليونانية بالتوحيد أمر مضلل، لأنها في الواقع أكثر تعقيداً من ذلك. إنها تعدد الآلهة التوحيدية. الاعتقاد بأن جميع الآلهة ليست سوى أقنعة متعددة لإله واحد أسمى وعالمي.

كانت هذه الفلسفة متقدمة بمراحل على اليهود، الذين كانوا لا يزالون غارقين في العقلية البدائية التي ترى أنه يجب إخفاء اسم إله المرء خوفاً من أن يستخدمه أعداؤه في السحر. عندما يعطي إله التناخ العبري اسمه لموسى، فإنه يشير إلى نفسه بشكل غامض باسم YHVH، والذي يتم توضيحه من خلال إدخال حروف العلة في كل من يهوه أو يِهْوِڤَ. أتاح إنتاج الترجمة السبعينية لليهود فرصة لجعل يهوه يتماشى مع المفاهيم اليونانية عن الله. في الترجمة السبعينية، تكلم الله الآن باليونانية ودعا نفسه "أنا هو الذي أنا". هذا تلاعب ذكي بالألفاظ على صيغة المتكلم المفرد للفعل "يكون"، والذي يساوي بين يهوه وإله الفلاسفة الذي هو الوجود. كما يقول الباحث اليهودي بيكرمان، فإن الترجمة السبعينية "أضفت طابعًا أفلاطونيًا على الرب نفسه". [68]

يزعم يوسيفوس أن موسى تحدث عن الله بمصطلحات أفلاطونية تمامًا باعتباره "الواحد، غير المخلوق وغير المتغير إلى الأبد، في جماله يفوق كل فكر بشري". [69] لكن من المستحيل التوفيق بين هذه المشاعر النبيلة وبين يهوه الغيور والمتعصب والقاسي الذي نجده بالفعل في التناخ. على الرغم من محاولات يوسيفوس لإضفاء طابع أفلاطوني على يهوه، إلا أنه في الحقيقة مجرد إله قبلي يمثل المصلحة الذاتية الفجة لشعب قومي. بينما قام أفلاطون بتوضيح إله غير شخصي وعالمي بشكل حقيقي، قام اليهود فقط برفع إلههم القبلي إلى الوجه الوحيد لله، بكل مشاكله الشخصية غير السارة إلى حد ما. لم تكن هذه خطوة كبيرة للأمام من الفلسفة الوثنية، كما قيل لنا تقليدياً. لقد كانت

خطوة هائلة إلى الوراء تركتنا مع إله يشبه الشيطان.

زوجه الله

كان اكتشاف السيدة يهوه في السنوات الأخيرة بمثابة المسمار الأخير في نعش فكرة أن اليهود هم من أعطونا التوحيد. أكثر الأشياء الدينية شيوعاً التي تم العثور عليها في المواقع الأثرية في جميع أنحاء إسرائيل هي تماثيل صغيرة لنساء، وقد تم العثور على حوالي ثلاثة آلاف منها. في أواخر الستينيات من القرن العشرين، تم اكتشاف نقش يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد في خربة الكوم بالقرب من الخليل، يتحدث عن يهوه و "أشيرا". وفي سبعينيات القرن العشرين، تم اكتشاف موقع آخر في كونتيلة عجرود في سيناء. أكدت هذه النقوش أن التماثيل كانت تصويراً لزوجة يهوه الأنثوية المسماة أشيرا. [70]

يبدو من المثير للدهشة أن بني إسرائيل كانوا يعبدون السيد والسيدة الله لأن التناخ لا يبدو أنه يذكر أي إلهة. لكن في الواقع، تم ذكر أشيرا ما يقرب من أربعين مرة، على الرغم من أن المرء لا يشك أبدًا في أن هذه كانت إشارات إلى إلهة. كما كتب عالم آثار معاصر:

> قام كتّاب الكتاب المقدس اللاحقون بحذف اسم أشيرا بشكل منهجي من قائمة الآلهة. أخفوا وجودها في النص. [71]

أينما أشار النص الأصلي إلى "أشيرا"، قام المترجمون بترجمتها على أنها "أشيرا"، كما لو أن الاسم يشير إلى شيء مقدس، وليس إلى إلهة شخصية. حوّلوها إلى ذلك . وقد تفاقمت هذه المشكلة بسبب مترجمي نسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس، الذين لم يكن لديهم أي فكرة عما تشير إليه كلمة "أشيرا" وافترضوا أنها نوع من البستان المقدس. [72]

وقد أشار بعض العلماء إلى أن أثراً من عبادة أشيرا قد استمر في شخصية الحكمة الأنثوية، التي تظهر في العديد من كتب التناخ. إلهة "الحكمة" هي النسخة اليهودية من الإلهة اليونانية صوفيا، التي يعني اسمها "الحكمة". كانت هي الإلهة التي كرّمها "الفلاسفة" أو "عشاق صوفيا". لكن شخصية الحكمة في التناخ ليست سوى ظل للشخصية العظيمة للإلهة التي كانت تعبد في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط باسم أشيرا أو أفروديت أو عشتار. سعى واضعو التناخ إلى التقليل من أهمية الإلهة. على سبيل المثال، تحويل الأسطورة العظيمة لعشتار وزوجها مردوخ إلى قصة بسيطة عن زوجين يهوديين يُدعيان إستير ومردخاي.

الكتاب "الجيد"؟

أظهرت الأبحاث الحديثة الآن أن التناخ (المعروف أيضًا باسم العهد القديم) ليس سردًا دقيقًا للأحداث التاريخية. لكن هل يمكننا الاستمرار في اعتباره "الكتاب المقدس"، كما فعلنا لقرون، واستخدامه كأساس لقانون أخلاقي؟ بالتأكيد الإجابة هي "لا" بشكل قاطع. هل نريد حقاً الاستمرار في عبادة إله شرّع تطهير كنعان من خلال الإبادة الكاملة لكل رجل وامرأة وطفل وحيوان؟ نادراً ما يكون التناخ ذا طابع أخلاقي أو روحي ملهم. إنها مجموعة غريبة ومتناقضة من النصوص جمعها الحشمونيون غير الأخلاقيين والوحشيين والمتعصبين، وهي تعكس قيمهم بشكل مثالي.

تنتشر الأخلاق المشكوك فيها والقيم المتساهلة في جميع أنحاء الكتاب المقدس. خذ مثلاً قصة نوح، الذي أنقذه الله بعد أن أغرق بقية البشرية، لكنه تبين أنه ليس سوى سكير حاقد! بعد الطوفان، فقد نوح، الذي كان مولعاً بالشراب دائماً، وعيه عارياً على الأرض. يصادف أحد أبنائه، حام، والده بالصدفة، فيذهب ليخبر أخويه، سام ويافث، اللذين يعودان ويغطيان عورة والدهما باحترام. عندما استعاد نوح وعيه، لعن كنعان ابن حام.

معلناً أن نسله سيكونون عبيداً لسام ويافث وذريتهم إلى الأبد. إذن، العبرة من القصة هي أن الكنعانيين يستحقون العقاب لأن جدهم رأى نوحاً عارياً! إن الصراع الحديث بين اليهود والفلسطينيين متجذر في السلوك الحاقد لشخص ثمل كان الله يكن له محبة لا يمكن تفسيرها. هذا ليس من الأخلاق. هذا جنون.

وما هو الدرس الأخلاقي المستفاد من قصة إبراهيم تحديداً؟ حُبل بابنه إسحاق عندما كان عمر إبراهيم مائة عام وعمر زوجته تسعة وتسعين عاماً. لكن بعد الولادة المعجزة لطفلهما الذي طال انتظاره، أمر الله إبراهيم ببناء مذبح من الخشب، وربط ابنه، ووضعه على المحرقة، وذبحه. وكأن ذلك لم يكن كافياً، فبينما كان إبراهيم على وشك تنفيذ هذا الأمر المروع، أخبره الله أن الأمر برمته كان مجرد خدعة لاختبار إخلاصه! أي نوع من الآلهة هذا؟ لحسن الحظ، إذا أعلن أي شخص اليوم أنه على وشك ذبح طفله بناءً على تعليمات الرب، فسيتم القبض عليه على الفور.

لكن الله لم يكن أكثر لطفاً مع ابن إبراهيم الآخر إسماعيل، الذي أنجبه الأب سابقاً من هاجر، خادمة سارة. غيرةً من هاجر وإسماعيل، حثت سارة إبراهيم على تركهما في الصحراء. من المثير للدهشة أن الله يعتقد أن هذه فكرة جيدة. يأخذ إبراهيم هاجر وإسماعيل إلى البرية حيث يتركهما ليموتا. أنقذتهم معجزة، وأصبح إسماعيل فيما بعد جد جميع العرب. يمكننا أن نبحث مطولاً وبجدية للعثور على أي معنى أخلاقي في كل هذا، ومع ذلك سنعود خالي الوفاض. لكن كوسيلة يستخدمها اليهود لتشويه صورة العرب، فإن رسالتها تصل بوضوح تام. العرب هم أحفاد ابن زنا منبوذ تركه الله نفسه لمصيره في الصحراء.

وماذا عن الملك داود الحبيب؟ يعتبره اليهود أعظم ملك لإسرائيل. يعتبر المسيحيون أن يسوع من نسل داود. يقول القرآن إن داود كان نبياً عظيماً، وقد أمره الله على الجبال والطير ومطلع الشمس وغروبها. [73] لكن معايير داود الأخلاقية مشكوك فيها بشكل قاطع. في أحد الأيام، بينما كان داود يستيقظ من قيلولته بعد الظهر ويتجول على سطح قصره، رأى بثشبع، زوجة أحد جنرالاته، تستحم في منزلها. على الرغم من النهي التوراتي عن الزنا، أغوى داود بثشبع فحملت منه، ثم أرسل زوجها إلى جبهة القتال بأوامر صريحة بتعريضه لأقصى درجات الخطر، فقتل على الفور.

يندد النبي ناثان بسلوك داود، وعلى الرغم من أن داود ينفجر غضباً في البداية، إلا أنه يتوب لاحقاً. لكن ماذا يفعل ليطهر نفسه من ذنبه؟ ينام مع بثشبع مرة أخرى! لم يسمح يهوه لطفل بثشبع الأول بالعيش كوسيلة لمعاقبة داود. أما الطفل الثاني، سليمان، فقد عاش ليصبح ملكاً عظيماً. لذلك يقتل الله طفلاً بريئاً لمعاقبة والده، لكنه يبارك ابن داود غير الشرعي الآخر بمنحه حياة مترفة. هذا ليس من الأخلاق. إنها قتل الأطفال. وهو أمر لا يدعم "القيم العائلية" التي يتبناها الأصوليون الدينيون بكل قوة!

الفساد الأخلاقي متفشٍ في جميع أنحاء التناخ. لقد بذل الله جهوداً استثنائية لتدمير مدينتي سدوم وعمورة بسبب انحطاطهما الفاضح، ولم يُعتبر سوى لوط وعائلته جديرين بالنجاة. لكن مباشرة بعد ذلك يُخبرنا كيف قامت بنات لوط بإسكار أبيهن، وإغوائه، وحملن منه، ثم قام لوط بتربية أبناء بناته كأبنائه. إذا كان هذا هو المعيار الجديد للأخلاق الذي أراد الله أن يقيمه من رماد سدوم وعمورة، فلماذا تكبد عناء تدمير هذه المدن في المقام الأول؟

وماذا عن الوصايا العشر؟ تُعتبر هذه من أعظم القوانين الأخلاقية على مر العصور. ومع ذلك، تبدو هذه القوانين ساذجة ومبسطة بشكل محرج عند مقارنتها بقوانين حمورابي العظيمة في بلاد ما بين النهرين أو الاعتراف السلبي للمصريين. يبدأون بالإعلان "لا يكون لك إله آخر غيري"، ولكن بما أن هذا الإله هو الإله القبلي المتقلب يهوه الذي يضفي الشرعية على إبادة كل من يعارضه، فإن هذا يمنع إلى حد كبير محاولة استخلاص أي نوع من الحس الأخلاقي من التسعة الأخرى.

إن السبب الذي يجعلنا لا نعبد إلهاً آخر غير يهوه هو أنه، كما يعترف هو صراحةً، يميل يهوه إلى الغيرة. لكن أليست الغيرة خطيئة مميتة؟ يبدو أن وصية عدم القتل لم يكن لها أي تأثير على غالبية الشخصيات الرئيسية في التناخ. لكن، مع ذلك، لا يمكننا أن نتوقع منهم الاتساق عندما يتجاهل الله نفسه وصيته بشكل منتظم. هذا لا يزال يترك لنا بعض الوصايا التي يمكن إنقاذها، مثل عدم الطمع في ثور أو حمار الجار، ولكن لحسن الحظ لم تعد مثل هذه الجرائم مشكلة كبيرة في العالم الحديث.

الدعاية القومية والأساطير الغنوصية

لقد كان التناخ (المعروف أيضًا باسم العهد القديم) جزءًا من ثقافتنا لفترة طويلة لدرجة أننا غير قادرين على تطبيق نفس المعايير النقدية على هذه المجموعة من الكتب القديمة التي نطبقها على أي قطعة أخرى من الأدب القديم. في النهاية، لو وجدنا هذه النصوص اليوم، هل كنا سنصدق للحظة أن نوح وزوجته قد جمعا كل حيوانات العالم على متن سفينتهما الصغيرة؟ أم أن يشوع قد هدم أسوار أريحا بالبوق؟ بالتأكيد لا! سنقرأها كما نقرأ ملحمة جلجامش أو قصة بيوولف، مع العلم أن أي شيء له صلة بالتاريخ مدفون بالكامل تقريبًا تحت طبقات من التراكمات الأسطورية. بالتأكيد لن نكون في هذا الوضع العبثي الذي نحن فيه اليوم، حيث تعج الأرض المقدسة ببعثات ممولة تمويلاً جيداً تهدف إلى العثور على سفن مفقودة أو أبواق سحرية!

قبل ألفي عام، وصف يهودي من سبط بنيامين، خُتن في اليوم الثامن، وكان في السابق فريسيًا غيورًا، النصوص المقدسة لليهودية بأنها "هراء" عفا عليها الزمن لدرجة أنها ستصبح غير ذات جدوى قريبًا. [74] نحن نعرفه باسم القديس بولس. لكن للأسف، على الرغم من أن بولس كان محقاً بشأن كون التناخ سيئاً، إلا أنه كان مخطئاً بشأن كونه زائداً عن الحاجة. بدلاً من ذلك، انحدرت الحركة المسيحية التي ساعد في إلهامها إلى طائفة حرفية تبنت هذه الخرافات كعهدها القديم. وتفاقمت هذه الكارثة أكثر عندما ظهر دين آخر يسمى الإسلام، والذي استند إلى نفس الخرافات القديمة. وبما أن ما يقرب من نصف سكان العالم الآن يسمون أنفسهم يهوداً أو مسيحيين أو مسلمين، فقد تركنا هذا غارقين حتى خصورنا في الوحل.

لكن بولس لم ينظر إلى الكتاب المقدس اليهودي على أنه مجرد "هراء". اعتبر الغنوصيون

اليهود، مثل بولس الطرسوسي وفيلو اليهودي، أجزاءً مهمة من التناخ بمثابة أساطير رمزية عميقة. لقد تمكنوا من تفسير هذه النصوص بهذه الطريقة لأن أجزاء منها كانت في الأصل قصصًا تعليمية غنوصية، والتي أجابت على حاجة الإنسان لفهم من أين أتينا وما هي الحياة. يقدم لنا التناخ، مثل العديد من النصوص المقدسة، نسخاً مشوهة من الأساطير الرمزية مغطاة بمواد أخرى أدرجها أتباع التفسير الحرفي للنصوص الدينية لأغراض سياسية.

على سبيل المثال، فسر الغنوصيون اليهود سفري التكوين والخروج على أنهما قصص رمزية متكاملة. كان يُنظر إلى سفر التكوين على أنه رمز لكيفية ضياع البشر ونفيهم في العالم، بينما كان يُنظر إلى سفر الخروج على أنه رمز للاستيقاظ على الغنوص. تم تفسير سفر التكوين على أنه علم الكونيات الصوفي، حيث يمثل أكل ثمرة شجرة الخير والشر السقوط من وحدة بدائية إلى حالة من الثنائية. كان يُفهم سفر الخروج على أنه رمز للصحوة حيث يرمز الأسر في مصر إلى الضياع في العالم، ويمثل عبور البحر الأحمر عملية التأهيل، وتمثل الأربعون سنة التيه في الصحراء العمل الروحي للاستيقاظ، ويمثل الوصول إلى الأرض الموعودة تجربة الغنوص.

من المعتاد لدى الغنوصيين محاولة إعادة إحياء تقاليدهم الدينية من خلال إبراز المعنى الصوفي الكامن في النصوص المقدسة. لقد فعل الفلاسفة الوثنيون ذلك مع أساطير هوميروس وهسيودوس. فعل الغنوصيون اليهود ذلك مع التناخ. في بعض الأحيان، ربما أسقط الغنوصيون على النصوص معاني صوفية لم تكن موجودة أصلاً، ولكن في كثير من الأحيان استعادوا حقائق قديمة مشفرة من قبل غنوصيين آخرين سبقوهم. كان الهدف من الأجندة الغنوصية على مر التاريخ هو إظهار التفسيرات الحرفية للنصوص المقدسة على أنها "هراء" وإحياء تعاليم الغنوص التي عبرت عنها هذه الأساطير في الأصل.

الفصل الرابع أشهر رجل لم يعش قط

الأمور التي قد تقرأها في الكتاب المقدس، ليست بالضرورة كذلك.

جورج غيرشوين

في قديم الزمان، ظهر نجم جديد ساطع في السماء. سافرت عبر السماء واستقرت فوق إسطبل صغير. ظهر ملاك للرعاة في حقل قريب وأخبرهم أن ابن الله على وشك أن يولد. عندما ذهبوا إلى الإسطبل وجدوا طفلاً قد ولد لتوه لفتاة يهودية كانت لا تزال عذراء. أُطلق على الطفل المعجزة اسم يسوع.

في سن الثلاثين، تم تعميد يسوع، وأعلن صوت الله للجميع أنه ابن الله الوحيد وأن الله فخور به للغاية. انطلق يسوع لتعليم الناس عن الله واختار اثني عشر شخصًا ليكونوا تلاميذه المميزين. أجرى يسوع العديد من المعجزات. حوّل الماء إلى خمر في حفل زفاف. لقد سار على الماء، وأسكن العواصف العظيمة، وخلق طعاماً لآلاف الأشخاص من العدم، وشفى العديد من الناس، بل وأعاد بعضهم من الموت.

دخل يسوع إلى القدس راكباً حماراً محاطاً بمؤيديه الذين كانوا يهتفون له. وفي المدينة، انتقد الزعماء الدينيين اليهود ووصفهم بالنفاق. غضبوا بشدة وأبلغوا عنه الرومان الذين أعدموه. لكن بعد ثلاثة أيام عاد إلى الحياة. وفي وقت لاحق صعد إلى السماء، ولكن ليس قبل أن يعد بأنه سيعود قريباً لمعاقبة الأشرار وأخذ الأخيار إلى السماء، حيث سيعيشون في سعادة أبدية.

تخيل، إن استطعت، أنك لم تسمع هذه القصة من قبل. اكتشف علماء الآثار مؤخراً نصاً قديماً يروي هذه الحكاية المعجزة في كهف بفلسطين. هل تعتقد أنه سيُقرأ اليوم كسجل تاريخي لأشياء حدثت بالفعل؟ ألن يتم التعامل معها كأسطورة قديمة أخرى، مثل آدم وحواء أو جاسون وبحارو الأرجو؟ تحمل قصة يسوع جميع سمات الأسطورة. والسبب في ذلك بسيط للغاية. انها أسطورة. في الواقع، إنها ليست مجرد أسطورة، بل هي نسخة يهودية من أسطورة وثنية!

الرجل الإله الوثني الذي يموت ويبعث أقدم النصوص الدينية في العالم تعود إلى مصر القديمة وتحكي قصة أوزيريس. أوزيريس إله تجسد في صورة إنسان وجاب مصر يعلم الناس الدين والطريقة الصحيحة للعيش. لقد قُتل على يد قوى الشر، لكنه عاد إلى الحياة بطريقة سحرية وصعد إلى السماء ليصبح قاضي الأرواح في الآخرة. كان المصريون القدماء يعتقدون أنهم سيتمتعون بالحياة الأبدية من خلال عبادة أوزيريس واتباع تعاليمه.

على مدى الألفي عام التالية، تبنت ثقافات في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط هذه الأسطورة، بما تحمله من وعد بالخلود، وجعلتها جزءًا من تراثها. لقد قاموا بدمج الروحانية المصرية المتطورة مع أساطيرهم المحلية الخاصة لخلق مختلف "الديانات الغامضة" في العالم القديم. كل ديانة غامضة كانت تُعلّم نسختها الخاصة من أسطورة الرجل الإله الذي يموت ويبعث، والذي كان يُعرف بأسماء مختلفة في أماكن مختلفة. في مصر، حيث بدأت الأسرار، كان هو أوزيريس. في اليونان يصبح ديونيسوس، وفي آسيا الصغرى يُعرف باسم أتيس، وفي سوريا يُعرف

باسم أدونيس، وفي بلاد فارس يُعرف باسم ميثراس، وفي الإسكندرية يُعرف باسم سيرابيس، على سبيل المثال لا الحصر.

كانت الديانات السرية تحظى بشعبية هائلة في العالم القديم. كان معظم الفلاسفة ورجال الدولة العظماء في العصور القديمة من المتأهلين في هذه الجماعة، بما في ذلك عدد من الأباطرة الرومان. لقد تعلم المتأهلون في الأسرار أن أسطورة الرجل الإله كانت رمزية ضخمة، يمكن فك شفرة كل عنصر منها للكشف عن حقائق روحية عميقة تؤدي إلى تجربة الغنوص. هذه بعض القصص الرمزية التي تُروى عن الرجل الإله الوثني بأشكاله المختلفة العديدة. نعتقد أنها ستكون مألوفة:

أبوه هو الله وأمه فتاة عذراء.

يُشيد به أتباعه باعتباره المخلص، والله المتجسد، وابن الله.

يولد في كهف أو حظيرة أبقار متواضعة في الخامس والعشرين من ديسمبر أمام الرعاة.

يحيط نفسه باثني عشر تلميذاً.

وهو يمنح أتباعه فرصة الولادة من جديد من خلال طقوس المعمودية.

يحوّل الماء إلى خمر بطريقة عجيبة في حفل زفاف.

يدخل المدينة منتصراً على ظهر حمار بينما يلوح الناس بسعف النخيل تكريماً له.

يهاجم السلطات الدينية التي سعت إلى تدميره .

يموت في عيد الفصح كذبيحة من أجل خطايا العالم، وأحياناً عن طريق الصلب.

وفي اليوم الثالث يقوم من بين الأموات ويصعد إلى السماء في مجد.

ينتظر أتباعه عودته كقاضٍ في آخر الزمان.

يتم الاحتفال بموته وقيامته من خلال وجبة طقسية من الخبز والنبيذ، والتي ترمز إلى جسده ودمه.

من خلال المشاركة الرمزية في معاناة وموت الرجل الإله، اعتقد المتأهلون في الأسرار أنهم سيشاركون أيضًا في قيامته الروحية وسيعرفون الحياة الأبدية.

هذه، بالطبع، هي القصة التي نعتبرها الآن حياة يسوع. لكن على الرغم من أن أوجه التشابه بين الأساطير الوثنية وقصة يسوع غالباً ما تشكل صدمة للناس اليوم، إلا أنها كانت واضحة في العالم القديم للوثنيين والمسيحيين على حد سواء. اتهم الوثنيون المسيحيين مراراً وتكراراً بسرقة أساطير الأسرار. إن الطريقة التي استجاب بها المسيحيون الأوائل لهذا النقد تكشف الكثير.

بحلول نهاية القرن الثاني، نجد الحركة المسيحية منقسمة إلى معسكرين متعارضين، نسميهما الغنوصيين والحرفيين. ما يفرق بين المسيحيين الغنوصيين والمسيحيين الحرفيين هو اختلاف طرق

تفسيرهم لأوجه التشابه بين قصة يسوع والأساطير الوثنية. التفسير الغنوصي واضح ومباشر. يسوع هو الإله الوثني الذي مات وقام من بين الأموات تحت اسم جديد. بل إن الغنوصيين يشيرون إلى يسوع باستخدام أسماء الإله الوثني، ويساوونه مباشرة بـ "أتيس". [1] بالنسبة للغنوصيين، فإن قصة يسوع هي أسطورة رمزية للتأهيل، تستند إلى الأساطير الوثنية القديمة.

أما المسيحيون الحرفيون الأوائل، مثل جاستن الشهيد وترتليان، فلديهم تفسير أكثر تعقيداً. يزعمان أن يسوع كان رجلاً حقيقياً عاش بالفعل أساطير الوثنيين. بينما تعتبر قصص الوثنيين عن الرجل الإله مجرد أساطير، فإن قصة يسوع هي سرد واقعي لأحداث خارقة للطبيعة. يشرح أصحاب التفسير الحرفي أن الشيطان، لعلمه أن يسوع سيأتي في الجسد، ابتكر الأساطير الوثنية عن الرجل الإله مسبقاً من أجل خداع المؤمنين وإضلالهم. يخبرنا جاستن أن القصص الوثنية عن ابن الله، الذي ولد من عذراء، وركب حمارًا، ومات وصعد إلى السماء، قد تم نشرها بواسطة "شياطين شريرة". [2] وافق ترتليان على أن الشيطان، "الذي تتمثل مهمته في تحريف الحقيقة"، قد نسخ الأسرار المقدسة، ومباركة الخبز، والمعمودية لغفران الخطايا، وحتى رمز القيامة نفسه. [3]

منذ أواخر القرن الثاني فصاعدًا، دارت معركة هائلة من أجل روح المسيحية. من جهة، كان هناك الغنوصيون الذين جادلوا بأن قصة يسوع كانت رمزية ضخمة، يمكن فك شفرة كل تفاصيلها للكشف عن تعاليم صوفية عميقة حول الغنوص. وعلى الجانب الآخر كانت هناك جماعة صاخبة من الحرفيين الذين كانوا يعتقدون أن قصة يسوع هي تاريخ. فمن على حق؟ المسيحيون الغنوصيون أم المسيحيون الحرفيون؟ هل يسوع أسطورة أم إنسان؟

الرجل الخفي

هل هناك أي دليل تاريخي يدفعنا إلى الاعتقاد بأن القصص الخيالية ليسوع في الأناجيل هي حقيقة وليست خيالاً؟ يقال إن يسوع قد أطعم آلاف الناس بمعجزة وأقام الموتى. يقال إنه عندما صُلب، غطى ظلام عظيم غير طبيعي الأرض، واهتزت الأرض كلها وانشقت، وخرج الموتى من قبورهم. لو كانت مثل هذه الأحداث الدرامية قد وقعت بالفعل، لكان من المؤكد أن أحد المؤرخين الكثر في ذلك الوقت قد ذكرها. لكن لا أحد منهم يفعل ذلك.

احتفظ الرومان بسجلات قانونية مفصلة، ولكن لم يتم العثور على أي سجل لمحاكمة أو صلب يسوع. قام مسيحيون لاحقون بتزوير مثل هذه الوثائق، ولكن من المعروف منذ فترة طويلة أنها مزيفة. في الواقع، من بين مئات الكتب التي كُتبت خلال هذه الفترة التاريخية الغنية بالقراءة والكتابة، لم يُقدّم سوى عدد قليل من أجزاء النصوص كدليل محتمل على وجود يسوع التاريخي. لكن لا شيء منها يصمد أمام التدقيق.

من بين جميع المؤلفين الرومان، هناك ثلاث فقرات صغيرة في كتابات بليني وسويتونيوس وتاسيتس، والتي يدعي المدافعون المسيحيون أنها دليل على وجود يسوع. لكن هؤلاء المؤلفين كانوا يكتبون في القرن الثاني، بعد فترة طويلة من الحياة المفترضة ليسوع، وكل ما يخبروننا به في الواقع هو أن عددًا قليلاً من المسيحيين كانوا موجودين في العالم الروماني في ذلك الوقت، وهو أمر لم يكن موضع شك على الإطلاق. إن الإشارة في كتابات بليني هي مجرد حاشية تافهة في رسالة تتحدث عن بعض مثيري الشغب المسيحيين، ويشير سويتونيوس في الواقع إلى شخص يُدعى

"كريستوس"، ويعتبر العديد من العلماء الآن أن مقطع تاسيتس مزيف.

وماذا عن الكتاب اليهود في ذلك الوقت؟ كان ينبغي أن يكونوا أكثر اهتماماً بشخصية يهودية مشهورة مثل يسوع، لكن الوضع هنا أسوأ من ذلك. ينبغي على فيلو أن يذكره، لأنه عاش في نفس الوقت الذي يُزعم فيه أن يسوع كان يثير المشاكل في القدس. ومع ذلك، فإنه لا يذكر في كتبه العديدة أي شيء عن يسوع أو أي من الأحداث الموصوفة في العهد الجديد. المؤرخ اليهودي الوحيد الذي ذكر يسوع هو يوسيفوس.

في فقرة واحدة من بين العديد من أعماله، يقدم ما يبدو للوهلة الأولى إشارة متألقة إلى يسوع "المسيا". لكن قبل أكثر من مائتي عام، رفض العالم الكبير إدوارد غيبون في كتابه "انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية" هذا المقطع باعتباره "تزويرًا مبتذلًا". [4] لقد أثبت أن المقطع لم يكن موجودًا في كتابات يوسيفوس في بداية القرن الثالث، وأنه لا بد من إدراجه في النص في أوائل القرن الرابع، بعد أن أصبحت المسيحية دين الإمبراطورية الرومانية.

إن هذا المقطع هو إضافة واضحة لأنه عند حذفه يصبح النص الأصلي أكثر سلاسة وأكثر منطقية. إن المشاعر التي يعبر عنها هذا النص لا تتوافق إطلاقاً مع آراء يوسيفوس حول الأسطورة اليهودية للمسيا. كتب يوسيفوس أعماله بعد تدمير القدس عام 70 ميلادي على يد الرومان، والذي ألقى باللوم فيه بالكامل على العديد من المبشرين الذين كانوا يتجولون في فلسطين في السنوات التي سبقت الكارثة. أدان يوسيفوس هؤلاء المسيحين ووصفهم بأنهم "قطاع طرق دينيون" قاموا بتحريض الناس على الهوس المسياني وخدعوهم ليعتقدوا أنهم قادرون على هزيمة قوة روما.

بعد تدمير القدس، تخلى يوسيفوس عن الديانة اليهودية تماماً وذهب للعيش في روما. وهناك كتب كتباً رعاها الرومان الأثرياء وكانت تهدف إلى تحذير الشرق من المزيد من المقاومة التي لا طائل منها، وخاصة بشأن مخاطر الاستماع إلى تلك النبوءة اليهودية البالية بأن المسيا سيظهر من إسرائيل. بل إن يوسيفوس يثير غضب الغيورين الدينيين اليهود من خلال قوله إنه في رأيه قد تحققت أسطورة المسيا بالفعل، ليس على يد يهودي ولكن على يد القائد الروماني فسبازيان، الذي أصبح إمبراطورًا أثناء حصاره للقدس! لذا فمن المستحيل ببساطة أن يكون يوسيفوس قد قال الأشياء التي يدعيها مزور مقطع يوسيفوس عن يسوع.

وباستثناء القصص الخيالية في العهد الجديد، فإن هذه هي "الأدلة" الوحيدة التي عثر عليها العلماء على الإطلاق للشهادة على الحياة المفترضة ليسوع. كما كتب الباحث البروتستانتي ألبرت شفايتزر في كتابه "البحث عن يسوع التاريخي":

> لا يوجد شيء أكثر سلبية من نتيجة الدراسة النقدية لحياة يسوع ... لقد انهارت وتفتت وتفككت بسبب المشاكل التاريخية الملموسة التي ظهرت على السطح واحدة تلو الأخرى. [5]

في سبعينيات القرن العشرين، تركت راهبة كرملية تدعى فيليس غراهام رهبانيتها وكتبت كتابًا بعنوان "خدعة يسوع" شرحت فيه سبب توصلها إلى استنتاج مفاده أنه لا يوجد يسوع تاريخي. [6] للأسف، مثل الغالبية العظمى من المتحولين، فعلت الأشياء بطريقة خاطئة. أمضت حياتها مؤمنة، ثم ذهبت تبحث عن أدلة تدعم إيمانها بوجود يسوع الإنسان. لم تجد شيئاً. بالنسبة لها، يعتبر مقطع

يوسيفوس دليلاً حيوياً، ولكن ليس بالطريقة التي قصدها مؤلفه. بدلاً من أن تثبت وجود يسوع التاريخي، فإنها في الواقع دليل قاطع على أنه لم يكن موجوداً أبداً. لم ينجح المزور إلا في إثبات أنه حتى في ذلك التاريخ المبكر جداً، لم يتمكن المسيحيون من العثور على أدلة على وجود يسوع أكثر مما يستطيع العلماء اليوم، ولذلك قاموا باختلاق الأمر. إن اختلاق الأمور هو أمر يجيده المسيحيون الحرفيون للغاية.

في عام 2002 تم الإعلان عن اكتشاف مدفن جماعي يزعم أنه كان يحتوي في السابق على عظام "يعقوب بن يوسف أخ يسوع". ويُقال إن ليسوع أخاً يُدعى يعقوب كان يدير كنيسة القدس. أصبح المدفن العظمي خبراً عالمياً. بالنسبة للمسيحيين الحرفيين، الذين يدركون عدم وجود أدلة على وجود يسوع، كان الأمر يكاد يكون جيداً لدرجة يصعب تصديقها. وبالفعل، كان الأمر كذلك. عندما قام خبراء مستقلون بدراسة المدفن، اكتشفوا أنه على الرغم من أنه يعود بالفعل إلى القرن الأول وينتمي إلى شخص يُدعى يعقوب، إلا أن عبارة "أخو يسوع" قد أضيفت إلى النقش في القرن الثالث. [7] كان المدفن العظمي من صنع صناعة الآثار المقدسة، التي كانت تتاجر بعدد لا يحصى من القطع الأثرية المقدسة، مثل شظايا "الصليب الحقيقي"، والمسامير المستخدمة في الصلب، وعدد كبير من القلفات التي يُزعم أنها كانت تخص يسوع، وحتى حبله السري! أُعلن أن المدفن كان مزيفاً. لكن هذا، بالطبع، لم يصبح خبراً رئيسياً في جميع أنحاء العالم.

المسيح الأسطوري لبولس

لا يستطيع التاريخ التقليدي للمسيحية أن يفسر بشكل مقنع سبب تشابه قصة يسوع مع الأساطير الوثنية القديمة. ولا يمكنه أن يفسر لماذا لا يوجد دليل على وجود يسوع التاريخي. ومع ذلك، هناك حل يقضي على هاتين المشكلتين دفعة واحدة. كان الغنوصيون على حق. قصة يسوع هي أسطورة رمزية. هذا التفسير البسيط يحل أيضاً مشكلة أخرى حيرت العلماء لقرون. لماذا لم يذكر بولس أبداً يسوع التاريخي في رسائله؟

على الرغم من أن العلماء قد رفضوا الآن ما يقرب من نصف رسائل بولس باعتبارها مزورة، إلا أن رسائله الأصلية هي أقدم الوثائق المسيحية التي نمتلكها وتسبق الأناجيل بعقود عديدة. ينبغي أن تكون مليئة بالقصص عن حياة يسوع. لكنها ليست كذلك. لم يقتبس بولس من يسوع قط، ولم يذكر أي تفاصيل عن حياته. لم يشر قط إلى ولادة يسوع المعجزة. لم يروي أي حكايات عن مريم ويوسف. لم يرد ذكر أي معجزات. لا تحويل الماء إلى خمر، ولا المشي على الماء، ولا الحصول على وجبات خارقة أو صيد استثنائي للأسماك. لا يوجد موعظة على الجبل ولا صلاة الرب. لا يوجد عذاب في جثسيماني، ولا محاكمة، ولا جلد، ولا إكليل من الشوك، ولا لصوص صلبوا مع يسوع، ولا نساء باكيات، ولا شيء عن مكان أو وقت الإعدام، ولا يهوذا أو بيلاطس.

لقد تأمل العديد من العلماء المسيحيين في "ضآلة تقليد بولس عن يسوع"، والذي وصفوه بأنه "مثير للدهشة" و"صادم" و"مسألة تثير قلقاً بالغاً". [8] نتفق على أنه من غير المعقول أن بولس لم يكن ليتحدث عن حياة يسوع لو كان يعرف عنها. في تجربتنا مع الطوائف، لا يسع أتباع معلم متوفى حديثًا إلا أن يشيدوا بمدى روعة المعلم، وما فعله وما قاله. لكن كما كتب أحد العلماء، فإن صمت بولس التام بشأن يسوع التاريخي "لا يزال يمثل مشكلة فقط لأولئك الذين يصرون على وجود يسوع

تاريخي يجب الصمت بشأنه". [9]

من وجهة نظر التفسير الحرفي، فإن غياب يسوع التاريخي في رسائل بولس يمثل مشكلة كبيرة. لكن من وجهة النظر الغنوصية، فإن ذلك منطقي تماماً. بولس غنوصي، ويسوعه هو بطل أسطورة التأهيل. تبدو هذه الفكرة صادمة لأن بولس يُعتبر اليوم معقلاً للعقيدة الحرفية. لكن في القرنين الأولين، تم تكريم بولس من قبل الغنوصيين باعتباره "رسولهم العظيم" وتم تبجيله باعتباره الأب المؤسس للغنوصية المسيحية. يخبرنا المعلم الغنوصي فالنتينوس أن معلمه قد تلقى تعاليم الغنوصية مباشرة من بولس. في الواقع، تم العثور على العديد من الأعمال الغنوصية غير المعروفة سابقًا والمنسوبة إلى بولس في مكتبة النصوص الغنوصية المكتشفة في نجع حمادي.

إن رسائل بولس الأصلية مليئة بالأفكار والمصطلحات الغنوصية بشكل كامل. يخبرنا أنه عرف يسوع كرؤية من نور، وأن كل ما يعرفه عن يسوع جاء من خلال "الرؤيا". [10] عندما يخبرنا بولس "بسر" المسيحية، فإن ذلك لا علاقة له بيسوع التاريخي. يُعلن بولس أن السر العظيم للمسيحية هو الكشف الصوفي عن "المسيح فيكم". [11] بالنسبة لبولس، كما هو الحال بالنسبة للغنوصيين اللاحقين، يمثل المسيح الوعي الواحد الذي هو الهوية الحقيقية لنا جميعًا. رسالة بولس هي الرسالة الغنوصية الخالدة. كلنا واحد. وهو يعلم أنه عندما "نتعمد في الاتحاد مع يسوع ... لا يوجد شيء اسمه يهودي ويوناني، عبد وحر، ذكر وأنثى، لأننا جميعًا شخص واحد في المسيح يسوع". [12]

إن العناصر الوحيدة من أسطورة يسوع التي ذكرها بولس هي موت المسيح وقيامته، والتي يفهمها بولس على أنها ترمز إلى عملية التأهيل. من خلال المشاركة في موت يسوع وقيامته، يموت المتأهلون رمزياً عن "ذواتهم القديمة" ويقومون "في المسيح". [13] يذكّر بولس طلابه قائلاً: "إن الشخص الذي كنتم عليه من قبل قد صُلب مع المسيح". [14]

شن الغنوصيون المسيحيون هجمات متكررة على التفسير الحرفي لليهودية، معلنين أن إله يسوعهم الروحي ليس إله التناخ، الذي سخروا منه ووصفوه بأنه إله زائف وأطلقوا عليه اسم "المبيد". [15] كما يُظهر بولس ازدراءً للتفسير الحرفي للشريعة اليهودية، معلناً أن الشريعة اليهودية لعنة لم تخدم سوى إبقاء الشعب في حالة من الخضوع. [16] إنه يعارض فكرة التفسير الحرفي للنصوص، مصرحاً: "الحرف يقتل لكن الروح تعطي الحياة". [17]

يشوع المجرم الذي ارتكب جرائم إبادة جماعية يتحول إلى يسوع اللطيف

الأمور لا تبدو جيدة بالنسبة للمتمسكين بالتفسير الحرفي. قصة يسوع تشبه إلى حد كبير الأساطير الوثنية القديمة. لا يوجد دليل على وجود يسوع كشخصية تاريخية. وبولس، الذي تعد رسائله أقدم الوثائق المسيحية التي نمتلكها، هو بوضوح غنوصي يعتبر قصة يسوع رمزية أسطورية تشفر تعاليم صوفية. من الواضح أن الغنوصيين محقون في ادعائهم بأن قصة يسوع هي أسطورة رمزية. لكن كيف ولماذا تم إنشاؤها؟

بنفس الطريقة التي يكتب بها المؤلفون اليوم الروايات لنقل الأفكار العميقة، قام المؤلفون في العالم القديم بتأليف القصص الأسطورية لنقل الأفكار. لم تكن الأساطير تُعتبر غير صحيحة كما هي

اليوم. بل كانت الأساطير وسيلة لنقل الحقائق الروحية بشكل فعال على مستويات عديدة. لقد ارتقى الإغريق بصناعة الأساطير إلى مستوى الفن الرفيع، وأصبح اليهود المتأثرون بالثقافة اليونانية بارعين بنفس القدر في هذا المجال.

تأثر الغنوصيون اليهود في القرن الأول الميلادي بشدة بالروحانية الوثنية. على سبيل المثال، كانت جماعة "المعالجون" مجموعة من اليهود المتصوفين الذين مارسوا أسرارهم اليهودية الخاصة بناءً على تفسير رمزي لأساطير موسى ويشوع. لكن المعالجون كانوا أيضاً أتباعاً للحكيم الوثني العظيم فيثاغورس. كان فيلو، الذي يخبرنا عن المعالجين، معروفًا باسم فيلو اليهودي وفيلو الفيثاغوري.

قام الغنوصيون اليهود، مثل فيلو وجماعة المعالجون، بدمج الأساطير الوثنية واليهودية. لدينا عدد كبير من النصوص التي كتبها مؤلفون يهود تجمع بين مواضيع من الأساطير الوثنية واليهودية. ومن هذه البيئة الانتقائية تنشأ أسطورة جديدة تجمع بين الأسطورة الوثنية عن الإله الذي يموت ويبعث مع الأسطورة اليهودية عن المسيا. قبل قرنين من الزمان، كتب مؤلف يهودي أول رواية على الإطلاق، وهي قصة رمزية تصور اليهودية كدين غامض. [18] لقد تم الآن ابتكار قصة يسوع كرواية رمزية تصور المسيا كبطل لدين يهودي غامض.

كان العديد من اليهود في تلك الفترة ينتظرون بفارغ الصبر عودة مسياهم العظيم يشوع، البطل القومي للتناخ الذي قاد شعبه إلى أرض الميعاد. كانوا يأملون أن يخلصهم يشوع من الرومان الظالمين الذين كانوا يحكمون إسرائيل آنذاك. كلمة "مسيا" تعني "الممسوح" وتشير إلى ملك أو زعيم روحي. عند ترجمتها إلى اليونانية، تصبح كلمة "المسيا" "المسيح" وتصبح كلمة "يشوع" "يسوع". إذن كان هؤلاء اليهود ينتظرون عودة مسياهم يشوع أو المسيح يسوع.

يستخدم مترجمو الكتاب المقدس دائمًا الاسم العبري "يشوع" للإشارة إلى بطل العهد القديم، ولكن الترجمة اليونانية "يسوع" عند الإشارة إلى بطل العهد الجديد. لقد منعنا هذا التلاعب من إدراك أن يسوع العهد الجديد ليس سوى يشوع العهد القديم في هيئة جديدة. في القرن الثاني قبل الميلاد، ابتكر الحشمونيون شخصية يسوع التناخ لتناسب أجندتهم القومية. في القرن الأول الميلادي، ابتكر اليهود المتصوفون شخصية بديلة ليسوع لتناسب أجندتهم الغنوصية.

كان المسيحيون الأوائل من اليهود الغنوصيين الذين ردوا على التفسير الحرفي اليهودي المتعصب للحشمونيين. لقد جعل التعصب الديني الحشموني اليهود مكروهين للغاية في العالم القديم. في ذلك الوقت الذي كان فيه بولس يسافر عبر البحر الأبيض المتوسط حاملاً رسالته عن المحبة، كانت كراهية اليهود قد انتشرت على نطاق واسع. كان المؤلفون اليونانيون والرومانيون في ذلك الوقت يصفون اليهود بشكل روتيني بأنهم أكثر الأعراق انعزالاً عن المجتمع. قيل إنهم كانوا يحتقرون بقية البشرية، الذين انفصلوا عنهم بأكثر القوانين الغذائية والخرافات سخافة. [19] وصف شيشرون اليهودية بأنها "خرافة همجية". [20] في مواجهة هذه العداءات السامية المتفشية، كان الغنوصيون اليهود مثل بولس يأملون أن دينهم السري يسوع سيهدم الجدران التي تفصل بين اليهود والأمم.

في أيدي الغنوصيين، يتحول يسوع الإبادة الجماعية في التناخ إلى يسوع اللطيف في المسيحية.

إن يسوعهم الجديد هو بطل غنوصي متحرر الفكر ورحيم، وهو المسيا اليهودي والرجل الإله الوثني في آن واحد. إنه ليس وطنياً كارهاً للأجانب يقهر أعداءه بوحشية بالغة، مثل يسوع الذي ارتكب الإبادة الجماعية. هو داعية سلام يدعو إلى اللاعنف. إنه لا يستشهد بقانون القصاص الموجود في سفر الخروج، والذي يطالب بـ "العين بالعين والسن بالسن". [21] بل إنه يعلن رسالة سقراط التي مفادها أنه ينبغي علينا أن نحب أعداءنا. يأتي يسوع هذا ليجلب الخلاص الشخصي لا الوطني. إلهه ليس متعصباً طائفياً ضيق الأفق يحب اليهود فقط، بل هو إله عالمي لليهود والأمم على حد سواء. إله الحب. إله غنوصي.

قصة الإنجيل هي نقد لليهودية الحرفية. بطلها يهودي هرطقي ينتقد السلطات الدينية باستمرار، ويصفها بالأفاعي، ويعلن أن إله التناخ هو الشيطان. [22] إنه ينتهك باستمرار القوانين الدينية اليهودية ويشجع أتباعه على فعل الشيء نفسه. إنه يختلط بكل الأشخاص الخطأ، مثل البغايا، وجباة الضرائب، والمصابين بالجذام، والمشردين. وهو يتهم "معلمي الشريعة" بامتلاك "مفاتيح الغنوص" لكنهم لا يدخلون إليها بأنفسهم، ولا يسمحون للآخرين بالدخول إليها أيضاً. [23] هذا يسوع يتحدث ويتصرف مثل الغنوصي، لأنه لسان حالهم.

لم تُخلق قصة يسوع الجديدة دفعة واحدة، بل نمت بشكل طبيعي مع مرور الوقت. في أوائل القرن الأول الميلادي، كان لدى بولس أسطورة بسيطة عن يسوع. ومن نفس الفترات لدينا إنجيل توما، الذي يتألف من أقوال حكيمة وضعت على لسان يسوع. في غضون جيل واحد، أصبحت قصة يسوع أكثر تفصيلاً تدريجياً مع المزيد والمزيد من الرموز المجازية المستمدة من الأساطير اليهودية والوثنية. تم تقديم شخصيات أخرى، مثل مريم وبطرس ويهوذا، والذين اعتبرهم الغنوصيون جميعاً يلعبون دوراً رمزياً في أمثلتهم العظيمة عن التأهيل. بحلول منتصف القرن الثاني، تطورت القصة إلى رواية رمزية عميقة ومعقدة تدور أحداثها في فلسطين. لكن بمجرد أن أصبحت القصة الرمزية ليسوع سردًا شبه تاريخي، لم يكن الأمر سوى مسألة وقت قبل أن يبدأ الناس في أخذها حرفيًا كسجل لأحداث فعلية.

بدعة التفسير الحرفي

في القرن الأول الميلادي، استُهلك اليهود بأزمة خلقها التطرف الديني. أصبحت يهودا الآن مقاطعة رومانية، وكان المتعصبون اليهود الذين يدّعون أنهم المسيا يقودون باستمرار ثورات عقيمة. في عام 70 ميلادي، حاصر الجيش الروماني القدس ودمر الهيكل. وفي عام 135 ميلادي اندلعت ثورة أخرى امتدت إلى مدن في جميع أنحاء العالم اليوناني والروماني، حيث ثار اليهود وارتكبوا مذابح بحق جيرانهم. هذه المرة كان انتقام الرومان شاملاً. تم تفكيك القدس حجراً حجراً، وتم تشتيت موجة أخرى من اليهود المستعبدين في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

بعد تدمير إسرائيل، بات من الواضح ما حققته النزعة الدينية اليهودية الحصرية بالفعل. لم يعد يسوع الذي ارتكب الإبادة الجماعية في التناخ ليقود اليهود إلى النصر على أعدائهم. في الحقيقة، لم يظهر على الإطلاق! لم يخلص الإيمان بالمسيا اليهود من الاضطهاد. بل إن الأمر عكس ذلك تماما. وقد أدى ذلك إلى نفيهم من أرضهم الموعودة إلى العبودية بين الوثنيين. لقد فشلت التفسيرات الحرفية اليهودية.

في مواجهة هذا المأزق اليائس، قدمت عبادة يسوع الغنوصي بعض الأمل والطمأنينة، وبدأت المسيحية الغنوصية في الانتشار بين اليهود، الذين كانوا الآن منتشرين في جميع أنحاء العالم القديم. وقد تبنى الأمميون ذلك بشكل متزايد أيضاً، تماماً كما كان يأمل بولس. لكن عندما وصلت المسيحية إلى روما، شهدت تحولاً جذرياً.

في القرن الثاني، شعر الرومان أخيراً بالأمان الكافي لتحمل التنوع، وشهدت روما انتشاراً واسعاً لمجموعة متنوعة من الطوائف والفلسفات. أصبحت المدينة مركز جذب للأنبياء المتجولين من جميع أنحاء الشرق الأدنى. كان من الممكن جني المال من الأسرار، وسرعان ما أصبحت السخرية من صانعي المعجزات المتجولين الذين يجنون ثروة طائلة من السذج نوعًا أدبيًا شائعًا.

لم تعد المعتقدات الغريبة والأديان الغريبة حكراً على الفقراء. وكما يتنقل نجوم هوليوود اليوم من طائفة جديدة إلى أخرى بحثاً عن شيء أكثر من المال والشهرة، كذلك كان الرومان الأثرياء يحبون قضاء أوقات فراغهم في الخوض في الديانات الغامضة للشرق الصوفي. أصبح الأرستقراطيون الأثرياء والسياسيون وحتى الأباطرة من المتأهلين في طوائف مختلفة تعبد الرجل الإله الذي يموت ويبعث. اختار مارك أنطوني ديونيسوس إلهاً راعياً له. كان كلوديوس يفضل أتيس. كان فسبازيان يعبد سيرابيس. كرّم دوميتيان أوزوريس. حتى الإله الذي كان يعبده الفرس، ألد أعداء روما، وجد حظوة إمبراطورية عندما تم تأهيل الإمبراطور كومودوس في أسرار ميثراس.

انتقل العديد من أساتذة الغنوصية إلى روما في منتصف القرن الثاني لتأسيس مدارس فلسفية. في ذلك الوقت، انتقل فيلسوف مسيحي يُدعى جاستن أيضاً إلى روما. لقد رُفض من قبل كل من المدرستين الفيثاغورية والأفلاطونية للفلسفة قبل أن ينتقل إلى المدينة الكبيرة، وفي محاولة يائسة ليتم قبوله كفيلسوف، أنشأ طائفته المسيحية الخاصة. في كتاباته نسمع لأول مرة أن يسوع كان رجلاً حقيقياً تم إعدامه على يد بيلاطس البنطي. جاستن هو أول المسيحيين الحرفيين.

كانت المسيحية الحرفية مجرد طائفة صغيرة أخرى تتنافس على الأتباع في السوق الروحية المزدحمة. لكنها ابتكرت زاوية تسويقية جديدة منحتها ميزة على الطوائف الأخرى التي تدّعي أن الرجل الإله يموت ويعود إلى الحياة. وزعمت أن القصص الوثنية كانت مجرد أساطير، وأن يسوع قد جاء بالفعل وعاش هذه الأساطير في الجسد. لقد تجسد ابن الله، الذي وصفه الفلاسفة الوثنيون بكل هذا الحب، والمسيا، الذي انتظره اليهود بفارغ الصبر، في رجل واحد، في مكان واحد، وفي وقت واحد. كان هذا ادعاءً جديداً ثورياً.

وبالطبع، استمر الوثنيون في الشكوى من أن قصة يسوع قد تم سرقتها من الأساطير الوثنية، لكن هذا لم يدفع الحرفيين إلا إلى دحض هذه الاتهامات من خلال إثراء سرد قصة يسوع بمزيد من التفاصيل شبه التاريخية. وبالطبع، ساعد في ذلك أنه لم تكن هناك طريقة لمعرفة ما حدث بالفعل في القدس قبل أكثر من قرن ونصف. كانت القدس مكاناً غير ذي شأن يقع بعيداً عن روما. لم يكن بوسع أحد التحقق من مزاعم أصحاب التفسير الحرفي الجامحة في ضوء الحقائق على أرض الواقع، لأن الأرض قد سُوّيت بالأرض تماماً. قبل بضع سنوات فقط من وصول جاستن إلى روما، أعيد تأسيس مدينة القدس كمدينة رومانية مُنع اليهود من دخولها تحت طائلة الموت.

لم يقدم لنا جاستن أول دليل على المسيحية الحرفية فحسب، بل قدم لنا أيضًا أولى المؤشرات على

وجود خلاف بين الغنوصيين والحرفيين. كان الغنوصيون يمثلون مشكلة بالنسبة للحرفيين لأنهم استمروا في تقويض الحملة الإعلانية لطائفتهم الجديدة من خلال الادعاء بأن يسوع لم يكن رجلاً حقيقياً، بل بطل أسطورة رمزية. ينتقد جاستن الغنوصيين من خلال اتهامهم بمجموعة متنوعة من الحيل القذرة، مثل كسب الأتباع عن طريق إغواء النساء. بل إنه يتهم الغنوصيين بأكل لحوم البشر!

يبذل المتشددون كل ما في وسعهم لتصوير الغنوصيين على أنهم زنادقة هامشيون وتصوير أنفسهم على أنهم الكنيسة الكاثوليكية أو "العالمية"، لكن هذا في الواقع قلب كامل للحقيقة. خلال القرون الثلاثة الأولى من الميلاد، كانت المسيحية الحرفية طائفة هامشية، بينما كانت المسيحية الغنوصية أكثر شعبية بكثير، ولهذا السبب أمضى الحرفيون الكثير من الوقت في مهاجمة الغنوصيين. ولماذا نادراً ما كان الغنوصيون يكلفون أنفسهم عناء الرد.

بحلول الوقت الذي كان فيه جاستن يكتب في روما، كانت المسيحية الغنوصية قد انتشرت في جميع أنحاء العالم القديم. في مصر وسوريا وآسيا الصغرى، كان المسيحيون الأوائل الذين نعرفهم جميعاً من الغنوصيين. في عام 110 ميلادي، أسس كاربوقراطيس طائفة غنوصية في الإسكندرية. في عام 117 ميلادي، أسس باسيليدس مدرسة أخرى في الإسكندرية. حوالي عام 120 ميلادي، كان سيرينثوس يكتب في مدينة أفسس. درس فالنتينوس في الإسكندرية قبل أن يذهب إلى روما عام 136 ميلادي لتأسيس مدرسته. وفي عام 144، جاء مرقيون، الذي كان لديه بالفعل آلاف الأتباع في الشرق، إلى روما أيضًا، وتبعه ماركوس في عام 150. بحلول القرن الثالث، أسس ماني كنيسة غنوصية امتد نفوذها في نهاية المطاف من إسبانيا في الغرب إلى الصين في الشرق.

يشهد الكتّاب الوثنيون على شعبية المسيحية الغنوصية. يخبرنا الفيلسوف سيلسوس عن العديد من الجماعات المسيحية الغنوصية المختلفة ونصوصها، لكنه لا يعرف شيئًا عن المسيحيين الحرفيين وكتب العهد الجديد. يخبرنا الفيلسوف الوثني أفلوطين أن بعض أصدقائه مسيحيون غنوصيون ويذكر نصوصهم، التي تم العثور على بعضها في نجع حمادي، لكنه ليس لديه أي معرفة بالمسيحية الحرفية أو أي من أناجيل العهد الجديد.

يشهد المسيحيون الحرفيون أنفسهم على شعبية المسيحية الغنوصية. وتعترف رسالة منسوبة إلى بوليكاربوس بأن "الغالبية العظمى" من المسيحيين لا يؤمنون بأن يسوع كان موجوداً "بالجسد". [24] يأسف ترتليان لحقيقة أن الغنوصيين يملؤون "الكون بأكمله". [25] حتى أبطال المسيحية الحرفية الأوائل كانوا يمرون بمرحلة عابرة. تخلى تاتيان، التلميذ النجم لجاستن، عن المذهب الحرفي وانضم إلى الغنوصيين. وكذلك فعل ترتليان، الذي أدان في النهاية الكنيسة الرومانية الحرفية باعتبارها منظمة من "عدد من الأساقفة" بدلاً من كونها "كنيسة روحية لأناس روحيين". [26]

متى، مرقس، لوقا، ويوحنا

في روما، بعد جيل من جاستن، كان الأسقف الحرفي إيريناوس يعمل بجد على تأليف عمله الضخم "ضد الهرطقات" لتشويه سمعة منافسيه الغنوصيين. ويستمر في الحديث في مجلد تلو الآخر، ساخراً من تفسيراتهم الرمزية لقصة يسوع باعتبارها "افتراضات مبنية ببراعة" مصممة "لصرف عقول عديمي الخبرة وأسرهم". إن الغنوصية مؤامرة لخداع المؤمنين من خلال "إبعادهم تحت ستار الغنوص المتفوق". [27] ورداً على ذلك، يتهم الغنوصيون الحرفيين بتأسيس "كنيسة مقلدة"،

لأنهم استبدلوا الفهم الغنوصي لأسطورة يسوع كقصة رمزية روحية بشيء مبتذل تماماً، ولكنه بسيط بشكل خادع. [28]

بحسب أصحاب التفسير الحرفي للأحداث، كل ما عليك فعله هو الإيمان بأن قصة يسوع حقيقية وستنجو. تكمن المشكلة في وجود عشرات الأناجيل المسيحية المتداولة، والتي تم العثور على العديد منها الآن في نجع حمادي، والتي صورت يسوع بوضوح على أنه شخصية أسطورية. ورداً على ذلك، قام إيريناوس فجأة بإنتاج أربعة أناجيل تروي قصة يسوع كسرد تاريخي. ويزعم أنه يمتلك أربع روايات من شهود عيان عن حياة يسوع، والتي ينسبها إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا، ويرفض جميع الأناجيل المسيحية الأخرى باعتبارها مزيفة.

لم يدّعِ أحد قبل إيريناوس أن هناك أربعة أناجيل حقيقية فقط. قبل جيل، لم يذكر جاستن متى ومرقس ولوقا ويوحنا. لكن إيريناوس يشرع في تأسيس هذه الأناجيل الأربعة باعتبارها القانون المسيحي النهائي والأساس لما سيصبح العهد الجديد. لكن حججه معقدة إلى حد ما:

> ليس من الممكن أن يكون عدد الأناجيل أكثر أو أقل مما هو عليه. لأنه بما أن هناك أربع مناطق في العالم الذي نعيش فيه، وأربع رياح رئيسية، بينما الكنيسة منتشرة في جميع أنحاء العالم، و"عمود وأساس" الكنيسة هو الإنجيل وروح الحياة؛ فمن المناسب أن يكون لها أربعة أعمدة، تنفث الخلود من كل جانب، وتحيي الناس من جديد. [29]

ربما أقنعت براعة إيريناوس البلاغية أتباع التفسير الحرفي الآخرين، لكن كل ما تخبرنا به حقًا هو أن مشروع "الأناجيل الأربعة" الخاص به كان فكرة جديدة تحتاج إلى بعض الدفاع اليائس. لا يزال الأمر بحاجة إلى دفاع يائس اليوم لأن العلماء أثبتوا أن أياً من هذه الأناجيل ليس رواية شاهد عيان عن حياة يسوع.

يعتبر العلماء إنجيل مرقس أقدم الأناجيل. لكن التحليل الدقيق للنص كشف أنه ليس رواية رجل واحد للأحداث التاريخية. إنها عملية قص ولصق تم تجميعها على مر الزمن من أقوال وقصص تعليمية موجودة مسبقاً. [30] في إنجيل مرقس ، تم دمج هذه الأجزاء معًا في سرد تم إضفاء بعض التفاصيل التاريخية والجغرافية عليه. لكن من فعل ذلك ارتكب كل أنواع الأخطاء بسبب ما يسميه أحد الباحثين "جهلاً مؤسفاً بالجغرافيا الفلسطينية". [31]

كذلك، فإن إنجيل متى وإنجيل لوقا ليسا روايات شهود عيان عن حياة يسوع. عندما قام العلماء لأول مرة بوضع متى ومرقس ولوقا جنبًا إلى جنب مع بعضهم البعض، لاحظوا أن أجزاء كبيرة من متى ولوقا قد تم نسخها حرفيًا من مرقس. تمت إضافة أقوال وقصص أخرى من مصادر أخرى، على سبيل المثال ميلاد العذراء والقيامة، ولكن في الأساس فإن متى ولوقا هما مجرد مرقس مع إضافات.

كُتب إنجيل يوحنا بأسلوب مختلف تماماً عن الأناجيل الأخرى، ويروي نسخة مختلفة بشكل كبير عن حياة يسوع. يُنسب هذا الإنجيل في الواقع إلى "التلميذ الحبيب". استناداً إلى ذكرى من الطفولة، يزعم إيريناوس أن التلميذ الحبيب هو يوحنا. لكن هل هذا صحيح؟ وفي نصوص مسيحية أخرى عُثر عليها في نجع حمادي، يُشار إلى مريم المجدلية على أنها التلميذة المحبوبة ليسوع. وقد أظهر

العلماء أنه تم إدخال تعديلات فجة على الإنجيل لجعل يوحنا بدلاً من مريم هو المؤلف المفترض. في النص الأصلي لم يكن يوحنا هو من تم تصويره وهو مستلقٍ بشكل حميم على حِجر يسوع في العشاء الأخير، بل مريم. [32]

قام إيريناوس بتغيير جنس التلميذ الحبيب لتلبية الاحتياجات التسويقية لطائفته الحرفية في روما، لأن الرومان الكارهين للنساء لن ينبهروا أبدًا بكتاب كتبته امرأة! في الوقت الذي كان فيه إيريناوس يكتب، لم يكن الفيلسوف الوثني سيلسوس يعرف سوى الأناجيل المسيحية التي تُنسب جميعها إلى النساء. [33] لكن إيريناوس يدعي أن هناك أربعة أناجيل فقط وأنها مكتوبة من قبل رجال!

نسب مؤلف إنجيل يوحنا، الذي يحمل اسماً خاطئاً، هذا العمل إلى التلميذة الحبيبة التي هي مريم. في العالم القديم، كانت الأدبيات الروحية تُنسب بشكل روتيني إلى شخصيات أسطورية. تُعد مريم شخصية بالغة الأهمية في الأساطير الغنوصية، لأنها قرينة يسوع وتمثل الإلهة المسيحية صوفيا. لقد محا المسيحيون الحرفيون صوفيا تماماً من المسيحية، لكنها كانت في يوم من الأيام شخصية مهمة مثل يسوع نفسه.

لا تُعدّ أيٌّ من أناجيل إيريناوس الأربعة رواياتٍ حقيقيةً لشهود عيان على أحداث تاريخية. كرس العالم الكبير رودولف بولتمان حياته كلها لدراسة هذه الأناجيل، لكنه خلص في النهاية إلى أنها لا يمكن أن تخبرنا "بالشيء تقريبًا فيما يتعلق بحياة وشخصية يسوع، حيث أن المصادر المسيحية المبكرة لا تُظهر أي اهتمام بأي منها، وهي علاوة على ذلك مجزأة وغالبًا ما تكون أسطورية". [34] الآن نحن في وضع يسمح لنا بالذهاب إلى أبعد من بولتمان والاستنتاج بأنها لا تستطيع إخبارنا بأي شيء على الإطلاق عن يسوع التاريخي لأنه لم يكن هناك رجل كهذا على الإطلاق. الأناجيل الأربعة هي إبداعات أدبية مصممة لتكون بمثابة النصوص الأساسية للكنيسة الرومانية الحرفية. إنها أساطير غنوصية قام أصحاب التفسير الحرفي للنصوص بتزييفها لاحقاً لتناسب أجندتهم المتمثلة في إنشاء دين استبدادي.

أعمال الرسل؟

إذا كان يسوع شخصية تاريخية بالفعل، فماذا حدث لتلاميذه؟ وللإجابة على هذا السؤال، يقدم إيريناوس نصاً جديداً آخر لم يذكره أحد من قبل، ويسمى أعمال الرسل. وماذا يفعل الرسل؟ إنهم يهاجمون الغنوصيين بالطبع! نسب العديد من الغنوصيين تقاليدهم إلى الحكيم سمعان الساحر الذي عاش في القرن الأول الميلادي. يصور أعمال الرسل تلميذ يسوع بطرس وهو يهين سمعان. يستشهد إيريناوس بسفر أعمال الرسل كدليل على أن بطرس قد كشف زيف سمعان. قبل جيل من ذلك، هاجم جاستن سمعان أيضاً، لكنه لم يدعم حججه بالاقتباس من أعمال الرسل. [

35] لماذا؟ لأن أعمال الرسل لم يكن موجودا في زمن جاستن. رفض المسيحيون الغنوصيون الاعتراف بأعمال الرسل ككتاب مقدس، ويمكنك أن ترى السبب. إنه قطعة دعائية فجة معادية للغنوصية، تم صياغته في أواخر القرن الثاني.

على الرغم من أن عنوانه يوحي بأنه سيخبرنا بما حدث لتلاميذ يسوع، إلا أن أعمال الرسل لا يخبرنا في الواقع بشيء عن تسعة منهم باستثناء أسمائهم. [36] ذلك لأن الهدف الحقيقي للحرفيين في

تزوير أعمال الرسل هو إثبات هوية بطرس، الذي يريدون أن يزعموا أنه مؤسس كنيستهم الحرفية. كان المتمسكون بالحرفية بحاجة إلى رسول خاص بهم يتمتع بنفوذ ينافس بولس الرسول العظيم لدى الغنوصيين.

لم يستطع أصحاب التفسير الحرفي تجاهل بولس لأنه كان معروفًا جدًا، لذلك شرعوا في سفر أعمال الرسل في تحويله إلى صاحب تفسير حرفي وجعله تابعًا لبطرس. لقد فعلوا ذلك من خلال الاستفادة من حقيقة أن بولس نفسه يقول إنه لم يلتقِ بيسوع قط. ينص سفر أعمال الرسل الآن على أن شرط كونك رسولاً هو أن تكون قد قابلت يسوع. [37] كانت حيلة بسيطة لكنها وضعت بولس وجميع أولئك الغنوصيين المضللين الذين اتبعوه في مكانهم الصحيح. وهكذا أصبح بطرس، المؤسس المفترض للكنيسة الحرفية، رسولاً حقيقياً، على الرغم من أنه في الواقع ليس شخصية تاريخية على الإطلاق. وبولس، بطل الغنوصيين، ليس رسولاً حقيقياً، على الرغم من أنه في الواقع كان أحد مؤسسي المسيحية.

تم اختلاق سفر أعمال الرسل للإيحاء بأن بولس وبطرس قد التقيا في القدس وأن بولس قد قبل سلطة بطرس. لكن في الواقع، يكاد كل ما يقوله سفر أعمال الرسل عن بولس يتعارض مع ما يقوله بولس عن نفسه في رسائله. [38] ولم يذكر بولس قط أنه التقى بأي شخص يُدعى بطرس. كان حل أصحاب التفسير الحرفي عبارة عن قطعتين ذكيتين من التلاعب التحريري. أحدهما يحتوي على رسالة بولس إلى أهل غلاطية والآخر على إنجيل يوحنا.

يذكر بولس في رسالته إلى أهل غلاطية مسيحياً التقاه في القدس يدعى صَفَا. وباستخدام عملية استيفاء بسيطة، تم تغيير إحدى هذه الإشارات إلى صَفَا إلى "بطرس". من الواضح أنها إضافة إلى النص لأن بولس في الجملة التالية يعود مباشرة إلى الحديث عن صَفَا. ومع ذلك، كان ذلك كافياً لتحديد أن صَفَا وبطرس هما نفس الشخص.

كان بطرس شخصية خيالية محورية في أسطورة يسوع. يوجد أكثر من 150 إشارة إلى "بطرس" في العهد الجديد. في إنجيل يوحنا، تم تغيير أحد هذه الأسماء ليصبح "صَفَا"، ويشير صوت تحريري مفيد إلى "أنه بطرس". [39] ومنذ ذلك الحين لم يُذكر اسم صَفَا مرة أخرى. لم يظهر اسم صَفَا إلا مرة واحدة في العهد الجديد بأكمله، ولم يظهر اسم بطرس إلا مرة واحدة في جميع رسائل بولس، لكن هذين الإقحامين البسيطين كانا كافيين لتحديد الشخصية الأسطورية بطرس مع الشخصية التاريخية صَفَا. ثم شكلت هذه الصلة أساسًا لسفر أعمال الرسل، الذي يظهر الرسول الغنوصي بولس تابعًا للرسول

الحرفي بطرس. [40]

أُجريت تعديلات أخرى على رسائل بولس حققت أيضاً الكثير بأقل قدر من التلاعب. يقتبس كل من إيريناوس وترتليان من رسالة غلاطية لكنهما يحذفان كلمة "لا" في مقطع رئيسي. يقول بولس في الرسالة الأصلية إنه "لا" يخضع نفسه لسلطة المسيحيين الذين التقاهم في القدس، لكنه في النسخة الجديدة يقبل سلطتهم، وهو ما يتناسب تمامًا مع أجندة التفسير الحرفي. [41] والآن يمكنهم الادعاء بأن بولس التقى ببطرس (المعروف أيضًا باسم صَفَا) في القدس وقبل سلطة بطرس. إنها قصة لا تزال تُصدق حتى اليوم، ولكن لا شيء منها صحيح.

في السنوات التي تلت كتابة سفر أعمال الرسل، تضاعفت الأساطير المتعلقة ببطرس بشكل كبير. تم تأليف قصص درامية تروي كيف أسس بطرس الكنيسة الحرفية في روما وكيف استشهد بالصلب رأساً على عقب. لكن على الرغم من إبداعها وقيمتها الترفيهية، فقد تم اختراع هذه الخيالات متأخرًا جدًا بحيث لا يمكن إدراجها في العهد الجديد.

بولس الحرفي

لم يكن إيريناوس أول شخص في التاريخ يذكر متى ومرقس ولوقا ويوحنا وأعمال الرسل فحسب، بل إنه يدعي أيضًا أنه يمتلك عددًا من الرسائل التي كتبها بولس والتي لم يسمع بها من قبل. في هذه الرسائل، التي تُعرف باسم "الرسائل الرعوية"، تحول بولس من غنوصي إلى حرفي. من بين الرسائل الثلاث عشرة المنسوبة إلى بولس في العهد الجديد، فإن الرسائل الثلاث التي يرفضها العلماء على نطاق واسع باعتبارها مزورة هي الرسائل الرعوية، والتي رفض الغنوصيون في ذلك الوقت الاعتراف بها على أنها أصلية. [42]

حصلت الكتب الرعوية على اسمها لأن الغرض منها هو توفير قواعد "رعوية" لتوجيه تنظيم الكنيسة. لكن بولس الحقيقي لا يُظهر أي اهتمام بمثل هذه الأمور، لأنه عندما كان يكتب لم تكن هناك كنيسة من الأساقفة والشمامسة لتنظيمها! ما تُظهره لنا الكتب الرعوية في الواقع هو أهداف وطموحات أتباع التفسير الحرفي للنصوص في القرن الثاني، مثل إيريناوس، الذين كانوا يائسين من تأسيس كنيسة استبدادية، ومنع أعضائها من الضلال والانضمام إلى أولئك الغنوصيين الرهيبين.

يقتبس العمل الضخم لإيريناوس ضد الهراطقة من الرسائل الرعوية حيث يُفترض أن بولس، البطل العظيم للغنوصيين، قد وجه تحذيراً ضد "الغنوص المزعوم زوراً"! [43] على الرغم من أن بولس الحقيقي لا يشير إلا إلى يسوع الأسطوري، فإن بولس الرعوي لديه يسوع ملموس للغاية يعرض دفاعه القانوني بفخر أمام بيلاطس البنطي. [44] انتهز مزور القصص الرعوية الفرصة أيضاً لتوجيه انتقادات لاذعة للنساء.

اشتهر الغنوصيون، أو اشتهروا بسوء السمعة إذا كنت من أتباع التفسير الحرفي للنصوص، بالمساواة التي منحوها للنساء. لم تقتصر مهمة النساء الغنوصيات على الوعظ والتعميد والاحتفال بالإفخارستيا فحسب، بل إن العديد من الجماعات الغنوصية سميت بأسماء النساء، وكذلك العديد من الأناجيل الغنوصية. أثار ذلك غضب أصحاب التفسير الحرفي للنصوص، مثل إيريناوس وترتليان. لقد وجدوا الأمر صادماً أن النساء الغنوصيات يمكنهن "المشاركة في النقاش" وحتى العمل كأساقفة. [45] تُنسب آراؤهم المعادية للنساء الآن إلى بولس في الرسائل الرعوية:

فلتتعلم المرأة في صمت بكل خضوع.

لا أسمح للمرأة أن تُعلّم، ولا أن تغتصب السلطة على الرجل، بل أن تبقى صامتة. [46]

تُضفي الرسائل الرعوية طابعاً رومانياً على رسائل بولس. في المجتمع الروماني، كانت فكرة مساواة المرأة بالرجل أمراً لا يمكن تصوره ببساطة. إن فكرة أن تكون المرأة زعيمة لطائفة دينية لم تكن أقل من كونها تدنيساً للمقدسات. كانت حقوق المرأة الرومانية فيما يتعلق بالدين بسيطة. لم يكن

لديهن أي شيء. كان ممنوعاً عليهم القيام بالطقوس الدينية، وكان القانون الروماني يشترط حتى على تلك الطوائف الشرقية التي كانت تقودها تقليدياً كاهنة أن يتولى رجل المسؤولية بدلاً منها. من خلال خلق شخصية بولس الكارهة للنساء في الرسائل الرعوية، يجعل إيريناوس مسيحيته الحرفية مقبولة لدى الجمهور الروماني.

لا تزال هناك مشكلة تتمثل في أن بولس الحقيقي لا يذكر يسوع التاريخي. لكن مرة أخرى، كان الحل بسيطاً. ضع رسائل بولس بعد الأناجيل. الآن عندما يصل القراء إلى بولس، فإنهم يفترضون بشكل طبيعي أنه يتحدث عن يسوع التاريخي الذي تم تصويره في الكتب السابقة. بإمكان خبراء التضليل الإعلامي المعاصرين أن يتعلموا شيئاً أو اثنين من هؤلاء الحرفيين! لا يسعك إلا أن تُعجب ببراعتهم.

الكتاب المقدس؟

في معركة السلطة، كانت النصوص بمثابة أسلحة. في القرن الثالث الميلادي، استمرت آلة التزوير المقدسة للمسيحية الحرفية في إنتاج وثائق لإضافتها إلى العهد الجديد. تم إنشاء المزيد من الرسائل التي تصور بولس على أنه حرفي، مثل رسالة تسالونيكي الثانية ورسالة كورنثوس الثالثة. [47] كما تم تزوير رسائل باسمي بطرس ويوحنا. تتخلى رسالة يوحنا الثانية عن كل ادعاء بأنها تحاول إيصال أي شيء عن يسوع. إن غرضها الوحيد هو مهاجمة "المضللين الكثيرين" الذين "لا يعترفون بأن يسوع المسيح قد أتى في الجسد". [48]

خلال القرون الثلاثة الأولى الميلادية، تم الترحيب بكل كتاب يشكل الآن العهد الجديد من قبل شخص ما باعتباره كتاباً مقدساً، وسخر منه شخص آخر باعتباره مزوراً. [49] ومع ذلك، بمرور الوقت، أصبح يُنظر إلى العهد الجديد على أنه القانون المسيحي النهائي. كما تبنى المسيحيون الحرفيون التناخ، الذي رفضه المسيحيون الغنوصيون الأصليون بشدة، وجعلوه عهدهم القديم، وإن كان ذلك مع تغيير مهم ليناسب أغراضهم الخاصة.

ينقسم التناخ إلى ثلاثة أقسام: أسفار موسى الخمسة، والأنبياء، والكتابات. قام المسيحيون الحرفيون بعكس ترتيب الأنبياء والكتب بحيث يبدو العهد القديم وكأنه تمهيد طويل ليسوع، الذي "ولد من نسل داود". ينتهي العهد القديم بنبوءة ملاخي، "ها أنا أرسل إليكم النبي إيليا"، [50] مما يؤدي إلى ظهور يوحنا المعمدان في العهد الجديد، والذي يُزعم أنه إيليا الذي عاد مرة أخرى لتمهيد الطريق ليسوع.

كان اعتماد التناخ كعهد قديم يخدم غرضين بالنسبة للمسيحيين الحرفيين. لقد جعل ذلك المسيحية تبدو وكأنها استمرار لتقليد عريق، وهو أمر كان بالغ الأهمية عندما كان القانون الروماني يسمح بممارسة أي دين فقط إذا أمكن إثبات أنه قديم. وفي وقت لاحق، عندما أصبحت الكنيسة الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية، قدمت تبريراً كتابياً للقمع الوحشي لكل معارضة، تماماً كما فعلت مع الحشمونيين الطائفيين الذين أنشأوها.

كانت العملية التي أدت إلى ظهور العهد الجديد تشبه بشكل غريب تلك التي أدت إلى ظهور العهد القديم. تم تجميع كليهما من قبل أتباع التشدد الحرفي الطائفي الذين كانوا يهدفون إلى خلق

والحفاظ على سلطتهم ونفوذهم. كلاهما يحتوي على بقايا أساطير غنوصية دُفنت تحت طبقات من الدعاية السياسية الصارخة. كلاهما مليء بالتناقضات والشذوذات لأنهما خضعا للتغيير والتعديل من قبل العديد من المحررين. الكتاب المقدس عند أصحاب التفسير الحرفي ليس كتاباً مقدساً. إنها فوضى عارمة.

سفك الدماء الرائع

بحلول منتصف القرن الثالث، كانت الإمبراطورية الرومانية على وشك الانهيار. كان الفرس يهددون من الشرق، والبرابرة من الشمال. لأول مرة في التاريخ، قُتل إمبراطور روماني في معركة، وأسر آخر ومات في الأسر. دمر الطاعون مناطق بأكملها. في "زمن الفوضى" هذا، انتشرت جميع أنواع الخرافات على نطاق واسع، بما في ذلك المسيحية الحرفية، التي زعمت أن نهاية العالم باتت وشيكة. أصبح هذا الأمر الآن ليس ممكناً فحسب، بل مرجحاً للغاية.

وفي نهاية المطاف، فرض الإمبراطور ديوكلتيانوس النظام على الإمبراطورية. ولإرضاء الآلهة، التي اعتقد أن إهمالها تسبب في الفوضى، أصدر الإمبراطور مرسوماً يقضي بأن يقدم كل فرد في الجيش الروماني قرباناً من أجل صحة الإمبراطور والإمبراطورية. رفض العديد من المسيحيين، الذين شكلوا الآن أقلية كبيرة في جيش ديوكلتيانوس. ورداً على ذلك، أمر ديوكلتيانوس بتدمير جميع الكنائس في جميع أنحاء الإمبراطورية، وسجن كبار المسيحيين، وأصدر مرسوماً يقضي بأن يقدم جميع المسيحيين القرابين للآلهة الرومانية أو يُقتلوا.

لم تكن هذه المرة الأولى التي يتعرض فيها المسيحيون للاضطهاد من قبل الرومان، لكن عمليات الاضطهاد السابقة كانت قصيرة الأجل ولم يتم تطبيقها على نطاق واسع. في عهد ديوكلتيانوس كانت الاضطهادات وحشية، لكنها جاءت بنتائج عكسية. كما يكتشف العالم الحديث، لا شيء يضاهي الاضطهاد في إثارة التعصب الديني. قد يبدو القضاء على المتطرفين الدينيين حلاً سهلاً، لكن موت كل شهيد يلهم المئات غيره بالرغبة في محاكاة إخلاصهم. كما كتب ترتليان في وقت الاضطهادات قبل قرن من كتابة ديوكلتيانوس:

> كلما حصدتمونا أكثر، كلما ازددنا نمواً. دماء الشهداء هي بذرة الكنيسة. [51]

انتهز المسيحيون الحرفيون، مثل العديد من المتطرفين الدينيين الآخرين منذ ذلك الحين، فرصة الاستشهاد بحماس. لقد مجّدوا شهداءهم كأبطال روحيين ومحاربين مقدسين. كانوا يعتقدون أنه من الممكن "شراء الحياة الأبدية" من خلال "المعاناة لمدة ساعة واحدة". يصف قبريانوس الحرفي بوضوح فرحة الرب بـ "المشهد السامي والعظيم والمقبول" لـ "الدم المتدفق الذي يطفئ نيران الجحيم بدمائه المجيدة". [52]

كان المسيحيون الغنوصيون ينظرون إلى أصحاب التفسير الحرفي للنصوص الدينية على أنهم متعصبون يقودون السذج إلى معاناة لا طائل منها بوعود كاذبة. لقد اعتبروا السعي الحثيث وراء الاستشهاد كوسيلة سريعة لدخول الجنة أمراً "أحمق"، لأنهم كانوا يعتقدون أن الخلاص لا يأتي إلا من خلال إدراك الغنوص. يؤكد كتاب "شهادة الحق" أن أولئك الذين يعلمون أن الله يرغب في "التضحية البشرية" يجعلون من الله آكل لحوم البشر. المسيحيون الحرفيون هم "الذين يضطهدون

إخوانهم" من خلال تشجيع المؤمنين السذج "على الوصول إلى الجلاد". [53

] يعبّر سفر رؤيا بطرس عن رعب خاص من ابتهاج الحرفيين بمعاناة "الصغار". [54]

لم تُحدث الاحتجاجات الغنوصية تأثيراً يُذكر. بمجرد أن أصبح الشهداء ضامنين مكاناً في الجنة، تحولت المسيحية الحرفية إلى طائفة انتحار جماعي، حيث سعى أتباعها بنشاط إلى الموت. لكن من المثير للاهتمام أن اثنين من أكثر دعاة الاستشهاد صراحة، وهما إيريناوس وترتليان، تمكنا من تجنب هذا المصير بأنفسهما. من المثير للسخرية أن الجنود العاديين في أي حركة هم من يُطلب منهم الاستشهاد، وليس القادة الذين يحثون الآخرين على هذه التضحية المجيدة.

الإمبراطورية الرومانية غير المقدسة

عندما توفي الإمبراطور ديوكلتيانوس، شهد المسيحيون الحرفيون انقلاباً كاملاً في حظوظهم. وجد الأساقفة أنفسهم فجأة خارج السجن يديرون الإمبراطورية. تولى السلطة ديكتاتور عسكري جديد يُدعى قسطنطين. واعتنق المسيحية كدين للإمبراطورية. ما الذي دفع قسطنطين لاختيار المسيحية وليس إحدى الطوائف الأخرى التي تؤمن بفكرة الرجل الإله الذي يموت ويبعث، والتي تبناها أسلافه؟ ربما كان ذلك لأن والدته كانت مسيحية. ففي النهاية، لا ينبغي لأحد أن يستهين بتأثير الأم! ربما، كونه حاكماً مستبداً، انجذب إلى الطبيعة الاستبدادية للكنيسة الحرفية. يمكننا على الأقل أن نتجاهل الخيال الذي ابتكره الحرفيون لاحقاً بأن يسوع قد ظهر لقسطنطين في الليلة التي سبقت معركة عظيمة وضمن له النصر على أعدائه. يبدو من غير المرجح أن يوافق يسوع، "أمير السلام"، على طاغية شرير مثل قسطنطين.

خطط قسطنطين لاستخدام تنظيم الكنيسة الحرفية لمساعدته في توحيد إمبراطوريته والسيطرة عليها. تكمن المشكلة في أن المسيحيين كانوا يختلفون فيما بينهم منذ بداية المسيحية. وكان حله هو دعوة الأساقفة المسيحيين إلى أول مؤتمر مسيحي على الإطلاق في نيقية لتثبيت عقائد المسيحية. ولكن ما إن وصل الأساقفة حتى بدأوا في إغراق الإمبراطور بالالتماسات التي يشكون فيها من إخوانهم المسيحيين. قام قسطنطين ببساطة بحرق جميع الالتماسات. لقد أراد الوحدة وفرضها.

تم وضع عقيدة حرفية في نيقية وفرضت على الأساقفة المشاغبين باستخدام أسلوب الترغيب والترهيب الساخر. أولئك الذين وافقوا على الانضمام إلى العقيدة الجديدة تمت دعوتهم للبقاء لأشهر من الترفيه الفخم كضيوف قسطنطين. أما الذين رفضوا فقد تم نفيهم من الإمبراطورية باعتبارهم مجرمين. تم تصميم قانون الإيمان النيقاوي من قبل إمبراطور روماني مستبد وتم فرضه على المسيحية بالقوة. ومع ذلك، ومن المثير للدهشة، أنه لا يزال يُردد في الكنائس في جميع أنحاء العالم اليوم.

وصل الأسقف يوسابيوس إلى المؤتمر معارضاً العديد من الأفكار التي أصبحت فيما بعد العقيدة، لكنه استطاع أن يرى اتجاه الرياح وغادر نيقية كـ يد يمنى لقسطنطين. أصبح يوسابيوس كاتب سيرة قسطنطين وكتب ″الخطبة″، التي تمدح الإمبراطور باعتباره قديساً حياً. يكاد يكون إلهاً. هو بالتأكيد ممثل الله على الأرض. لكن في الحقيقة، كان قسطنطين، مثل معظم الأباطرة الرومان، وحشاً. عاد إلى منزله من نيقية ليخنق زوجته ويقتل ابنه. ظل غير معمد حتى فراش موته، حتى يتمكن من

الاستمرار في اغتيال كل من تحدى سلطته، ومع ذلك يحصل على المغفرة في النهاية. لكنك لن تعرف أيًا من هذا من قراءة يوسابيوس.

كما كتب الأسقف يوسابيوس كتاب "تاريخ الكنيسة" الذي كان له تأثير كبير. لكن "تاريخه" هو سرد دقيق لأصول المسيحية بقدر ما أن خطبته هي صورة حقيقية لقسطنطين. إنها رحلة خيالية كاملة، مصممة لتلبية احتياجات الكنيسة الرومانية السلطوية. ومع ذلك، يشكل كتاب يوسابيوس أساس فهمنا التقليدي للتاريخ المسيحي، لأنه على مر القرون كان على جميع المؤرخين الاعتماد عليه باعتباره مصدرهم الأكثر أهمية. لماذا؟ لأن جميع الروايات البديلة تم حظرها وحرقها.

منذ بداية القرن الرابع الميلادي، وبدعم من الإمبراطورية الرومانية، شرع المسيحيون الحرفيون في اضطهاد منافسيهم الغنوصيين والوثنيين حتى استئصالهم من الوجود. وباستخدام العهد الجديد الذي رفض الهراطقة والعهد القديم الذي شرّع سياسة الأرض المحروقة ضد كل معارضة، فرضت الإمبراطورية الرومانية المقدسة المسيحية بعنف غير مقدس. لكن المسيحيين الحرفيين فعلوا أكثر بكثير من مجرد القضاء على جميع الأديان الأخرى. لقد دمروا الحضارة نفسها. لطالما حلم المسيحيون بنهاية العالم، وقد نجحوا الآن في جعلها حقيقة واقعة.

يعلم الجميع أن البرابرة دمروا روما، لكن قليلون يعلمون أن هؤلاء البرابرة كانوا مسيحيين. في القرنين الخامس والسادس، تجولت جماعات من الرهبان المسيحيين ذوي الرداء الأسود دون رادع في جميع أنحاء الإمبراطورية المتداعية، مما أدى إلى تدمير عجائب الحضارة الوثنية. وصفهم كاتب وثني من تلك الفترة بأنهم "رهبان يشبهون الرجال لكنهم يعيشون مثل الخنازير" ويأسف لأن "كل من كان يرتدي رداءً أسود كان يتمتع بسلطة استبدادية". [55]

على غرار حركة طالبان التي فجرت تماثيل بوذا القديمة في أفغانستان، دمر الرهبان المسيحيون معابد وثنية قديمة ظلت قائمة لآلاف السنين. تم نفي كهنتهم وكاهناتهم، أو قتلهم، أو ببساطة تقييدهم بالسلاسل في مزاراتهم وتركهم ليموتوا جوعاً. تم توزيع ثروات المعابد بين الإمبراطور والأساقفة. تم قتل الفلاسفة والزنادقة أو نفيهم. أُحرقت المكتبات العظيمة. وبينما كانت أدبيات العصور القديمة تُحرق، أعلن أوغسطين انتصار الكتابة الحرفية:

> لا يجوز قبول أي شيء إلا بناءً على سلطة الكتاب المقدس، لأن تلك السلطة أعظم من كل قوى العقل البشري. [56]

كان المسيحيون الحرفيون يعتقدون أنهم من خلال تبجيل الكتاب المقدس باعتباره كلمة الله المعصومة من الخطأ، سيؤذنون بعصر جديد من التنوير المسيحي. لكنهم كانوا مخطئين تماماً. في الواقع، انطفأت الأنوار في جميع أنحاء أوروبا وعاد الغرب إلى حياة وحشية من الجهل والخرافات. كان المسيحيون الحرفيون يأملون في إقامة ملكوت الله، لكنهم في الواقع خلقوا ألف عام من البؤس التي نسميها "العصور المظلمة".

مسألة المعقولية التنافسية

إذا كررت الكذبة مرات كافية، فسوف يصدقها الناس في النهاية. هذا ما حدث مع المسيحية الحرفية.

نحن على دراية كبيرة بقصة يسوع لدرجة أننا غير قادرين على التعامل معها بنفس الطريقة التي نتعامل بها مع القصص الأخرى المماثلة. لكن انظر إلى الأمر بعقل متفتح، وستجد أن قصة يسوع أسطورة بكل وضوح. هل الأناجيل حقاً روايات شهود عيان عن حياة رجل إلهي مات وقام بمعجزة؟ لا. لا يوجد دليل على وجود يسوع أكثر مما يوجد على وجود موسى ويشوع وداود وسليمان وبقية الشخصيات. جميعها إبداعات أدبية يهودية. قصة يسوع هي استعارة رمزية تستند إلى الأساطير الوثنية القديمة. إنها مثلٌ بقدر ما تحتويه من أمثال. إن البحث عن يسوع الحقيقي لا يقل عبثاً عن البحث عن السامري الصالح الحقيقي.

يوجد اليوم نحو عشرين ألف طائفة مسيحية مختلفة. جميعهم تقريباً من أتباع التفسير الحرفي للنصوص ويعتبرون العهد الجديد، الذي وضعته الكنيسة الرومانية، بمثابة سرد أصيل لحياة يسوع. لكن عندما يُسألون عن سبب كونهم مسيحيين، يقول معظم الناس إن ذلك يعود إلى أنهم يعيشون علاقة داخلية شخصية مع يسوع. المفارقة الكبرى هي أن هذا سبب ممتاز لأن تكون مسيحياً غنوصياً، وليس مسيحياً حرفياً. كان الغنوصيون يرون في يسوع شخصية روحية داخلية، تمثل المسيح الموجود في داخلنا جميعاً. عندما يعيش الناس علاقة شخصية مع يسوع، فإنهم في الواقع يتبعون تقاليد المسيحيين الغنوصيين.

إن التجربة الروحية ليسوع الداخلي ليست سبباً وجيهاً لكون المرء مسيحياً حرفياً، لأنها لا تثبت وجود يسوع الإنسان، تماماً كما أن تجربة كريشنا أو أوزيريس الداخلي لا تثبت أن هؤلاء الرجال الآلهة الآخرين كانوا موجودين بالفعل. السبب الوحيد المقبول لأن تصبح مسيحياً حرفياً، وأن تراهن بمصير روحك الأبدية على أن تكون قصص الإنجيل دقيقة تاريخياً، هو البحث عن الدليل على أن يسوع قد قام بالفعل من بين الأموات. ولا يوجد أي منها ببساطة.

في كتابينا السابقين، "أسرار يسوع" و"يسوع والإلهة"، عرضنا بمزيد من التفصيل الأدلة على الأطروحة التي استكشفناها في هذا الفصل. ومنذ ذلك الحين، نتلقى رسائل بريد إلكتروني من القراء يومياً. يأتي الكثير منها من أشخاص كانوا متشددين سابقين، يشكروننا على تحريرهم وفتح آفاقهم الروحية. وقد أعرب آخرون عن غضبهم إزاء تاريخنا التحريفي للمسيحية. لكن هل أطروحتنا شاذة إلى هذا الحد؟ لا نعتقد ذلك. بل إن النظرية التقليدية لأصل المسيحية هي النظرية الشائنة، والتي بالمقارنة بها تبدو نظريتنا معقولة تماماً.

رداً على شرطي مسيحي راسلنا عبر البريد الإلكتروني قائلاً إنه من المستحيل أن نكون على صواب، اقترحنا عليه أننا ببساطة نفكر من منظور المعقولية التنافسية. لقد شعرنا أن هذا النهج يجب أن يروق لرجل الشرطة، الذي تلقى تدريباً في تقييم الأدلة. تتمثل أطروحتنا في أن المسيحية نشأت بشكل طبيعي مع مرور الوقت كتركيبة غنوصية من الوثنية واليهودية. يعتقد المسيحيون الحرفيون أن كل شيء بدأ عندما أنجبت عذراء ابن الله، الذي سار على الماء وعاد من الموت. لقد اقترحنا أنه إذا ادعى شاهد في محكمة قانونية اليوم أن مثل هذه القصة حدثت بالفعل، فسيتم رفض قضيته باعتبارها هراءً. لم نتلق رداً.

الفصل الخامس محمد: من متصوف إلى رجل عصابات

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ.

القرآن [1]

في البدء خلق الله نور محمد الذي منه خلق العالم. كان محمد نبياً منذ بدء الخليقة، حتى قبل خلق آدم. عندما ولد محمد في مكة عام 570 ميلادي، كان قد تم ختانه وفصل الحبل السري. عند ولادته امتلأ المنزل بأكمله بالنور وانحنت النجوم كما لو كانت على وشك السقوط على الأرض. في إيران، لاحظ عبدة النار أن موقد معبدهم، الذي كان مضاءً لألف عام، قد تحول إلى جليد بارد.

في سن الأربعين، ذهب محمد للتأمل في غار حراء بالقرب من مكة. وهنا ظهر له الملاك جبرائيل برسالة مكتوبة من الله وقال له: "اقرأ". لكن محمداً كان أمياً. ثلاث مرات أمسك الملاك محمداً من حلقه وأمره بالقراءة، وثلاث مرات أخبر محمد جبريل أنه لا يستطيع. انزعج محمد بشدة من زيارة جبريل لدرجة أنه حاول الانتحار. كانت زوجته المفضلة، خديجة، هي التي أقنعته في النهاية بأنه بالفعل نبي الله المختار.

بدأ محمد يتلقى المزيد والمزيد من الرسائل من الله والتي أصبحت في النهاية القرآن الكريم، وأسس النبي الدين الحق الواحد وهو الإسلام، الذي تخطى وأكمل وحي جميع الأنبياء السابقين. بتوجيه من الله شخصياً، ألهم محمد مجتمعاً إسلامياً من المسلمين الأتقياء الذين ازدادوا قوة ونفوذاً. في غضون سنوات قليلة أصبح محمد قائداً عسكرياً عظيماً، هزم أعداء الله وأسس إمبراطورية إسلامية. كلمة "الإسلام" تعني "الاستسلام"، ومن خلال محمد، يدعو الله البشرية جمعاء إلى الاستسلام لإرادته الإلهية والاعتراف بنبيه المختار.

في نهاية حياته، غادر محمد الجزيرة العربية ليلاً على حصان طائر. توقف في القدس حيث لا يزال بإمكانك رؤية بصمة يده وبصمة حافر حصانه المحفوظة بأعجوبة في قبة الصخرة. وفي القدس التقى بإبراهيم وموسى وعيسى، الذين أقروا بأن محمداً هو خاتم الأنبياء وأن دينه الجديد لم يكن مجرد استمرار لدينهم بل كان أفضل منه. وأخيراً عرج بمحمد إلى السماء حيث يجلس الآن عن يمين الله ويحكم على من يستحق الحياة الأبدية.

إنها قصة رائعة أخرى، ولكن هل أي منها حقيقي؟ نعم! وأخيراً، على عكس إبراهيم وموسى وسليمان وعيسى وبطرس وبقية الشخصيات، كان محمد بالفعل شخصية تاريخية. لسوء الحظ، عندما نخبركم كيف كان محمد التاريخي في الواقع، قد تتمنون لو أنه لم يكن موجوداً أبداً.

بحسب المسلمين المتصوفين الذين يُطلق عليهم اسم الصوفية، بدأ الإسلام بدائرة صغيرة من الغنوصيين الذين تشكلوا حول محمد، الذي كان نبياً مُلهماً ينقل الحكمة الإلهية. لكن في غضون بضع سنوات أصبح أقوى رجل في الجزيرة العربية، من الناحية اللاهوتية والاجتماعية والعسكرية. كان محمد متصوفاً وأصبح رجل عصابات.

استغل محمد مكانته التي أعلنها بنفسه كرسول الله للعرب لتوحيد القبائل المحلية المتحاربة سابقاً في

أمة قوية، أو مجتمع. تعهد أعضاء الأمة بالتوقف عن نهب بعضهم البعض، وهو ما كان ممارسة شائعة لقرون، وتكاتفوا لضرب كل من رفض الانضمام إلى التحالف الإسلامي لمحمد. تحولت الطائفة إلى جيش ثم إلى إمبراطورية، وكان محمد هو الديكتاتور العسكري المختار من الله. إذا كان تاريخ المسيحية يوضح كيف يمكن أن تنحدر الغنوصية المساواتية إلى دين حرفي استبدادي في غضون بضعة قرون، فإن تاريخ الإسلام يوضح أن العملية نفسها يمكن أن تحدث في غضون بضعة عقود.

محمد الغنوصي

نشأ محمد بين اليهود والمسيحيين الذين كان تأثيرهم عليه عميقاً. لكن اليهودية والمسيحية اللتين صادفهما محمد في شبه الجزيرة العربية لم تكونا هما اللتين نعرفهما الآن. إن العديد من القصص الواردة في القرآن الكريم عن الأنبياء العبرانيين وعيسى تختلف تماماً عن تلك التي نعرفها من الكتاب المقدس. من أين تأتي هذه القصص إذن؟ ويُقال إن محمداً قد صُدم عندما علم أن اليهودية والمسيحية ديانتان مختلفتان. [2] كيف يمكنه الخلط بين هذين التقاليدين الدينيين المختلفين تمامًا؟

يقدم العالم الكبير أدولف فون هارناك الإجابة. ما واجهه محمد في الواقع في الجزيرة العربية كان شكلاً من أشكال اليهودية المسيحية الغنوصية، والتي حولها النبي إلى الدين الذي نعرفه باسم الإسلام. [3] ازدهرت الجماعات الغنوصية اليهودية المسيحية مثل الأبيونيين والإلكاسيين في المنطقة التي ولد فيها محمد، وتأثيرهم على الإسلام واضح.

اشتهرت هذه الطوائف الغنوصية بالأهمية التي أولتها لدور الأنبياء وبالسعي وراء الرؤى الصوفية في البرية. لذلك عندما سعى محمد إلى تلقي الوحي في البرية، كان يتبع تقليداً محلياً راسخاً. وعندما يبدأ بتلقي رسائل من الله، فليس من المستغرب أن يجد أنها تتضمن العديد من الزخارف الغنوصية.

إن أبرز دليل على تأثير الغنوصية على محمد هو تناول القرآن لموت عيسى. وتفيد بأن:

> "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ" [4] تعتبر هذه الفكرة هرطقة تماماً بالنسبة للمسيحيين الحرفيين، لكنها أساسية للعديد من النصوص الغنوصية التي لا يتم فيها صلب سوى "ظهور" يسوع. هذه الفكرة التي تبدو غريبة هي في الواقع استعارة شائعة تشفر تعاليم عميقة حول الاستيقاظ للغنوص.

ومن الأمثلة الأخرى على التأثير الغنوصي على محمد قراره بجعل القدس مركز عبادة المسلمين، على الرغم من أنه غيّر ذلك لاحقاً إلى مكة. من أين أتت فكرة جعل مدينة معينة محوراً للعبادة؟ ليس من اليهودية. لا يوجد دليل على أن اليهود صلوا يوماً باتجاه القدس. ولا ينبع ذلك من المسيحية الحرفية. يصلي المسيحيون متجهين نحو الشرق، باتجاه شروق الشمس. لكن الغنوصيين الإلكاسيين كانوا يتجهون نحو القدس عندما يصلون. [5]

اتبع محمد في الأصل مثال الغنوصيين القائم على المساواة في معاملته للنساء. كان هناك مساواة لافتة بين الجنسين في المجتمع الإسلامي المبكر. كانت النساء من بين أقرب أتباع محمد، وشاركن

في الحياة العامة، بل وقاتلن جنباً إلى جنب مع الرجال في المعارك. لقد حرّم محمد قتل البنات، أو الندم على أنهن لسن أولاداً، ومنح النساء حقوقاً قانونية في الطلاق والميراث قبل قرون من الغرب. [6] للأسف، لم يدم هذا التوجه الغنوصي القائم على المساواة طويلاً. مع تحول محمد من متصوف إلى رجل عصابات، بدأت وحيه من الله يتخذ طابعاً أكثر استبدادية وأبوية.

التواصل مع الله

حدث أول "وحي" لمحمد في عام 610 م، وحدث آخر وحي قبل وفاته مباشرة في عام 632 م. وهكذا تم الكشف عن محتويات القرآن تدريجياً على مدى عقدين من الزمن. لكن هذه الرؤى لم تُجمع في كتاب خلال حياة محمد. يقال إن أتباعه، المعروفين باسم صحابة النبي، سجلوا وحي محمد على أي شيء كان في متناول أيديهم، مثل قصاصات الرق والجلد والحجارة وأوراق النخيل، وحتى أضلاع الإبل وعظام الكتف. لم يتم ترقيم هذه الشظايا أو تأريخها، بل تم إيداعها ببساطة في أوعية مختلفة دون أي اعتبار للتسلسل الزمني أو النظام.

بدأ تجميع كل الشذرات في القرآن الكريم بتوجيه من صهر محمد، عثماني، حوالي عام 660 ميلادي. إلا أن بعض العلماء خلصوا إلى أنه لم تكن هناك نسخة نهائية من القرآن حتى أواخر القرن العاشر. [7] وخلال هذه الفترة أيضاً، تم جمع أقوال وقصص أخرى عن محمد، تسمى الأحاديث، لتكملة القرآن. معظم الأشخاص الذين يُفترض أنهم تذكروا هذه الأقوال والقصص قد ماتوا في المعارك خلال حياة محمد، لذا فهي في أحسن الأحوال روايات منقولة. ومع ذلك، فقد تم الإعلان عن أن الأحاديث النبوية "ذات حجية".

لقد تم جمع كل من القرآن والأحاديث بشكل فوضوي عبر الزمن، ولذلك فهي مليئة بأنواع الأخطاء والحذف والإضافات الموجودة في جميع الكتب المقدسة. فعلى سبيل المثال، ينبغي أن يكون أول وحي لمحمد في بداية القرآن، ولكنه موجود في الواقع في النهاية. [8] أما ما قد يكون حدث أيضاً، فذلك يبقى مجرد تخمين. . وقد علق العديد من العلماء على حقيقة أن النص غالباً ما يكون غامضاً بشأن من يتحدث بالفعل. في بعض الأحيان يبدو أن الله يتحدث عن نفسه بصيغة الغائب، وفي مواضع أخرى بصيغة "أنا"، وفي مواضع أخرى (أحيانًا في نفس المقطع!) بصيغة "نحن". لقد سخر الكثيرون من القرآن لأن الله نفسه يُقسم! [9]

القرآن الكريم في الحقيقة فوضوي بعض الشيء. لكن بالنظر إلى الطريقة التي تم بها تجميعه، فلا ينبغي أن نتفاجأ. لكن بالتأكيد، إذا كان القرآن كتاباً إلهياً، ألم يكن من واجب النبي جمعه خلال حياته؟ ففي النهاية، من المفترض أن تكون هذه الرسائل وحياً من الله! انتقد العديد من العرب القرآن الكريم عندما تم إنشاؤه لأول مرة لأنهم جادلوا بأن الكتاب الحقيقي من الله سينزل كقطعة واحدة ولن يكون متكرراً. [10] هؤلاء النقاد الأوائل للإسلام كانوا على حق. القرآن الكريم متكرر بشكل استثنائي، وغالباً ما يتناول أموراً تافهة للغاية. لدرجة أن المرء يبدأ بالتساؤل عما إذا كان الله مصابًا بمرض الزهايمر.

يقدم القرآن الكريم بعض الادعاءات المثيرة للإعجاب حول نفسه. وينص بشكل قاطع على أن "ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ". [11] لكن حتى هذا البيان نفسه قابل للشك. لا يمكن أن يكون وحياً من الله إلى محمد، لأنه في حياة محمد لم يكن هناك "كتاب"، حيث لم يكن القرآن قد جُمع بعد. في الحقيقة،

القرآن لا معنى له منذ البداية. بكل معنى الكلمة! يبدأ بعبارة "الٓمٓ"، والتي لا تعني أي شيء. [12] حتى محمد نفسه لم يفهم معناها. من الغريب أن يبدأ الله كلمته النهائية بالغموض، لكن هذا أمر نموذجي للشعوذة التي تصاحب إنشاء ما يسمى بالنصوص "المقدسة".

يؤكد القرآن أن الله مطلق، ولا يشمل أحداً في حكمه، وأن آراء أو كلمات أي إنسان لا تشكل جزءاً من القرآن. ومع ذلك، يقر علماء المسلمين بأن ما لا يقل عن خمسين فكرة من أفكار الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قد تم دمجها في القرآن. وتشمل هذه الأمور إصدار أوامر للنساء بارتداء الحجاب، وهي عادة تم نسخها من المسيحيين البيزنطيين، وغيرها من العقائد التي كان لها تأثير عميق على الإسلام. ومع ذلك، وعلى الرغم من هذه الشذوذات، فإن القرآن يعلن نفسه خالياً من التناقضات. يطرح السؤال بلاغياً:

> أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ؟ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا. [13]

لكن أي شخص يتأمل في القرآن الكريم، سرعان ما يكتشف أنه مليء بالتناقضات لدرجة أن جميع عقائده الرئيسية متناقضة مع نفسها. دليل قاطع على أنه لم يكن من تأليف الله! تعكس هذه التناقضات رحلة محمد من الغنوصي إلى العارف بكل شيء. فعلى سبيل المثال، يقول محمد، الذي يدعو إلى المساواة، إن على المسلمين أن يتذكروا أنه لا يوجد إنسان إله، لذلك يجب أن يكون الرجال والنساء عادلين مع بعضهم البعض. لكن بعد بضعة أسطر، نتلقى رسالة مختلفة تماماً من محمد ذي النزعة الاستبدادية:

> الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ... ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ... وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ. [14]

مع تغير محمد، اضطر إلى مراجعة العديد من "وحيه" لتناسب أجندته الجديدة. يخبرنا القرآن نفسه أن بعض أتباع محمد اعتبروا تدخله في الوحي بمثابة تزوير. يقول ذلك دفاعاً عن نفسه:

> وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. [15]
> ولحسن الحظ، قدم الله لمحمد إجابة على الانتقادات الموجهة إليه بأنه يغير طبيعة وحيه أثناء استمراره. هذه الحجة مألوفة، وقد استخدمها أتباع التفسير الحرفي للنصوص الدينية على مر القرون. الله قادر على فعل ما يشاء، بما في ذلك تناقض نفسه، وعليك أن تثق بالنبي ثقة عمياء، لأن الشك أمر سيء. يؤكد القرآن:
>
> مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.؟
>
> [16]

لكن كيف يمكن للقرآن أن يكون حقاً كلمة الله التي لا تتغير والأبدية، إذا كان على الله نفسه أن يغير بعض الآيات خلال حياة محمد؟ لا شك أن الله سيصيب الهدف من المرة الأولى!

يفسر الغنوصيون الإسلاميون جزءاً كبيراً من القرآن على أنه أسطورة تشفر تعاليم صوفية،

وربما يكونون على حق في فعل ذلك مع الوحي المبكر لمحمد. لكن مع ازدياد قوة طائفة الإسلام الجديدة، فقد محمد، مثله مثل العديد من الأنبياء الذين نصبوا أنفسهم، بوصلته وبدأ يصدق دعايته. مع مرور الوقت، يبدو أن الغرض من الوحي الإلهي لمحمد أصبح بشكل متزايد هو ببساطة تعظيم نفسه وتبرير طموحاته السياسية. عندما يتم وضع هذه "الاكتشافات" في سياقها التاريخي، يصبح من الواضح ما كان يحدث بالفعل. اتخذ محمد قرارات تخدم مصالحه الشخصية، ثم قام الله بإنزال وحي جديد يؤيد هذه القرارات.

بل إن محمداً يستخدم وحيه المزعوم لتسوية ضغائن شخصية. كان عمه أبو لهب يعتبر محمداً دجالاً وكان يتبعه ويقاطعه ويقاطع خطبه وينادي على الحشد قائلاً: "لا تصدقوا هذا الدجال، إنه كاذب". كانت زوجة أبي لهب معادية لمحمد بنفس القدر. ليس من المستغرب، وفقًا لمحمد، أن الله نفسه لم يستطع تحمل أبي لهب وزوجته المؤذية، وابتكر عقابًا مروعًا لهما. يقول القرآن:

> تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ... سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ. [17]

سمّونا متشائمين إن شئتم، لكن لا يسعنا إلا أن نعتقد أنه من الغريب أن يضيع الله وقته في الإساءة إلى عم محمد بينما كان بإمكانه أن يعلن عن شيء مفيد مثل علاج الجذام.

الأب الروحي للإسلام مهما كانت نوايا محمد الأصلية حميدة، فمع ازدياد طموحاته أصبحت أجندته أكثر فأكثر طائفية. كان محمد عضواً في قبيلة قريش. بدأ أولاً بتأسيس إله قبيلة قريش المسمى "الله" باعتباره الإله الوحيد، وقريش باعتبارهم شعب الله المفضل. حتى قبل محمد، كان تُعرف قريش باسم "أهل الله"، ولكن في ذلك الوقت كان الله مجرد واحد من 350 تمثالًا للآلهة المحلية لشبه الجزيرة العربية المعروضة داخل حرم الكعبة في مكة. لقد غيّر محمد كل ذلك. أسس سلالة عربية حكمتها قريش وأقرها الله الإله الواحد الحق.

بنى محمد سلالته من خلال عقد تحالفات عائلية ذكية عن طريق الزواج. كان الخلفاء الأربعة الذين خلفوا محمداً مرتبطين به عن طريق المصاهرة، ولعدة قرون بعد محمد، كان جميع الخلفاء ينحدرون من عائلة قريش. كان هذا بوضوح قصد محمد، كما توضح أقواله:

> إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ، لاَ يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلاَّ كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ.
>
> لاَ يَزَالُ الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ. [18]

بعد أن رفع محمد شأن شعبه وإلههم القبلي فوق القبائل العربية الأخرى وآلهتها، شرع الآن في رفع شأن العرب عموماً فوق جميع الشعوب الأخرى. يقول محمد على لسان الله: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ". [19] على الرغم من احتجاجات المسلمين اللاحقين بأن هذه الآية من القرآن تشير إلى المجتمع الدولي للمسلمين، إلا أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً، لأنه عندما تلقى محمد هذا الوحي لم يكن هناك مجتمع دولي، بل كان هناك فقط مسلمون عرب.

محمد هو قبل كل شيء قومي عربي يروج لدين عربي محدد. يقول القرآن: "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ". [20] ولهذا السبب يجب على جميع المسلمين حتى يومنا هذا تعلم اللغة العربية

لكي ينالوا البركة. في الواقع، ليس العرب فقط هم شعب الله المختار، الذين أرسل إليهم أعظم أنبيائه، بل إن الله اختار اللغة العربية أيضاً كلغة تُتحدث في الجنة. يقول محمد:

" أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي " . [21]

لقد أوضح النبي صراحة أن "حب الوطن جزء لا يتجزأ من الإيمان". [22] هل هذه حقاً وحي إلهي من الله الواحد، أم أنها مجرد تعبير عن المشاعر القومية التي يتوقعها المرء من نبي إله قبلي عربي يُدعى الله؟

منحت القومية التي نادى بها محمد العرب رؤية لأنفسهم كشيء أعظم من مجرد مجموعة من القبائل المنفصلة التي تخوض حروباً مستمرة فيما بينها. لكن للأسف، ما إن شعر العرب بنشوة تجاوز هوياتهم القبلية الضيقة إلى كيان "نحن" متكامل، حتى انحدرت الأمة الإسلامية إلى الطائفية العنيفة القائمة على مبدأ "نحن و هم". ومثل العديد من المجتمعات القومية والمتعصبة دينياً، كان المسلمون في عهد محمد متماسكين بشكل أساسي من خلال شيء واحد. لقد اتحدوا ضد أعدائهم.

وعلى مدى عشرين عاماً، قاد محمد اثنين وثمانين هجوماً ضد جيرانه في شبه الجزيرة العربية. هذا يعني هجوماً واحداً كل ستة أسابيع! تعرض العرب واليهود والمسيحيون الآخرون للنهب بلا رحمة لبناء ثروة وقوة أمة محمد. لكن هذا لم يعد مجرد أعمال قطاع طرق معتادة كانت شائعة في ذلك الوقت. وقد اكتسبت شرعيتها الآن من خلال وحي محمد من الله. لقد أعلن الله نفسه الآن: "فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ". [23] في سورة من القرآن الكريم تُسمى "الغنائم"، يمنع الله محمداً من إظهار الرحمة لأسراه بقوله:

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ . [24]

تم توزيع ثروة الشعب المهزوم ونسائه وأطفاله بين محمد وأصحابه. إن سياسة المسلمين في إضفاء الشرعية على عدد غير محدود من الجواري، بالإضافة إلى الزوجات الأربع المسموح بهن من قبل الله، تعني أن النمو السكاني لأتباع محمد كان هائلاً. كان لدى محمد نفسه إما تسع زوجات أو سبع وعشرين زوجة، وذلك بحسب الرواية التي تصدقها. كان هذا ممكناً لأن الله قد منح محمداً امتيازاً خاصاً:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ. وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ. وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا. خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ . [25]

مع ازدياد القوة العسكرية لأمة محمد، ازدادت طموحات زعيمها، الذي أعلن الآن:

كل نبي يُعيّن لأمته، أما أنا فقد عُيّنت نبياً لجميع الأمم. [26]

وإيماناً منه برسالته التي أوكلها إليه الله، بدأ محمد بإرسال جيوش إلى بلاد أجنبية بثلاث تعليمات بسيطة:

1. ادعُ الناس للانضمام إلى الإسلام.

2. إذا لم يقبلوا، فعليهم الاستسلام ودفع الجزية.

3. إذا لم يفعلوا ذلك، فيجب مهاجمتهم.

ربما كان مصطلح "الإسلام" في الأصل يعني "الاستسلام" الصوفي لإرادة الله، لكنه أصبح الآن يعني ببساطة "الاستسلام أو الموت". مع توسع الأراضي الإسلامية، أصبح من غير العملي ببساطة ذبح كل أولئك الذين لم يعتنقوا الإسلام، وهكذا أصبح فرض الجزية، التي كانت ببساطة ضريبة على غير المؤمنين، سياسة سائدة في جميع أنحاء الإمبراطورية العربية. أنشأ محمد شبكة حماية مقدسة، وجعل من نفسه الأب الروحي المعين إلهياً. في ضوء ذلك، ربما ليس من المستغرب أن يعتقد بعض العلماء الآن أن كلمة مافيا ذات أصل عربي. [27]

المسلمون واليهود والمسيحيون في الأيام الأولى لدعوته، لم يرَ محمد المتصوف نفسه في معارضة لليهود والمسيحيين. بل على العكس تمامًا. لقد صور نفسه على أنه يواصل تقاليدهم النبوية، وأعرب عن أمله في أن يقبله اليهود والمسيحيون باعتباره رسول الله. لم يدّعِ محمد أن الإسلام دين جديد، لأنه رأى نفسه ببساطة يجلب الإيمان بالله الواحد إلى الشعب العربي، الذي لم يكن لديه نبي من قبل. لقد كرم يسوع، لكن ليس باعتباره ابن الله. بالنسبة لمحمد، كان عيسى سلفاً له، نبياً قام بتعليم نفس الدين. يقول القرآن:

شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ. [28]

في البداية، أقر محمد بادعاءات اليهود بالتفوق، لأنهم كانوا يمتلكون تقاليد نبوية عريقة وكانوا يعبدون إلهاً واحداً بالفعل. يقول القرآن إن الله أعلن:

يَا بَنِي اِسْرَٓائِلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. [29]

في هذا الوقت، أصدر محمد المتصوف مرسوماً يقضي بأنه "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ". [30] لكن عندما أدرك أن الإسلام لن يتم تبنيه طواعية من قبل اليهود والمسيحيين، تغير محمد. والآن ينطلق لتمجيد الإسلام فوق جميع الأديان الأخرى. يؤكد القرآن الكريم بكل جرأة:

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ. [31] هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا. [32]

إن تصوير الإسلام كدين جديد منح محمد فرصة لتنقيح القصص الواردة في الكتاب المقدس اليهودي المسيحي لتناسب أجندته القومية الخاصة. كانت قصة إبراهيم التوراتية بحاجة ماسة إلى إعادة صياغة شاملة. زعمت قبيلة قريش، التي ينتمي إليها محمد، أنها من نسل إسماعيل ابن إبراهيم. كانت قريش تعتقد أن إبراهيم وإسماعيل قد أتيا إلى الجزيرة العربية في العصور القديمة لإعادة بناء الكعبة. وغني عن القول، أن الكتاب المقدس لا يذكر أي شيء من هذا. ما يقوله الكتاب المقدس عن إسماعيل هو كلام مهين تماماً.

بحسب الكتاب المقدس، فإن إسماعيل هو ابن إبراهيم، لكنه لم يولد في إطار الزواج من زوجته

سارة. إسماعيل هو ابن إبراهيم وهاجر، جارية سارة. بصراحة، إسماعيل هو ابن زنا. إن رسالة القصة اليهودية هي أن العرب هم من نسل الابن غير الشرعي من عبدة. بحسب الكتاب المقدس، يفضل الله ابن إبراهيم الشرعي إسحاق، وهو جد اليهود، ويأمر إبراهيم أن يترك هاجر وإسماعيل في الصحراء ليموتا. من الواضح أن محمداً لم يستطع تحمل أي من هذا.

كان على محمد أن يدمج قصص الكتاب المقدس في تعاليمه، لأن هذا أعطاها هالة من القدم والتدين، لكنه كان بحاجة إلى أن تكون مختلفة بطرق مهمة. فقام بتغييرها. على الرغم من اعترافه سابقاً بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله، إلا أنه يقدم الآن نسخة مختلفة تماماً من قصة إبراهيم. لكن ليس محمد هو من يغير الأمور. بل على العكس تماماً. محمد ببساطة يوضح الأمور. بحسب وحيه من الله، فإن اليهود والمسيحيين هم الذين حرّفوا كلمة الله. وبالطبع هذا يتناقض تمامًا مع وحيه الذي يؤكد أن "لا أحد يستطيع أن يغير كلمة الله". [33]

من خلال وحيه، فعل محمد بالضبط ما فعله المتطرفون الدينيون الآخرون من قبله. إنه يستغل الشخصيات الأسطورية من الماضي لأغراضه الخاصة. بل إنه يذهب إلى حد الادعاء بأن إبراهيم لم يكن يهودياً، بل كان مسلماً. في الواقع، كان إبراهيم هو أول من أطلق على أتباع الإسلام اسم "المسلمين". [34] يزعم محمد أنه لم يكن إسحاق هو الذي قُدِّم كقربان لله، كما هو مذكور في الكتاب المقدس، بل إسماعيل. [35] ولم يكن جد اليهود إسحاق هو المفضل عند الله، بل كان جد محمد إسماعيل. الرسالة الأساسية لرواية محمد للأحداث هي كالتالي:

> القبيلتان اللتان اختارهما الله كأفضل قبيلتين كانتا من نسل إسماعيل وإسحاق. فضّل الله أبناء إسماعيل. ثم خلق الله محمداً في قبيلة قريش المختارة [ذرية إسماعيل]. ثم اختار عائلته كأفضل عائلة من بين عائلات قريش، وجعل من محمد أفضل الرجال جميعاً. [36]

بحسب الكتاب المقدس، جعل الله اليهود شعبه المختار بسبب استعداد إبراهيم للتضحية بابنه إسحاق. إن إعادة صياغة محمد الجذرية تقوض هذا الادعاء تماماً وتجعل العرب القبيلة المفضلة لدى الله. يُفترض أن الكتاب المقدس والقرآن كلاهما كلام الله. فأيهما يقول الحقيقة؟ لم يكن لدى اليهود أي شكوك. الكتاب المقدس كان صحيحاً، ومحمد كان نبياً كاذباً. بالنسبة لهم، لم يكن محمد نبياً حقيقياً، لأن عصر النبوة قد انتهى.

ويُقال إن هذا الرفض من قبل اليهود كان أحد أكبر خيبات الأمل في حياة محمد. ومنذ ذلك الحين، ازداد موقف محمد تجاه اليهود قسوة. ثم قدم الآن وحياً من الله قلب الوحي السابق رأساً على عقب. لم يعد اليهود شعباً مباركاً. لقد كانوا "ملعونين" و"لن يكون لهم نصيب في المملكة". [37] تفسير القرآن لهذا التغيير في القلوب بسيط. لم يعترف اليهود بمحمد كنبي الله.

لقد رمز محمد إلى رفضه للتقاليد اليهودية من خلال تغيير اتجاه العبادة من القدس إلى مسقط رأسه مكة المكرمة. حتى بعض أتباع محمد شعروا بالحيرة إزاء هذا التحول، لكن محمد أنزل وحياً أجابهم فيه الله قائلاً:

> سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ . [38]

هذا التفسير غير منطقي على الإطلاق. إذا كان كل من الشرق والغرب ينتميان بالتساوي إلى الله، فلماذا تغيير الاتجاه؟ ما تُظهره هذه الآيات حقًا هو أن محمدًا قد اتخذ قرارًا بتغيير اتجاه العبادة لأنه قد تم رفضه من قبل اليهود، وأن قراره قد تم إضفاء الشرعية عليه لاحقًا من خلال "وحي" من الله.

أصبحت مكة تُعامل الآن على أنها مقدسة لدرجة أنه مُنع الناس من التبرز وهو يواجه المدينة. كل من فعل ذلك كان كافراً. لم يكن الأمر كذلك بالنسبة للقدس التي كانت ذات يوم مقدسة. ورد في حديث نبوي أن أحد صحابة محمد قال:

إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ إِذَا قَعَدْتَ عَلَى حَاجَتِكَ، فَلاَ تَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلاَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَقَدِ ارْتَقَيْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَنَا، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى لَبِنَتَيْنِ مُسْتَقْبِلاً بَيْتَ الْمَقْدِسِ لِحَاجَتِهِ. [39]

لم يكن من الممكن أن يكون تحول موقف المسلمين تجاه اليهود والقدس أكثر وضوحاً: "أنا أتغوط في اتجاهكم العام".

الحرب المقدسة

مع ازدياد اقتناع محمد بأن مهمته الإلهية هي فرض الإسلام على العالم، أصبحت رسائله من الله أكثر طائفية وعنفاً:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ. [40]

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. [41]

قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ. [42]

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ . [43]

يخلق محمد عالماً مثيراً للانقسام، حيث يُعامل المسلمون بطريقة معينة وغير المؤمنين بطريقة أخرى. يقول القرآن الكريم: "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ". [44]

أن تكون مسلماً يعني أن تكون في "حزب الله"، وأن تكون كافراً يعني أن تكون ضد الله. إن مجرد مصاحبة غير المؤمن هو في الحقيقة عمل شرير. حتى لو كان ذلك الشخص قريبًا من الدرجة الأولى:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ. [45]

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ. [46]

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ! [47]

استحوذ عليه الهوس الديني، فبدأ محمد يدعي أن الله يريد من المسلمين شن الجهاد، أو الحرب المقدسة، ضد جميع الكفار:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ . وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ. [48]

ثم أطلق محمد سياسة وحشية للتطهير العرقي أدت في النهاية إلى طرد جميع اليهود والمسيحيين من شبه الجزيرة العربية. محمد يعلن:

يا جماعة اليهود... اعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ وَإِلاَّ فَاعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ". [49]

أُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لاَ أَدَعَ إِلاَّ مُسْلِمًا. [50]

كان انتقام محمد من اليهود لعدم قبولهم الإسلام وحشياً بشكل خاص. كانت قبيلة بني قينقاع اليهودية قد دخلت في تحالف مع محمد في السابق، لكنها الآن فقدت حظوتها لدى النبي. بعد حصار طويل لمدينتهم من قبل جيوش محمد، استسلموا. أراد محمد إعدام جميع جنودهم السبعمائة. لكن أحد رفاقه توسل إليهم أن يعاملوهم برحمة، فتم طرد القبيلة من الجزيرة العربية. لم يكن حظ قبيلة بني قريظة اليهودية جيداً. أمر الملاك جبريل محمداً بتدميرهم بالكامل. قُتل ثمانمائة رجل يهودي، وأصبحت نساؤهم سراري، وأصبح أطفالهم عبيداً. [51]

تم إخراج بني قريظة من حصنهم وحُبسوا في ساحات منفصلة. خلال الليل، قام المسلمون، بأمر من النبي، بحفر خندق طويل. مع بزوغ الفجر، صلى محمد إلى "الله الرحيم الرؤوف" وجلس بجانب الحفرة للإشراف على العملية. تم إحضار الرجال اليهود في مجموعات من خمسة أو ستة رجال وأيديهم مقيدة خلف ظهورهم. أُمروا بالاستلقاء ورؤوسهم ممدودة فوق حافة الحفرة. ثم قام علي والزبير، رفيقا محمد، بقطع رؤوسهم بالسيوف. بحلول الغسق، تم إنجاز المهمة. من بين النساء اليهوديات اللواتي وقعن في أيدي المسلمين كغنائم حرب، كانت هناك حسناء ساحرة تبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً تدعى ريحانة. لقد قُتل زوجها ووالداها وأصدقاؤها وأقاربها للتو بأمر من النبي، ولكن على الرغم من حزنها، عرض عليها محمد الزواج على الفور. رفضت ريحانة عرضه، فأخذها النبي ببساطة كجارية أخرى.

أصبح محمد الآن زعيماً لأكثر العصابات شراسة في الجزيرة العربية، وكل أولئك الكفار الذين تجرأوا على معارضته لقوا مصيراً مروعاً:

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. [52]

يكتب أنور شيخ، المسلم السابق الذي كان في شبابه متعصباً دينياً قتل غير المسلمين، بحماس ضد ما يسميه "مذهب محمد في الصراع الاجتماعي المتطرف". [53] يقول بصراحة :

> إن الغاية الكاملة من القرآن هي إنشاء مجتمع يكره الكفار يُدعى المسلمين، والذين يجب تلقينهم روح الجهاد لجعلهم قوة مهيمنة، مستعدين دائمًا لتمجيد الله ومحمد عن طريق القتل والنهب وإخضاع غير المسلمين. [54]

محمد المهووس بالعظمة الأنبياء أشخاص خطرون لأنهم يدّعون التحدث باسم الله، مما يمنحهم ادعاءً بالسلطة المطلقة. النبوة شكل من أشكال عبادة الأصنام، لأن النبي يصبح ممثلاً لله بنفس طريقة التمثال. لكن الأنبياء الأحياء أكثر خطورة بكثير من التماثيل الحجرية، لأن الأنبياء هم أشخاص لديهم أجنداتهم الشخصية الخاصة. الأشخاص الذين لديهم شعور متضخم بأهميتهم، والذين يعتقدون حقاً أن بإمكانهم إخبار الآخرين بما يفكر فيه الله. الأشخاص الذين ينتفخون بأوهام العظمة الخاصة بهم ويطالبون بأن يُعاملوا كآلهة. أشخاص مثل محمد.

في زمن محمد كان هناك العديد من الأنبياء الآخرين الذين يتجولون في الجزيرة العربية، مثل الأسود، النبي ذي الخمار؛ وطليحة، التي ادعى امتلاكه قوة العرافة؛ ومسيلمة، الذي قيل إنه كان يقوم بالمعجزات. لكن محمد يوضح أنه فوقهم جميعاً. إنه بالفعل أعظم نبي على مر العصور. أعظم من موسى وباقي أنبياء اليهود. أعظم من يسوع. لقد تجاوز وحيه كل ما سبقه ولن يتجاوزها أحد بعده. ويعلن نفسه آخر الأنبياء وأعظمهم. إن شعوره بأهميته الذاتية لا يعرف حدوداً.

الإسلام عبادة شخصية أنشأها محمد لتمجيد محمد. بحسب محمد، فإن طريق الخلاص هو الاقتداء بمحمد، ومع ذلك لا يوجد أي تلميح إلى أن أي شخص يمكن أن يكون مساوياً للنبي نفسه. يتوقع محمد من أتباعه أن يتبعوه، كما يوضح القرآن:

> يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ. [55]

في الأيام الأولى، أوضح محمد المتصوف أنه ليس إلهاً. إنه ليس ابن الله، كما يدعي المسيحيون أن يسوع ابن الله. لكن مع ازدياد شعبية محمد، يتراجع دور الله تدريجياً إلى الخلفية، ويحتل النبي مركز الصدارة. بينما لا يزال يدّعي أنه عبد الله، يصبح محمد في الواقع هو السيد.

على الرغم من النهي القرآني الذي ينص على عدم إشراك أحد بالله، إلا أن مدح محمد أصبح جزءًا لا يتجزأ من الصلوات اليومية لكل مسلم. الشهادة هي الشهادة الأساسية في الإسلام، والتي تتضمن اسم محمد إلى جانب اسم الله. القرآن واضح لا لبس فيه في أن الطاعة لكليهما مطلوبة:

> وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا. [56]

مع تزايد جنون العظمة لدى محمد، انقلبت العلاقة بين الله ونبيه رأساً على عقب مع هذا التصريح:

> قد يكون المرء مهملاً تجاه الله، لكن يجب عليه أن يحترم محمداً. [57]

في نهاية حياته، قيل لنا إن محمداً صعد بأعجوبة إلى السماء، حيث يجلس الآن على يمين الله

منتظراً أن يحاسبنا جميعاً. وبهذه الأسطورة يكتمل الانتقال من نبي متواضع إلى كائن إلهي خارق. محمد يغتصب في النهاية سلطة الله بالكامل، لأنه لم يعد الله هو من يملك مفاتيح الجنة. إنه محمد.

ربما يكون القرآن قد علم سابقاً أنه في وقت الحساب "لن يتمكن أحد من نفع أحد لأن الأمر سيكون لله". [58] والآن قيل لنا أن محمداً يستطيع أن يشفع لنا وأن شفاعة النبي ملزمة لله. إذن، محمد هو من سيقرر من ينجو ومن يهلك، لأن الله يجب أن يخضع لرأي محمد.

ورأي محمد واضح. لا يهم مدى إيمانك بالله، أو مدى صلاحك، إذا رفضت محمداً فأنت كافر محكوم عليه بالهلاك الأبدي. على الرغم من أن القرآن قد ذكر بوضوح أن "الله هو مالك يوم القيامة"، إلا أن محمداً الآن أقوى من الله، لأن الله لا يملك حتى القدرة على إنقاذ المؤمنين به من جهنم. إن معيار دخول الجنة ليس الخضوع لله، بل الخضوع لمحمد. لقد أصبح الخادم سيداً. لقد أصبح النبي إلهاً.

الجنة والجحيم

الخوف هو الأداة الأساسية للدين الحرفي، ولا يوجد خوف أعظم من الخوف من الموت، إلا الخوف من عقاب الله بعد الموت. وكما هو الحال مع العديد من الأنبياء الذين نصبوا أنفسهم، يستخدم محمد أسلوب الترغيب والترهيب الفظ لإخضاع الناس، واعداً إياهم بحياة رائعة بعد الموت إذا آمنوا، ومخيفاً إياهم بأهوال جهنم التي تنتظر جميع الكافرين. يؤكد القرآن:

> وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ. [59]

> إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ. [60]

> إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا. [61]

يُعلن محمد أن كل من سمع بالإسلام ولم يعتنقه (وهذا يعني حوالي أربعة أخماس البشرية كما هي عليه الآن!) سيُعذب إلى الأبد بأبشع الطرق التي يمكن تخيلها:

> ۚ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ. وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ. كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ. [62]

> مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ. يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ. [63]

في ضوء ذلك، من المثير للدهشة أن جميع سور القرآن باستثناء سورة واحدة تبدأ بعبارة "بسم الله الرحمن الرحيم"! لكن الله رحيم بالذين يفعلون ما يُؤمرون به ويتبعون محمداً. سيدخلون الجنة:

> وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ. [64]

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ. تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ. [65]

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأْسًا دِهَاقًا. [66]

وتورد أقوال أخرى تفاصيل عن الحوريات، أو العذارى، اللواتي سيُتاحن لجميع الرجال في الجنة:

الحورية هي امرأة شابة فائقة الجمال ذات جسد شفاف. نخاع عظامها مرئي مثل الخطوط الداخلية للؤلؤ والياقوت. [67]

الحورية هي فتاة صغيرة السن، ذات ثديين كبيرين مرتفعين ومستديرين، ولا يميلان إلى التدلي. [68]

كل رجل يدخل الجنة سيُعطى اثنتين وسبعين من هؤلاء الحور العين، ومهما كان عمره عند وفاته، فسيكون في الجنة رجلاً في الثلاثين من عمره يتمتع بخصوبة مائة رجل. أما بالنسبة لأولئك الذين لديهم ميول جنسية مختلفة، فهناك أيضاً فتيان جميلون دائمو الشباب "جميلون كاللؤلؤ" يرتدون أساور فضية. وفوق كل هذا، يحصل سكان الجنة على خيول مجنحة مصنوعة من الياقوت، والتي ستنقلهم إلى أي مكان يريدون الذهاب إليه.[69]

ومع ذلك، على الرغم من كل هذا الحديث عن الثواب والعقاب، فإن محمد في الواقع مؤمن بالحتمية. يقول أحد الأقوال إنه بعد أربعين يوماً من تكوين الجنين في رحم أمه، "يرسل الله ملاكه إليه بتعليمات تتعلق بأربعة أشياء: رزقه، وموته، وأعماله، ومصيره". [70] تشرح أقوال أخرى:

لقد حدد الله مقدار الزنا الذي سينغمس فيه الرجل، والذي يجب عليه بالضرورة أن يرتكبه. [71]

مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ، وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ. [72]

يوضح القرآن بوضوح تام أن الله هو الذي يهدي المرء إلى الإسلام أو يبعده عنه. لكن في نفس الآية، يحمّل الله غير المؤمنين المسؤولية الكاملة عن أفعالهم. [73] كيف يمكن لله أن يحدد يوم القيامة لمحاسبة الناس في مصير قدّره لهم؟ أليس من المفترض أن يُحاكم إله محمد على تعذيب بعض الناس ظلماً ومحاباة آخرين بلا استحقاق؟ هذا ليس منطقي. لكن، في الواقع، نادراً ما تفعل الأديان ذلك.

إرث محمد من الكراهية

ادعى محمد أنه كان يجلب ديناً جديداً وأفضل للبشرية. لكن في الحقيقة، لم يكن الأمر سوى نفس الهراء القديم مع لمسة من التوابل العربية. وكما هو الحال مع التناخ والعهد الجديد، تم تجميع القرآن من قبل متطرفين دينيين لتحقيق أجنداتهم الطائفية. ومثل هذه "الكتب المقدسة" الأخرى، لا يزال القرآن مصدراً للصراع والانقسام اليوم، وخاصة في ما يسمى بالأراضي المقدسة.

على الرغم من تغيير اتجاه العبادة من القدس إلى مكة، إلا أن محمداً لم يتخل تماماً عن مطالبته بالقدس. على الرغم من عدم وجود دليل على أن محمداً قد زار المدينة على الإطلاق، إلا أن قصة

أسطورية عن رحلته الليلية إلى القدس قد تم دمجها في القرآن. وقد ضمن ذلك أن تصبح القدس مكاناً مقدساً للمسلمين، وبالتالي منحهم مطالبة شرعية إلهية بالمدينة. والنتيجة هي أن اليهود والمسيحيين والمسلمين جميعهم يعتبرون القدس الآن مدينتهم المقدسة، الأمر الذي أدى إلى قرون من المعاناة الشيطانية.

مستلهمين من تعاليم محمد القائلة بأن يوم القيامة لن يأتي حتى يقضي المسلمون على اليهود، لا يزال الأصوليون الإسلاميون يذبحون اليهود. [74] واليهود الأصوليون، الذين يريدون الاستيلاء على الأراضي العربية لإعادة تأسيس مملكة داود الأسطورية، يقتلون المسلمين. أما الأصوليون المسيحيون، الذين يريدون إعادة تأسيس اليهود في إسرائيل لأن ذلك شرط أساسي للمجيء الثاني للمسيح، فقد سلحوا اليهود حتى أسنانهم. اليوم، القدس عبارة عن عصا من الديناميت الإلهي تهدد بالانفجار في أي لحظة. وهؤلاء الأصوليون الدينيون مقتنعون بأن كل ذلك جزء من خطة الله، وأن هذا الانفجار يحدث بالفعل!

وقد تفاقمت الأزمة بسبب اعتقاد المسلمين بأنه نظراً لأن اليهود قد لعنهم الله، فلن يُسمح لهم أبداً بالعودة إلى القدس وتشكيل حكومة خاصة بهم. عندما عاد اليهود بالفعل إلى إسرائيل وشكلوا حكومتهم الخاصة، فقد ضرب ذلك جذور التقاليد الإسلامية. من على صواب؟ موسى، الذي ادعى أن إسرائيل هي الأرض التي وعد الله بها اليهود، أم محمد، الذي يؤكد أن الله قد لعن اليهود ونتيجة لذلك لا يمكنهم العودة إلى القدس؟ [75]

هناك بعض الأشخاص في العالم الإسلامي يفضلون رؤية جميع اليهود في إسرائيل يرمون في البحر بدلا من أن يثبت خطأ القرآن الكريم. هناك بعض الأشخاص في العالم اليهودي والمسيحي ممن يرغبون في رؤية جميع العرب يُطردون من إسرائيل لإثبات صحة كتابهم المقدس المحبوب. وهناك الكثيرون في جميع أنحاء العالم ممن يرغبون في رؤية هؤلاء الحرفيين يتخلون عن اعتمادهم على "الكتب المقدسة" المثيرة للانقسام والتي تبرر سلوكهم المروع. هل سيحدث هذا يوماً ما؟

نعتقد أنه سيحدث. لكن الغرب متقدم في اللعبة. دأب الباحثون الغربيون على انتقاد الكتاب المقدس اليهودي المسيحي لثلاثة قرون. لم يبدأ العالم الإسلامي بعدُ بتحليل القرآن تحليلاً نقدياً. إن الغرب ينتشل نفسه ببطء من مستنقع التعصب الحرفي ويؤسس تقليداً جديداً يشجع على الفردية، وليس الطاعة الجماعية للسلطة الدينية. تقليد يعتبر الشك أفضل من الإيمان الأعمى.

بينما تبقى سلطة القرآن الكريم غير قابلة للنقاش في العالم الإسلامي، فإن القيم الليبرالية العلمانية للغرب سترفض باعتبارها من عمل الشيطان، تماماً كما كان محمد يريد. القرآن واضح في أن الخلاص لا يأتي من خلال التفكير بأنفسنا، بل من خلال تقليد الحاكم العظيم محمد. ولهذا السبب يعتقد الأصوليون المسلمون أن من واجبهم أن يسلكوا ويتحدثوا ويأكلوا ويشربوا ويلبسوا ويفكروا مثل محمد. [76] وشن الحرب على الكفار كما فعل محمد!

باسم "الله الرحيم"، ترك محمد للعالم إرثاً من الكراهية. لقد غرس في أتباعه عقلية "نحن وهم"، الأمر الذي جعل المسلمين المتدينين في حالة حرب دائمة مع بقية البشرية. لقد حلت مادة السيمتكس محل السيوف، لكن الحماس الديني الإسلامي والمعاناة التي يسببها لا تزال كما هي. والآن لدينا شبح

أسامة بن لادن المرعب وهو يعيش في كهف، مثل محمد، ولا يزال يحث الشباب على القتل الجماعي للكفار، مثل محمد، ولا يزال يعد بالجنس الأبدي في الجنة كمكافأة على الاستشهاد. كما تقول الكاتبة المسلمة إرشاد مانجي في كتابها "مشكلة الإسلام":

> يشبه الأمر رخصة دائمة للقذف مقابل الاستعداد للتفجير. [77]

لماذا يتوق هؤلاء الشباب إلى التضحية بحياتهم مقابل وعود جوفاء؟ ذلك لأنهم تعرضوا لغسيل دماغ جعلهم يعتقدون أن القرآن بيان موثوق لآراء الله. وهم على يقين من أن محمداً في الجنة، جالساً عن يمين الله، ينتظر ليحاسبهم على مدى التزامهم بأوامره. بالطبع يعلم المسيحيون المتمسكون بالحرفية أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً، لأن يسوع هو الجالس على يمين الله. لعل السبب في عجز الله عن فعل أي شيء لوقف البؤس الذي يسببه الدين في عالمه هو أن كل هؤلاء الأنبياء يقفون على يدي الله؟

الفصل السادس حلم الاستيقاظ

التاريخ حلم أحاول الاستيقاظ منه.

جيمس جويس، عوليس

بعد سنوات عديدة من دراسة الأديان الكبرى في العالم، تطورت لدينا ردة فعل أشبه بالحساسية تجاه الكلام المبهم وغير المفهوم الموجود في نصوصها التي يُفترض أنها مقدسة. لقد أجبرتنا دراساتنا على استنتاج أن هذه الكتب لا يمكن أن تكون "كلمة الله". في الواقع، لو كنا محامين لله لنصحنا برفع دعوى قضائية بتهمة التحريف والتشهير. لكن هل يجعل هذا الاستنتاج هذه النصوص عديمة القيمة تماماً؟ بالطبع لا. في النهاية، نحن نقبل أن كلمات أفلاطون وروومي وشكسبير ليست سوى كلمات بشر، لكننا نعتبرها سامية على الرغم من كل ذلك.

لا نقول للحظة أن التناخ والعهد الجديد والقرآن لا تحتوي على لحظات من الجمال والبصيرة والحكمة. الأمر ببساطة أننا لا نستطيع، ولا نجرؤ، على تجاهل المقاطع المروعة من التعصب والتحيز والكراهية التي تحتويها أيضاً. لم يعد بإمكاننا الاستمرار في التظاهر بأن الإرهابيين الدينيين يحرفون الرسالة "الحقيقية" لنصوصهم المقدسة، في حين أن هذه النصوص نفسها تخلق عالماً قائماً على ثنائية "نحن وهم" وتحرض قرائها على العنف الذي يقرّه الله.

تكمن المشكلة في أن الأديان الحرفية تتوقع من أتباعها قبول نصوصها المقدسة على أساس "الكل أو لا شيء". مع ذلك، بطبيعة الحال، ينتقي معظم المؤمنين الآيات التي تعجبهم ويتجاهلون ما لا يروق لهم. لا تفهمونا خطأً؛ فنحن ممتنون لذلك! لو قام اليهود والمسيحيون والمسلمون بتنفيذ ما تتطلبه نصوصهم المقدسة في مدينة حديثة عادية، لكانت الفوضى عارمة. لكن إلى متى سيستمر هذا العصر من التسامح؟ ففي قراءتنا للتاريخ، كل ثقافة لديها ما يعادل طالبان، تنتظر في الخفاء، وتحلم بالعودة إلى السلطة المطلقة، وتخطط لانقلابها الديني.

يجب علينا أن نطبق موهبة التمييز التي وهبها الله لنا على جميع الكتب المقدسة وأن ندرك أنها مليئة داخلياً باللا منطق والتناقض لدرجة أنها أصابتنا بالجنون. فعلى سبيل المثال، يقول يسوع في الأناجيل: "من ليس ضدي فهو معي". لكنه يقول أيضاً: "من ليس معي فهو ضدي". الأول هو المساواة والشمول. أما الثاني فهو ضيق الأفق ومنعزل. إنهما متناقضان، لذا فإن الإيمان بكليهما يجعل يسوع مجنوناً ويجعلنا مصابين بالفصام.

لا نقول إنه لا توجد بعض المقاطع الملهمة في العهد الجديد. إن وصية محبة الأعداء وصية بالغة العمق. هل يجعل ذلك هذا التعليم أقل عمقاً إذا لم يكن يسوع موجوداً بالفعل؟ بالطبع لا. لم يكن هناك قط هاملت أو الملك لير أو بروسبيرو، لكننا ما زلنا نحب شكسبير. ستظل رؤيته للحالة الإنسانية ذات صلة طالما وُجد البشر، وكذلك تلك التي وضعها أحدهم على لسان بطلهم يسوع.

خلال حياتنا، أصبحت حكمة العالم متاحة في المكتبات المحلية ويمكن تحميلها من الإنترنت. من المؤكد أنه سيكون من السخف الآن الاستمرار في حصر أنفسنا في تقليد واحد أو في نص مقدس واحد. حان الوقت لمواجهة حقيقة أنه لا يمكن لأحد أن يكون على صواب في كل شيء. على سبيل

المثال، يمثل النصف الأول من كتاب طِيمَاوُس لأفلاطون نظرة ثاقبة رائعة على علم الكونيات والتصوف في التقاليد الباطنية اليونانية. لكن النصف الثاني مثير للسخرية بصراحة. أي شخص لديه قدر ضئيل من المعرفة الحديثة حول تشريح جسم الإنسان سيدرك أن أفلاطون مخطئ تمامًا. وبالمثل، قد يحتوي الكتاب المقدس على حكمة عظيمة، ولكن بشكل غير مفهوم بالنظر إلى علمه المطلق المفترض، فإنه لا يقول شيئًا عن فيزياء الكم. إن أي كتاب ليس إلا نتاجاً لزمانه ومكانه.

هناك العديد من الكتب الممتازة لدرجة أن التمسك بنص واحد هو ضرب من الجنون. في رأينا، فإن الأوبانيشادات، وتاو تي تشينغ، وجوهرة الحكمة أفضل بكثير من الكتاب المقدس. وإذا كانت هذه الأفكار شرقية للغاية بالنسبة لك، فانظر إلى الفلاسفة القدماء مثل أفلاطون وأفلوطين. اطلع على الشعر الرائع للصوفيين، مثل جلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي. انغمس في الحكمة المتعالية للمتصوف المسيحي في العصور الوسطى مايستر إيكهارت. وإذا كانت هذه الأعمال قديمة جداً أو غريبة جداً، فجرب شعر والت ويتمان النشواني أو الرباعيات الأربع لـ تي إس إليوت، لأن هذين المؤلفين أكثر صوفية بكثير من موسى أو محمد. لكن مهما كان مصدر إلهامك، تذكر أنه مجرد كتاب. وهذا يشمل الكتاب الذي تقرأه الآن!

يقدم لنا العالم الحديث العديد من مصادر الإلهام للاختيار من بينها، مما أدى إلى خلق ما يُطلق عليه غالبًا اسم "سوبر ماركت روحي". لكن ما المشكلة في محلات السوبر ماركت؟ عندما كنا أطفالاً، لم تكن هناك سوى متاجر صغيرة دينية تقدم تشكيلة محدودة من المنتجات المتربة التي تجاوزت تاريخ صلاحيتها بكثير. الآن يمكننا اختيار الروحانية التي نفضلها. يمكننا أن نقول إننا نحب هذا، لكننا لا نريد ذاك. عظيم! دعونا لا نتفاخر بذلك. فلنحتفل بذلك. إنها خطوة عملاقة إلى الأمام مقارنة بالأيام التي كانت فيها الكنيسة تحتكر الحقيقة.

التعافي من الجنون الديني

لقد تطور العالم، لكن الدين الحرفي عالق في الماضي. على عكس كل جانب آخر تقريبًا من جوانب الثقافة الإنسانية، حيث يُعتبر الجديد جذابًا والقديم عفا عليه الزمن، في مسائل الدين يُعتبر القديم مقدسًا والجديد هرطقة. عبّر محمد عن هذا الموقف الرجعي بشكل مثالي عندما أعلن:

أَلاَ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ شَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ. [1]

إن طبيعة الحياة تكمن في أن الأشياء تتغير باستمرار، لكن أصحاب التفسير الحرفي لا يحبون التغيير. كانت الأمور أفضل في الأيام الخوالي، عندما كان الدين يسيطر على حياتنا. علينا أن نعود إلى الوضع الذي كانت عليه الأمور في زمن محمد. علينا أن نعود إلى أيام الكنيسة الأولى. لقد سقطنا من جنة بدائية ونتجه نحو العقاب الرهيب الذي نستحقه. إن المستقبل الذي يُعرض علينا هو هرمجدون، ودمار شامل، وعقاب إلهي، ونار وكبريت. هل هذه حقاً هي الصور التي نريد أن نملأ بها رؤوس أطفالنا؟

يمكنك معرفة متى استسلمت التقاليد الروحية للحرفية لأنها تتوقف عن التغيير. يردد الناس نفس المعتقدات القديمة، ويؤدون نفس الطقوس القديمة، ويرتدون نفس الأزياء القديمة، على الرغم من

أنهم لم يعودوا يعرفون السبب. بدأت حركة الحسيديم كحركة نابضة بالحياة من المتصوفين اليهود والمفكرين الأحرار في بولندا في القرن الثامن عشر. لكن بعد بضعة قرون، أصبحوا طائفة حرفية تُرى وهي تؤدي طقوسها الدينية عند حائط المبكى في القدس، ولا تزال ترتدي ملابس بولندية من القرن الثامن عشر مصممة لبرد أوروبا الشرقية، على الرغم من حقيقة أنهم يعيشون الآن في حرارة الشرق الأوسط الحارقة. يتمسك أصحاب النزعة الحرفية بكل ما منحهم هويتهم في الماضي، بغض النظر عن مدى جنون ذلك الآن.

من الواضح أن الدين جنون. ومع ذلك، ولسبب ما، هناك شعور بأنه ينبغي علينا تجنب انتقاد هذا الجنون باحترام لأنه مسألة "إيمان". لماذا؟ لا نشعر بأننا مضطرون لإظهار هذا النوع من الخضوع المطلق في مسائل السياسة أو العلوم أو أي شيء آخر. لقد حان الوقت للإعلان أن الإمبراطور عارٍ. إن الدين الحرفي يستحق السخرية لا الاحترام. إنه أمر غير عقلاني وغير أخلاقي وقديم الطراز. ومضحك للغاية.

إن التفسير الحرفي للدين فكرة سيئة لم يتم التفكير فيها جيداً. فعلى سبيل المثال، يعلن المسيحيون الحرفيون معارضتهم للوثنية، ومع ذلك يحتفلون بعيد الفصح، الذي سمي على اسم الإلهة الوثنية إيوستر. وهم لا يحتفلون بهذا العيد المهم في تاريخ ثابت يصادف ذكرى صلب يسوع، بل وفقًا لتقويم قمري وثني. والأكثر غرابة أنهم يحتفلون بهذا اليوم المقدس بتناول البيض، وهو رمز للإلهة الوثنية. لماذا لا نصنع صلباناً من الشوكولاتة؟ ففي نهاية المطاف، تدور المسيحية حول تناول جسد المسيح. مع أن تحديد أي طرف نبدأ منه قد يمثل مشكلة بعض الشيء!

التفسير الحرفي للأمور جنون! لو قلنا لكم إن صديقاً لنا قد ولد من عذراء، ويستطيع المشي على الماء، وعاد من الموت، فمن سيصدقنا إلا المختل عقلياً؟ ومع ذلك، يصدق المليارات هذا الأمر بسعادة استناداً إلى كتاب قديم غريب. لو كنا نتعامل مع أي شيء آخر غير المعتقد الديني، لكانت هذه اللاعقلانية أساساً لتشخيص المرض العقلي.

يدفع الجنون الديني الأشخاص الذين يبدون أذكياء إلى قلب الحقيقة رأساً على عقب لتتوافق مع عقائدهم. أعلن ولي العهد الأمير عبد الله، وهو عضو في الطبقة الأرستقراطية الحاكمة المستبدة في المملكة العربية السعودية ومؤيد للتفسير الحرفي للشريعة الإسلامية، مؤخراً ما يلي:

> المملكة العربية السعودية لديها دستور مستوحى من الله وليس من صنع البشر. لا أعتقد أن هناك أي عربي يعتقد أن القرآن يحتوي على ثغرة واحدة تسمح بارتكاب الظلم. إذا كان هناك أي نظام ديمقراطي حقيقي في العالم، فهو النظام الموجود الآن في المملكة العربية السعودية. [2]

إذن، الديمقراطية لا تتعلق بإرادة الشعب، بل باتباع الوحي الإلهي والخضوع لحكم ملك! من الصعب معرفة من أين نبدأ مع شخص مستعد لتشويه معنى كلمات مثل الديمقراطية إلى هذا الحد، من أجل تبرير تحيزاته الدينية ومصالحه الذاتية.

لكن ليس المسلمون الغاضبون وحدهم من لا يبدو أنهم يدركون مدى وضوح نفاقهم. إن غالبية المسيحيين الأصوليين الأمريكيين، الذين يعبدون "الرب" ويتطلعون إلى "ملكوت" السماء، هم من

مؤيدي الحزب "الجمهوري". أليست الجمهورية تدور حول إلغاء الملوك والنبلاء؟ تتشابك المفارقة والارتباك والخداع الذاتي المتعمد لدرجة يصعب معها تحديد أين يبدأ أحدهما وأين ينتهي الآخر.

يبدو أن العديد من القادة الحرفيين بارعون في تكييف معتقداتهم الدينية مع مصالحهم الشخصية. على سبيل المثال، لا يقوم المتشددون في الولايات المتحدة بممارسة التسامح، أو محبة الأعداء، أو التبرع بكل أموالهم للفقراء. إنهم يبنون منظمات إنجيلية ضخمة ويضعون أنفسهم في قمتها. إنهم يبشرون بالأخلاق ويؤيدون أولئك الذين يفجرون عيادات الإجهاض ويشنون الحروب. إنهم بالضبط من نوع المنافقين الذين يدينهم يسوع في الأناجيل.

المفارقة هي أن أكثر الأصوليين تطرفاً ليسوا على بعد سوى خطوة صغيرة واحدة من الاستيقاظ. إنهم مقتنعون تماماً بأن دين كل شخص آخر هو محض هراء. كل ما عليهم فعله الآن هو أن يدركوا أن الأمر نفسه ينطبق عليهم! لكن بالنسبة للأصوليين، فإن هذه الخطوة الصغيرة هي قفزة عملاقة إلى المجهول، تتطلب إيماناً حقيقياً بسر الوجود، وهو ما لم يجدوه بعد. يحتاج الأصوليون إلى التأكد من أنهم يعرفون الحقيقة، لأن البديل الوحيد الذي يرونه مرعب. الأصوليون هم "نحن" في أشد حالات ضياعنا. كما قال الغنوصي المسيحي ثيودوتوس منذ قرون عديدة:

> أولئك الذين هم في غاية النوم يظنون أنهم في غاية اليقظة، لأنهم تحت تأثير رؤى حية وثابتة، ولذلك يظن أولئك الذين هم في غاية الجهل أنهم الأكثر معرفة. [3]

لكن في كثير من الأحيان يكون السبب في تبني الناس للأصولية هو أنهم مروا بتجربة حقيقية في الاستيقاظ من وهم الانفصال. لا شك في ذلك، ففي اجتماعات الأصوليين يعيش الناس شيئاً مميزاً. يشعرون بأنهم قد انتشلوا من حالة الخدر اليومية التي نسميها "الوضع الطبيعي" ويبدأون بالشعور بالحياة من جديد. إنهم يمرون بتجارب تتجاوز حدود الشخصية. لكن، في المقابل، كان الناس كذلك في تجمعات نورمبرغ النازية. لقد تجاوزوا أيضاً شعورهم بأنهم أفراد منعزلون، ولكن لسوء الحظ وقعوا في فخ الهوية المحدودة الأكبر المتمثلة في كونهم ألماناً. وبالمثل، يشعر الأصوليون الدينيون بالراحة من تجاوز هويتهم الشخصية، لكنهم ينخرطون في الهوية المحدودة الأكبر المتمثلة في كونهم مسيحيين أو مسلمين أو أي شيء آخر.

يشعر العديد من الأشخاص ذوي التفكير المستقبلي بالاكتئاب بسبب صعود الأصولية الحديثة، التي تهدد بإعادتنا إلى العصور المظلمة عندما حكم الدين العالم بقبضة من حديد. لكن لا ينبغي الخوف من الأصولية، لأنها ليست شيئاً جديداً. الجديد هو أن الكثير منا لم يعد ينظر إلى هذا التعصب على أنه مقبول. ما تغير هو أنه في أجزاء كبيرة من العالم الغربي، وخاصة أوروبا، أدت طرق التفكير الجديدة إلى تآكل النظام الشمولي الذي كان يمثله العالم المسيحي بشكل مطرد. وقد أدى ذلك إلى زوال الدين المنظم. لكنها كشفت أيضاً عن بقايا أخيرة من المؤمنين الذين يتمسكون بشدة بنظرة للعالم تعود إلى العصور الوسطى لقد ولّى زمانه منذ زمن طويل.

إن السبب الوحيد في شعورنا بالحاجة إلى تسمية الطريقة القديمة في رؤية الأشياء وتسميتها "الأصولية" هو أن الطرق الجديدة للنظر إلى العالم أصبحت شائعة للغاية. لكن ابتكار اسم جديد يخلق انطباعاً خاطئاً بأن هذا كان حفل تعميد بينما كان في الواقع جنازة. إن الأصولية ليست دليلاً على قوة التفسير الحرفي للدين، بل هي دليل على ضعفه. الأصولية هي التمسك الحرفي بالدين في

لحظات احتضاره، وليست في أوج شبابه. يخوض الأصوليون معركة دفاعية ضد العالم الحديث، لأنهم يعلمون أنهم يخسرون حرب الأفكار. في اللحظة التي يُنظر فيها إلى مجموعة من المعتقدات على أنها "تقليد" يحتاج إلى إنقاذ، فإنها محكوم عليها بالزوال.

عندما رد جورج دبليو بوش على مأساة 11 سبتمبر، استخدم لغة الكتاب المقدس ليعلن "إما أن تكون معنا أو ضدنا". نشعر بأنه على حق، ولكن ليس بالطريقة التي قصدها. إن الخيار الذي نواجهه الآن هو أن نكون مع جورج بوش وأسامة بن لادن وجميع أولئك المتشددين دينياً الذين يختارون إدامة الانقسام من خلال العنف والكراهية، أو أن نستيقظ على الوحدة ونختار الحب والتسامح، كما علمنا الغنوصيون لقرون. هل نحن مع جورج وأسامة أم ضدهما؟ إن كيفية اتخاذنا لهذا الخيار ستحدد العالم الذي نشارك في خلقه في هذه الألفية الجديدة.

التراث الهرطقي

على مر التاريخ، قدم الغنوصيون إمكانية الاستيقاظ إلى الغنوص كبديل للحرفية الدينية. لطالما كان الغنوصيون من أشد منتقدي الوضع الراهن البالي، الأمر الذي يوقعهم في المشاكل باستمرار. يُوصَمون بالهرطقة ويُضطهدون بشكل مروع. لكن بفضل شجاعتهم، ظل القلب الروحي للدين ينبض عبر العصور. كتب العالم العظيم والمفكر الحر ألبرت أينشتاين:

> لقد تميز العباقرة الدينيون في جميع العصور بنوع من الشعور الديني الذي لا يعرف عقيدة ولا إلهًا متصورًا على صورة الإنسان؛ بحيث لا يمكن أن تكون هناك كنيسة تستند تعاليمها المركزية على ذلك. ومن ثم، نجد بين الهراطقة في كل عصر رجالاً امتلأوا بهذا النوع الأسمى من الشعور الديني، وكانوا في كثير من الحالات يُعتبرون من قبل معاصريهم ملحدين، وأحياناً أيضاً قديسين. إذا نظرنا إلى الأمر من هذا المنظور، فإن رجالاً مثل ديموقريطوس وفرنسيس الأسيزي وسبينوزا متشابهون إلى حد كبير. [4]

ينتمي الغنوصيون إلى خلفيات مختلفة تماماً، لكنهم يشكلون تقليداً واحداً للتنوير الروحي. في الغرب، أطلق على هذا التقليد العديد من الأسماء، مثل الفيثاغورية والأفلاطونية والتصوف والباطنية والفلسفة الخالدة وعدد كبير من الأشياء الأخرى. نطلق على هذا التقليد اسم "الغنوصية"، لأنه يعلم الفلسفة التي تؤدي إلى الغنوص أو اليقظة. بالطبع، لم يستخدم جميع الأفراد المختلفين الذين يشكلون هذا التقليد هذا الاسم، ولكن تجميعهم معًا تحت مسمى "الغنوصيين"، بهذا المعنى الواسع الذي نستخدم فيه الكلمة، يمكّننا من التعامل مع هذه الحركة المهمة في تطور الأفكار كتقليد واحد يمكن التعرف عليه.

يعلّم الحرفيون الالتزام الأعمى بدينهم، أما الغنوصيون فهم انتقائيون يسعون إلى الحكمة أينما وجدت. ويؤكدون أنه فقط من خلال التفكير بطرق جديدة سنصبح أكثر وعياً. لذلك، ليس من المستغرب أنه في تلك الفترات التاريخية التي هيمنت فيها الديانة الحرفية، أصبحنا غارقين في العنف أو ببساطة راكدين. لكن خلال تلك اللحظات القصيرة التي ازدهرت فيها الغنوصية، تمتعنا بازدهار الثقافة والحكمة.

التاريخ يعيد نفسه، وإن كان ذلك مع بعض التحولات الطفيفة في كل منعطف. أحد الأنماط التي

يمكن تمييزها في الأحداث الفوضوية هو وجود فترات يبدو فيها أن البشرية تستيقظ. مثل طفل ذكي، نبدأ بطرح بعض الأسئلة المثيرة للاهتمام. وكما هو الحال في مرحلة الطفولة، فإن هذه النوبات الشديدة من التساؤل غالباً ما تصاحبها انفجارات من الإبداع. في مثل هذه الأوقات، يبدو كل شيء ممكناً، ويبدو أنه لا حدود للخيال البشري. والنتيجة عادة ما تكون ازدهاراً ثقافياً مذهلاً. وهذا لا ينبغي أن يكون مفاجئاً، لأن الثقافة ليست إلا مقياساً لخيال البشرية؟

للأسف، تتبع هذه الانفجارات من الصحوة فترات طويلة تستسلم فيها البشرية للقبضة الشمولية للدوغمائية والتشدد. تتراجع الثقافة، وعادةً ما تتجه نحو مسار معاكس. هناك حديث كثير عن التقاليد والعودة إلى الأساسيات. لا يتم إنشاء سوى عدد قليل من الأعمال الأصلية لأن المناخ ببساطة شديد الخطورة بحيث لا يمكن إنتاجها. تصبح الثقافة مجرد تكرار لأشكال التعبير التي أعلنها الملك أو رجال الدين أو الأغلبية الأخلاقية آمنة.

على الرغم من أن المواطن العادي ليس لديه أدنى فكرة عما يحدث بالفعل، إلا أنه يتم الصراخ بصوت عالٍ من كل كنيس أو كنيسة أو مسجد بأن هناك شخصًا ما في مكان ما متأكد تمامًا من ذلك. إنهم يحظون بآذان الله تعالى الصاغية. لديهم جميع الإجابات في كتابهم الأسود الكبير. وبالتالي، لا داعي لأن يقلق أي شخص آخر بشأن هذه الأمور. في الواقع، من الأفضل ألا يفكروا في الأمور على الإطلاق. وهكذا، وبدون أي شيء يفكرون فيه، يغفو الجميع ببطء.

إلى أن يظهر فيلسوف غنوصي متطفل آخر بأسئلة طفولية مثل "من أين أتينا؟" و"هل يوجد إله؟" و"لماذا الإمبراطور عارٍ؟" ولحسن الحظ أنهم يفعلون ذلك. لا بد من وجود شخص يقف في وجه كل هؤلاء المتغطرسين الذين يصرخون في مكبرات الصوت قائلين: "هكذا هي الأمور". هذه هي حقيقتك. هذا ما يجب عليك فعله! ما وجدناه مثيراً للدهشة هو وجود الكثيرين ممن كانوا على استعداد لتحمل المخاطر المروعة المتمثلة في مواجهة الرجال الذين يحملون مكبرات الصوت. وينبغي أن نكون ممتنين لهم إلى الأبد، لأنهم زرعوا بذور كل ما هو أفضل في الثقافة الإنسانية.

أثينا

شهدت أثينا الكلاسيكية واحدة من أعظم الانفجارات الثقافية. لفترة وجيزة في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، حدثت موجة من البحث الحر، هاجم خلالها الفلاسفة دين اليونان وسخروا من التفسير الحرفي لأعمال هوميروس وهسيودوس، والتي كانت بمثابة الكتاب المقدس لليونانيين. لقد علّم سقراط وأفلاطون الفلسفة الغنوصية الخالدة القائلة بأن الكل واحد، وانتقدوا هوميروس وهسيودوس بشدة، متهمين إياهم بنسبة "كل ما هو عار وخزي بين البشر، من سرقة وارتكاب الزنا وخداع بعضهم بعضاً" إلى الآلهة. [5]

كان الإغريق يفكرون الآن بطرق جديدة ومذهلة حول الآلهة والخلق وما يعنيه أن تكون إنسانًا. لم تستطع الأفكار القديمة استيعاب تدفق الطاقة الفكرية، فانقسمت. لكن انظر إلى الأفكار الجديدة التي تم ابتكارها: الديمقراطية، الفلسفة، العلوم، التعليم، الأدب، المسرح، الرياضيات، الهندسة المعمارية، النحت، الموسيقى، الرياضة؛ والقائمة تطول وتطول. إن إنجازات الإغريق مثيرة للإعجاب، وقد شكلت حضارتهم المخطط الأساسي لعالمنا الحديث. أنتجت هذه الثقافة النابضة بالحياة والمتسائلة عجائب مذهلة، ثم انهارت تماماً عندما استسلمت للتعصب الديني.

في نهاية القرن الخامس، استعاد حكام الأقلية المخلوعين السلطة وبدأوا ردة فعل رجعية. ومن المفارقات المأساوية، ولكن بشكل معتاد، أن الضحايا الرئيسيين كانوا هم أنفسهم الذين ألهموا النهضة الثقافية في المقام الأول. تم اتهام الفيلسوف اللامع والغريب الأطوار أناكسوغوراس، مستشار الزعيم العظيم لأثينا الكلاسيكية، بيريكليس، بالهرطقة ونفيه. وُجهت إلى زينوفانيس تهمة الكفر ونُفي من أثينا. جريمته؟ التعبير عن مشاعر تجديفية مثل "لو كان للماشية والخيول أيد لرسمت أشكال آلهتها مثل الخيول والماشية". [6] و

> لا أحد يعرف، ولن يعرف أحد، حقيقة الآلهة، لأنه حتى لو عثرت على الحقيقة، فلن تعرف أنك قد عثرت عليها. [7]

بروتاغوراس، الفيلسوف الذي اشتهر بجعل الإنسان "مقياس كل شيء"، اتُهم بالهرطقة. أُحرق كتابه في الشارع وغرق أثناء محاولته الهروب من مضطهديه. أُدين سقراط، أشهر فلاسفة التاريخ، وأُعدم. هؤلاء ليسوا سوى بعض الضحايا المشهورين للتطهير الفكري الذي نفذه الطغاة الثلاثون الذين حكموا أثينا آنذاك. كما لقي ألف وخمسمائة مفكر حر وفيلسوف آخر حتفهم في عهد الإرهاب. نجحت أثينا في قطع رأسها بنفسها. لقد كان سيناريو مروعاً، ولكنه سيناريو سيتكرر مراراً وتكراراً في التاريخ.

الأسكندرية

لقد تم سحق تجربة أثينا بلا رحمة، لكن الغنوصية عاشت لتلهم نهضة عظيمة أخرى من الحكمة والثقافة في الإسكندرية الهيلينية منذ القرن الثالث قبل الميلاد. هنا التقت الحكمة الروحية للعالم وتم دمجها في أشكال ديناميكية جديدة من قبل الغنوصيين الانتقائيين. قاموا بدمج الفلسفة اليونانية والمصرية لإنشاء كتاب "الهرمسية". تضافرت التأثيرات اليونانية والمصرية وبلاد ما بين النهرين لتكوين كتاب "العرافة الكلدانيون". تم دمج الفلسفة اليونانية مع الأساطير اليهودية لتكوين المسيحية. كانت الخيمياء والبوذية وكل التقاليد الروحية الأخرى وصولاً إلى الزرادشتية تُمارس وتُناقش علنًا.

قيل إن مكتبة الإسكندرية العظيمة كانت تحتوي على نصف مليون لفافة، بما في ذلك أعمال كتاب مثل إقليدس وأرخميدس وبطليموس، الذين عملوا جميعًا في المكتبة. كما احتوت على كتب أريستارخوس الساموسي، الذي أثبت أن الأرض هي أحد الكواكب وتدور حول الشمس. وإراتوستينس، الذي حسب ميل دائرة البروج وقطر الأرض بخطأ أقل من 1 بالمائة. وهيبارخوس، الذي حدد تقدم الاعتدالين، وحجم الشمس، وحسب خسوف القمر. وأبولونيوس، الذي قدم دراسة عن القطوع المخروطية قبل أربعة عشر قرناً من إعادة اكتشاف كبلر لهذه الأداة الحيوية لحساب مدارات الكواكب.

جادل العالم كارل ساجان بأنه لو لم يتعطل التقدم البشري بسبب العصور المظلمة، لكانت فترة بناء الكاتدرائيات في العصور الوسطى قد شهدت بداية عصر الفضاء. لكن هذا لم يحدث. عندما أصبحت المسيحية الحرفية دين الإمبراطورية الرومانية، جن جنون العالم مرة أخرى. تم إنهاء خدمة الاستفسار المجاني رسمياً، وأضرمت النيران في المكتبة الكبرى على يد عصابات من الرهبان ذوي الرداء الأسود. قام أوغسطين بصياغة أول حجة قانونية على الإطلاق مفادها أن

للدولة الحق والواجب في فرض العقيدة الدينية على رعاياها. استنكر معارضو أوغسطين "التحالف غير المقدس" بين الكاثوليك والدولة الرومانية، ولكن يمكن الآن قمعهم قانونياً بالعنف إذا لزم الأمر. [8]

بغداد

مع سيطرة رجال مثل أوغسطين بشكل كامل، انتقل الفلاسفة شرقاً، وكان العالم الإسلامي هو المستفيد من هذه الهجرة الفكرية. في فترة قصيرة بشكل مذهل، بدأت في القرن الثامن، أدى تدفق الروحانية والعلوم الغنوصية إلى تحويل الثقافة الإسلامية إلى أعظم حضارة في العالم. كتب الفيلسوف والعالم ثابت بن قرة الحراني:

> نحن ورثة الوثنية ومروجوها. من غير النبلاء والملوك في الوثنية قاموا بتحضير العالم وبناء المدن؟ من غيرهم قام بتنظيم الموانئ والأنهار؟ ومن غيرهم قد علّم الحكمة الخفية؟ لمن كشف الإله عن نفسه، وأعطى الوحي، وأخبر بالمستقبل، إن لم يكن للرجال المشهورين بين الوثنيين؟ لقد أعلن الوثنيون كل هذا. لقد اكتشفوا فن شفاء الجسد، كما أنهم عرفوا فن شفاء الروح؛ لقد ملأوا الأرض بأشكال مستقرة من الحكم وبالحكمة التي هي الخير الأسمى. بدون الوثنية سيكون العالم فارغاً وبائساً. [9]

وكان محقاً. بدون الوثنية، أصبح العالم الغربي فارغاً وبائساً حقاً. لكن مع انطفاء الأنوار في أوروبا، بدأت تضيء بشكل أكثر سطوعاً في الشرق. كانت الثقافة الإسلامية لا تزال فتية، وكان كل شيء يبدو ممكناً. وكانت ثمرة هذا الانفتاح الذهني، كما هو الحال دائماً، ثقافة راقية.

شهدت بغداد في هذه الفترة نهضة ازدهرت فيها النقد الأدبي والفلسفة والشعر والرياضيات وعلم الفلك والطب كما ازدهرت في أثينا والإسكندرية. كان في بغداد ألف طبيب، ومستشفى مجاني، وخدمة بريدية منتظمة، وبنوك لها فروع في أماكن بعيدة مثل الصين. [10] أُنشئت هنا أول جامعة، تُسمى بيت الحكمة، حيث تُرجمت النصوص اليونانية في علم الفلك والملاحة والجغرافيا والرياضيات والطب إلى اللغة العربية. استند العلماء المسلمون إلى هذا الأساس، وواصلوا تحقيق اكتشافات علمية خلال هذه الفترة أكثر مما حققوه في مجمل التاريخ المسجل سابقاً. [11]

استخدمت الطوائف الصوفية، مثل الإسماعيليين، الرياضيات والعلوم، تمامًا مثل أسلافهم الفيثاغوريين، كوسيلة لإيقاظ العقل البشري على شعور بالدهشة المتعالية. لقد هاجموا الدين الحرفي، بحجة أنه لا يمكن لأي وحي أن يكون نهائياً، لأن الله كان دائماً أعظم من الفكر البشري. [12] أطلقت طائفة أخرى على نفسها اسم الفيلسوف، من الكلمة اليونانية *philosophs*، والتي ربما تكون أيضًا أصل اسم "صوفي" الذي يطلق عادةً على المتصوفين الإسلاميين. استلهم الفلاسفة من مئات النصوص الفلسفية اليونانية المتاحة الآن، وجادلوا بأن البشر يمكنهم تجاوز الانفصال الظاهر للأشياء وتجربة أن الكل واحد. وأكدوا أن هذه الفلسفة هي الدين الأصلي للبشرية وأن جميع الأديان الأخرى هي نسخ غير كافية من التعاليم الحقيقية.

لقد علّم يعقوب بن إسحاق الكندي أن على المسلمين أن يسعوا إلى الحقيقة أينما وجدوا، حتى من الأجانب ذوي الدين المختلف. كانت تعاليم القرآن بمثابة أمثال لحقائق فلسفية مجردة لجعلها في

متناول عامة الناس. وهكذا كانت الديانة الموحى بها بمثابة فلسفة الرجل الفقير. ذهب أبو نصر الفارابي إلى أبعد من ذلك وجادل بأن الفلسفة أسمى من الدين السماوي. جادل بأن الدين ليس إلا وسيلة أخرى للسيطرة على الجماهير، وينبغي النظر إليه كفرع من فروع السياسة.

حث محيي الدين بن عربي المسلمين على اعتبار جميع الأديان متساوية في صحتها، وأن يشعروا بالراحة في الكنيس أو المسجد أو المعبد أو الكنيسة، لأنه كما يقول القرآن الكريم: "فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ". جعل يحيى السهروردي من مهمته في الحياة تتبع أصول الإسلام إلى ما أسماه "الدين الشرقي الأصلي". وادعى أن هذه الحكمة قد كُشفت لأول مرة في مصر القديمة ونُقلت من هناك إلى الإغريق عن طريق فيثاغورس وأفلاطون. انتقلت هذه الحكمة من اليونانيين عبر سلسلة من الحكماء حتى وصلت إلى معلمه، الحلاج.

لكن بحلول ذلك الوقت كان العالم الإسلامي يغرق في التشدد الديني. في نهاية القرن العاشر، تم إعدام السهروردي بتهمة الزندقة، وصلب الحلاج على يد حشد متعصب دينياً. أصبح الإسلام الآن يسير على نفس المسار الكئيب الذي سلكته المسيحية سابقاً. لقد قمعت المعارضة وطهرت الصفة التي جعلته عظيما: الانفتاح على الأفكار الجديدة. والآن خدع نفسه بالاعتقاد بأن القرآن وحده هو الذي يمكن أن يوفر كل ما هو مطلوب لبناء مجتمع عادل ومنظم. أُعلن أن "أبواب الفكر المستقل قد أُغلقت الآن"، وأصبح انتقاد النبي محمد جريمة يعاقب عليها بالإعدام. [13]

لقد ساهمت الثقافة الإسلامية بشكل كبير في المغامرة الإنسانية قبل أن تغفو في وقت ما خلال العصور الوسطى. إن مصير الثقافة الإسلامية يوضح مرة أخرى حماقة بناء مجتمع على "الوحي". إن إلزام الناس بالامتثال لقوانين عتيقة لا صلة لها بالمشاكل الاجتماعية الحالية يحكم عليهم بالعيش على نفس المستوى الفكري والثقافي الذي كانوا عليه قبل مئات السنين. لا تزال المرأة المسلمة المعاصرة في موطن محمد تتمتع بنفس الحقوق القانونية التي يتمتع بها الجمل. ولا يزال الرجال الأصوليون يقطعون رؤوس ضحاياهم، على الرغم من حملهم بنادق الكلاشينكوف بفخر على أكتافهم، لأن هذه هي الطريقة التي فعلها محمد. وهكذا يبقى العالم الإسلامي تائهاً في مكان ما في العصور الوسطى، يحلم بأمجاد الماضي ويغط في نوم عميق تحت تأثير سحر التفسير الحرفي المنوم.

فلورنسا

وبينما بدأ العالم الإسلامي يغفو، بدأت أوروبا تستيقظ من سباتها. وكما أدى صعود النزعة الحرفية في الغرب إلى انفجار الغنوصية في الشرق، كذلك أدى انحدار العالم الإسلامي إلى النزعة الحرفية إلى نهضة الغنوصية في الغرب. أعاد المور في إسبانيا تعريف الغرب بالأفلاطونية المحدثة والخيمياء ومجموعة من التقاليد الأخرى المفقودة منذ زمن طويل. عادت الغنوصية اليهودية للظهور في شكل الكابالا، وعادت الغنوصية المسيحية للظهور في شكل الكاثارية. كل هذه التيارات الخفية انبثقت في نهاية المطاف في فلورنسا.

في عام 1453 وصل العالم البيزنطي جيمستوس بليثو إلى فلورنسا وأعلن لمستمعيه المذهولين أن الخداع الديني لموسى وعيسى ومحمد قد انتهى. لقد جاءت الفلسفة لتأخذ مكانها. كان من بين أعضاء جمهور بليثو المذهول المصرفي الثري كوزيمو ميديتشي، الذي أرسل عملاءه للبحث عن

الأعمال الفلسفية القديمة. وفي غضون بضع سنوات، استعاد أعمال أفلاطون، وبلوتينوس، ويامبليخوس، وفرفوريوس، وغيرهم من الفلاسفة والمسرحيين والمؤرخين اليونانيين، بالإضافة إلى نصوص باطنية مثل كتاب "العرافة الكلدانيون"، و"الهرمسية"، و"غاية الحكيم". لم يتحدث أي أوروبي اللغة اليونانية لقرون، لكن الآن قام كوزيمو برعاية تلميذه مارسيليو فيتشينو ليتعلم اللغة ويترجم مقتنياته الجديدة. أنشأ "أكاديمية أفلاطونية جديدة" في فلورنسا استناداً إلى الأكاديمية الأصلية التي أغلقها الإمبراطور المسيحي جستنيان في القرن السادس.

في هذه المدينة الصغيرة، استعاد العالم الغربي فجأة بعضاً من ذاكرته. عندما عادت أعمال الفلاسفة الوثنيين، الذين تم نفيهم من أوروبا لمدة ألف عام، إلى فلورنسا، أذهلت الناس. هل كان من قبيل الصدفة أن يعمل هذا العدد الكبير من العباقرة في فلورنسا في فترة وجيزة واحدة في القرن الخامس عشر؟ بالطبع لا. كان ليوناردو دافنشي، وبوتيتشيلي، ومايكل أنجلو، ورافائيل، وبرونليسكي، وفيتشينو، وغيرهم الكثير، جزءًا من ثورة غنوصية أطلقت العنان للإبداع الطبيعي لكل ما لامسته.

كان بيكو ديلا ميراندولا تلميذًا موهوبًا لفيشينو، وكان في الرابعة والعشرين من عمره فقط، وكان بارعًا في اليونانية واللاتينية والعبرية والعربية. وفي عام 1487 دعا علماء من جميع أنحاء أوروبا إلى القدوم إلى روما لإجراء مناظرة كبيرة. في تسعمائة اقتراح، زعم أن المسيحية والإسلام واليهودية والأفلاطونية والهرمسية والكابالا والخيمياء كلها أجزاء من تقليد فلسفي واحد. وبدافع من المثالية الشبابية، جاب روما وهو يوزع دعواته. لكن كل ما نجح في فعله فعلياً هو تنبيه السلطات الكنسية إلى ما كان يجري في فلورنسا. وضع البابا حداً لأي فكرة عن "نقاش كبير"، واضطر بيكو إلى الفرار حفاظاً على حياته.

لقد أحسنت فلورنسا صنعاً في الحفاظ على نهضتها لمدة ثلاثين عاماً، مساويةً بذلك، ولكن للأسف لم تتجاوز، نهضة أثينا التي اتخذتها نموذجاً لها. لكن قوى الرجعية كانت تتجمع في الخفاء. في عام 1492، قامت الكنيسة الرومانية، بالتحالف مع ملك فرنسا، بتدمير المدينة. إلا أن "التعلم الجديد"، كما أطلق على المعرفة "الغنوصية" التي تم إحياؤها، قد ظهر في وقت مناسب. لقد ضمن اختراع المطبعة أنه مهما حاولت روما، فإنها ببساطة لم تكن قادرة على إيقاف موجة الكتب التي نشرت هذه الأفكار في جميع أنحاء أوروبا.

في غضون بضع سنوات، نشر عالم الفلك البولندي كوبرنيكوس نظريته التي مفادها أنه على عكس المظاهر، فإن الأرض هي التي تدور حول الشمس. أقرّ بأنه مدين للفيثاغوريين، قائلاً إنهم منحوه الشجاعة للنظر في هذه الفكرة بجدية. [14] في السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر، اتفق عالم الفلك الإيطالي غاليليو مع كوبرنيكوس وبدأ أول معركة كبرى في العصر الحديث بين الدين والعلم.

في مثال رائع على جنون التفسير الحرفي، أدانت الكنيسة نظرية دوران الأرض حول الشمس لأنها تتعارض مع آيتين من الكتاب المقدس. في مواجهة ثروة الملاحظات التي قدمها كوبرنيكوس وغاليليو باستخدام التلسكوب الذي تم اختراعه حديثًا، استشهدت الكنيسة كدليل على خطأ غاليليو بكتاب يشوع، الذي يدعي أن يشوع تسبب في توقف الشمس. [15] إذا ذكر الكتاب المقدس أن يشوع

تسبب في توقف الشمس عن الدوران، فمن الواضح أن الأرض لم تكن تدور حول الشمس! وبناءً على هذه الحجة السخيفة، اقتيد غاليليو إلى الزنزانات، وعرضت عليه محاكم التفتيش أدوات التعذيب، ونُصح بالتراجع عن أقواله.

لا بد أن غاليليو كان على دراية بذلك الفيلسوف والعالم العظيم الآخر، جيوردانو برونو، الذي لقي حتفه في هذا المكان الرهيب. كان برونو أيضاً من أتباع حركة التعلم الجديد، وجاب أنحاء أوروبا يجادل اللاهوتيين، ويكتب الكتب، ويؤسس مجموعات صغيرة من الباطنيين. عندما عاد إلى روما، اتُهم بالهرطقة لأنه كان يعتقد أن الكون لانهائي وأنه قد تكون هناك عوالم أخرى منفصلة عن عالمنا. على الرغم من أنه سُجن وعُذب لمدة ثماني سنوات، إلا أنه رفض التراجع عن أقواله، لذلك في عام 1600 تم اقتياده إلى ساحة كامبو ديل فيوري وإشعال النار فيه. تراجع غاليليو عن أقواله ونجا من الحرق حياً. لكنه مع ذلك قد بدأ طريقة تفكير جديدة أدت إلى خلق العالم الحديث وإلى زوال السلطة الشمولية للكنيسة.

نهضة غنوصية جديدة

إننا نشهد حالياً نهضة غنوصية جديدة. مع تراجع قوة الدين الحرفي والمناخ الحديث للفكر الحر، أصبحت الأفكار الغنوصية موضع نقاش أكثر من أي وقت مضى. يدرك المزيد والمزيد من الناس أن تعاليم الغنوصية عن الاستنارة موجودة في صميم جميع التقاليد الروحية في العالم، من الخيمياء إلى الزن. إنها تشكل حكمة خالدة تمثل إرثنا الإنساني العالمي. إننا لا نستطيع تجنب سحق النهضة الغنوصية الناشئة التي نشهدها اليوم على يد قوى الرجعية، كما حدث في الماضي، إلا من خلال الاعتراف بهذا الإرث وتقديره.

في الجزء الأول من هذا الكتاب، ركزنا على كابوس الدين الحرفي. في الجزء الثاني، نريد استكشاف الحلم الغنوصي بالاستيقاظ. لتحقيق علاج حقيقي للجنون الذي يمثله الدين الحرفي، نحتاج إلى التمييز بوضوح بين الحكمة الحية للغنوص والتكلسات الدينية التي كانت تخنقه لقرون. عندها يمكننا الاستغناء عن العقائد التي تفرقنا والحفاظ على الحكمة التي توحدنا. يمكننا التخلص من كل شيء والاحتفاظ بالطفل!

الفلسفة الغنوصية ليست نظرية فكرية حول الواقع. إنها طريقة تفكير مصممة لمساعدتك على تجربة الواقع بنفسك. تكمن المشكلة في أنه عندما تتحول الغنوصية إلى تقليد ميت، فإنها تنحدر إما إلى دين عقائدي أو إلى خرافات باطنية مبهمة. يصبح الأمر إما ادعاءات دينية ميتافيزيقية يجب تصديقها بشكل أعمى، أو هراءً باطنياً غير مفهوم لا يقودنا إلى أي مكان سوى الدوران والدوران في متاهة من الكلام الغامض المبهم. في كلتا الحالتين، ينفصل عن التجربة الحقيقية للحياة ويفقد قدرته على تغييرنا وإيقاظنا.

لكي تحتفظ التعاليم الغنوصية بقوتها التحويلية، يجب إحياؤها باستمرار من خلال إعادة ابتكارها لمعالجة تجربة الحياة المتغيرة باستمرار. كما كتب كارل يونغ:

> كل الحقائق القديمة تحتاج إلى تفسير جديد، حتى تتمكن من البقاء في شكل جديد. نحن بحاجة إلى أخذ هذه الأشكال الفكرية، التي أصبحت ثابتة تاريخياً، وإعادة صهرها وصبها في قوالب

التجربة المباشرة. [16]

مع مرور الوقت تتغير الأشياء. اليوم، على سبيل المثال، لا يمكننا سماع موسيقى بيتهوفن كما كانت تُسمع عندما ألفها. كان الأمر آنذاك جريئاً ومبتكراً ومواجهاً. أما الآن فهو مألوف وكلاسيكي ومحافظ. وبالمثل، فإن التعاليم الروحية، التي كانت في الماضي تمثل أحدث ما توصل إليه الوعي، قد تبدو آمنة وقديمة الطراز اليوم. لكي نكون جزءًا أصيلًا من التقاليد الغنوصية، نحتاج إلى رفض التقاليد! علينا أن نكون مبدعين. نحن بحاجة إلى ابتكار لغة جديدة لمناقشة المشاكل القديمة بطريقة جديدة.

بينما تبقى الرسالة البسيطة للاستيقاظ محجوبة بخرافات غامضة، قد تبدو الغنوصية فلسفة يصعب الوصول إليها ومبهمة. لكن كما يؤكد نص مسيحي مبكر بجرأة، "ليس هناك شيء صعب حقًا في الحقيقة". [17] بحسب تجربتنا هذا صواب. إن الفلسفة الغنوصية بسيطة في جوهرها وتشير إلى حالة طبيعية من اليقظة متاحة لنا جميعاً. لذا، سنستخدم اللغة الحديثة لإيقاظنا من خلال الإشارة إلى الحقيقة البسيطة.

يستخدم الغنوصيون الذين عاشوا في أزمنة وثقافات مختلفة صورًا مختلفة لمساعدتنا على فهم التعاليم الغنوصية. لكن هذه التشبيهات المتنوعة غالباً ما تتعارض وتنهار، مما قد يربك بساطة الرسالة الغنوصية الأساسية. لذا، سنركز على استعارة واحدة قوية للغاية، وهي بسيطة وواضحة ومتسقة، وقد استخدمها الغنوصيون عبر التاريخ. الحياة أشبه بالحلم، والمعرفة أشبه بالاستيقاظ.

لقد مر معظم الناس بتجارب الصحوة، لكنهم لم يمتلكوا الفهم اللازم لإعطاء تجاربهم سياقًا، وبالتالي انتهى بهم الأمر إلى تجاهلها أو نسيانها. أملنا هو أن نمنحك فهمًا فكريًا للغنوص، والذي يمكن أن يساعدك على تذوق حالة اليقظة الآن، وأن يوفر لك سياقًا لمواصلة استكشاف الغنوص في حياتك. إذا كنت قد انخرطت بوعي في رحلة الاستيقاظ لبعض الوقت، فإننا نأمل أن تساعدك الأفكار التي سنستكشفها في توضيح فهمك للغنوص، حتى تتمكن من تجنب الوقوع في مفاهيم "روحية" معقدة بلا داعٍ وتستيقظ بسهولة أكبر.

لا نريد منك أن تدرس أفكارنا ثم توافق عليها فحسب. بالتأكيد لا نريدك أن تتبنى ما نقوله بإيمان أعمى أو بسبب السلطة الخبيثة للكلمة المكتوبة. هذا ما يؤدي إلى التفسير الحرفي للأمور. نحثك على الاطلاع على ما نقوله في مقابل السلطة الحقيقية الوحيدة، وهي تجربتك الخاصة. نشجعك على أخذ ما يناسبك وترك الباقي، مع العلم أن شيئاً ما قد يكون أكثر منطقية لاحقاً. يُعلّم الغنوصي المسيحي ثيودوتوس ما يلي:

يمتلك جميع الناس، وفقًا لمرحلة تطورهم، الغنوص بطريقة خاصة بهم. [18]

إذا لاقت فلسفة الغنوص هذه صدىً عميقاً لديك كما هو الحال لدينا، فنحن نريدك أن تجعلها فلسفتك الخاصة. وأن تنقلها بطريقتك الخاصة إلى الآخرين، الذين بدورهم سيجعلونها ملكاً لهم. لا يمكن الحفاظ على الفلسفة الغنوصية حية إلا من خلال نقل تجربة الغنوص من وعي إلى وعي، مثل الشعلة الأولمبية التي تنتقل من شعلة إلى شعلة.

على الرغم من أننا نعترف بامتنان بإلهام أساتذة الغنوصية العظماء الذين حافظوا على شعلة هذا التقليد حية ونقلوها إلينا، إلا أننا لن نقدم الفلسفة الغنوصية كما عبروا عنها في الماضي. لكننا سنحذو حذوهم. وكما ورثوا هذا التقليد وأعادوا صياغته في لغة جديدة تناسب العصر الجديد، فإننا نريد أن نقدم نهجًا مبتكرًا للتنوير مصممًا لتلبية احتياجات البشر اليوم. لقد أمضينا حياتنا في استكشاف وكتابة الكتب عن جميع التقاليد الغنوصية في العالم. وقد وضعنا هذا في موقف يسمح لنا بتقديم جوهر الغنوصية، كما فهمناها، بطريقة جديدة تناسب العصر الجديد. لكن، على الرغم من أن الشكل قد يكون جديداً، إلا أن الرسالة تبقى في جوهرها كما هي: استيقظوا!

الجزء الثاني:

الطفل

الفصل السابع هيبنوسيس

> نحن (تلك الألوهية غير القابلة للتجزئة التي تعمل فينا) حلمنا بالعالم.
>
> خورخي لويس بورخيس، محاكم التفتيش الأخرى

الفلسفة الغنوصية هي رياضة خطيرة للعقل، وهي مخصصة لأولئك الذين يستمتعون بنشوة الاندفاع وهم يسقطون سقوطاً حراً في المجهول. ضجيج التركيز اليقظ وهم يتسلقون جبل الخيال، باحثين عن رؤية أعلى. إثارة الترقب وهم ينتظرون ركوب موجة من الإلهام وهي تتدفق من الأعماق. دائماً ما يتمنون الفوز الكبير. الفلسفة الغنوصية ليست نظرية بالمعنى الآمن. إنها حية وخطيرة. إنها استكشاف عميق للأسرار العظيمة للحياة والموت. مغامرة بطولية تُثير الروح. يرفض بعض الناس الفلسفة برمتها باعتبارها مجردة وغير ذات صلة. لكن الفلسفة الغنوصية قادرة على تغيير فهمنا تمامًا لمن نحن وما معنى أن نكون أحياء. ما الذي يمكن أن يكون أكثر واقعية وأهمية من ذلك؟

يكمن جوهر الفلسفة الغنوصية في الادعاء الشائن بأنه إذا اختبرنا حالة الغنوص فسوف ندرك أن الحياة مجرد حلم. هذه الفكرة تتحدى افتراضاتنا الأساسية حول من نحن وما هي الحياة. قد يبدو الأمر في البداية أكثر جنوناً من أكثر الهراء الحرفي جنوناً. يُقرّ ثيودوسيوس الغنوصي المسيحي بما يلي:

> أعلم أن تعاليم الغنوص تُعتبر مادة للسخرية لدى معظم الناس. البعض يندهش منها، كما لو أن ضوءاً ما يضيء فجأة ظلام حفلة شرب. لكنّ المباركين حقاً هم الذين يستيقظون من نومهم ويرفعون أعينهم إلى الحقيقة.

هل الغنوص مجرد نظرية قديمة مجنونة أخرى؟ لا. الغنوص ليس نظرية على الإطلاق. إنها تجربة. لا يحاول الغنوصيون إقناعنا بتبني رأيهم القائل بأن الحياة مجرد حلم. إنهم يريدون استخدام الأفكار الفلسفية لإيقاظنا، حتى نرى بأنفسنا الطبيعة الحقيقية للواقع. يُعلّم أفلوطين الغنوصي الوثني ما يلي:

> إن هدف الفلسفة هو نفسه هدف الشخص الذي يرغب في التخلص من أوهام الحلم والوصول إلى حالة من الوعي المتيقظ الذي يخلقها.

تتمثل مهمة الفيلسوف الغنوصي في "إيقاظ الناس على الرؤية". وهذا ما نريد القيام به الآن. لكن قبل أن نبدأ رحلتنا في الاستيقاظ، من المهم توضيح بعض المفاهيم الخاطئة الشائعة، والتي قد تمنعك من فهم البساطة الجوهرية للتعاليم الغنوصية.

عندما نقول إن الحياة حلم، فإننا لا ننكر العالم باعتباره خيالاً لا معنى له. العالم جميل لدرجة تفوق الكلمات وصفه. الغنوص لا يرفض الحياة باعتبارها نوعاً من الوهم الخبيث. الأمر لا يتعلق بإنكار أهوال وعجائب الوجود. الأمر ببساطة هو رؤية الأشياء كما هي. وهذه ليست تجربة لامبالاة منفصلة تجاه الحياة. إنها تقدير مدى سحر وغموض الوجود حقاً. عندما ننغمس لا شعورياً في حلم الحياة، يتحول الأمر إلى كابوس. لكن عندما نستيقظ نجد أنفسنا مغرمين بالحياة بكل روعتها وتنوعها المذهل.

عندما نقول أن الغنوص هو تجربة استيقاظ، فإننا لا نعني أنها تشبه الاستيقاظ من حلم في الصباح، عندما يختفي عالم الأحلام ويحل محله هذا العالم. إن تجربة الغنوص لا تستلزم الدخول في حالة خارقة للطبيعة حيث تختفي حياتك اليومية. لا يتضمن الأمر رؤى غريبة أو قدرات خارقة للطبيعة.

الغنوص هو حالة طبيعية قابلة للمقارنة بتجربة الحلم الواعي. الحلم الواعي هو تجربة الحلم، ولكن مع إدراكك الواعي بأنك تحلم. الغنوص هو تجربة "العيش الواعي". إنه إدراك أن الحياة حلم في الوقت الحالي. عندما تحلم بوضوح، فإن الحلم لا يتوقف، لكنك لم تعد منغمسًا فيه بشكل لا واعٍ. وبالمثل، عندما تختبر العيش الواعي، فإن حلم الحياة لا يتوقف، ولكنك لم تعد منغمسًا فيه بشكل لا واعٍ.

دعونا نوضح هذا الأمر بشكل قاطع. لا نقترح أن الشخص الذي تفترض أنك هو عليه حالياً يتخيل العالم. بل إن الأمر عكس ذلك تماما. نحن نقترح أن الشخص الذي تبدو عليه هو جزء من حلم الحياة. عندما تحلم بوضوح، فإنك تدرك أن الشخص الذي تبدو عليه في حلمك ليس أنت الحقيقي، لأنك أنت الحالم. وبالمثل، عندما تعيش بوعي، فإنك تدرك أن الشخص الذي تبدو عليه الآن ليس أنت الحقيقي، لأنك حالم الحياة الذي يحلم بأن يكون كل شخص وكل شيء.

معرفة الآن كيف يمكننا التحقق من فكرة أن الحياة مجرد حلم؟ لا توجد الأحلام إلا في اللحظة التي يتم فيها الحلم بها. لذا، لاكتشاف ما إذا كانت الحياة حلماً، نحتاج إلى دراسة تجربتنا في اللحظة الحالية. هذا هو سر الاستيقاظ. الغنوصية هي بحث في اللحظة الراهنة. لتجربة الغنوص، عليك أن تفحص هذه اللحظة عن كثب وتفهمها بطريقة جديدة رائعة.

ركز انتباهك على تجربتك في هذه اللحظة. ما الذي يميز هذه اللحظة الحالية عن كل لحظة أخرى مررت بها أو ستمر بها؟ هناك بالطبع عدد لا حصر له من الأشياء التي تجعل كل لحظة فريدة من نوعها، ولكن هناك شيء مختلف بشكل واضح حول اللحظة الحالية. اللحظة الحالية موجودة. لقد مضى الماضي والمستقبل مجرد احتمال، أما الحاضر فهو حقيقة تعيشها بالفعل. لفهم الوجود، يجب عليك الانتباه إلى ما هو موجود ودراسة هذه اللحظة.

عادة ما تُترجم كلمة غنوص إلى "المعرفة"، ولكن من الأفضل التفكير فيها على أنها حالة من المعرفة. الغنوص ليس معلومات مثل "المعرفة" التي اكتسبتها في المدرسة. الغنوص ليس نظرية عن الحياة يمكنك تعلمها. الغنوص هو حالة من اليقظة تنشأ عندما تفحص اللحظة الحالية وتصبح واعياً بما تعرفه بالفعل الآن.

معظم الأشياء التي ندعي معرفتها ليست في الواقع سوى آراء نعتقدها. لكي نختبر الغنوص، نحتاج إلى التمييز بين الإيمان والمعرفة. من الممكن أن نشك في جميع معتقداتنا، لكن ما نعرفه هو أمر بديهي وواضح في الوقت الحالي. لسنا مضطرين للتخلي عن آرائنا لنختبر الغنوص. قد تكون آراءً مفيدة وجميلة وصحيحة. لكننا نحتاج إلى التمييز بينها وبين ما نعرفه بالفعل الآن.

يقوم التفسير الحرفي على الاعتقاد بأن التاريخ يمكن أن ينقذنا. إن التعليم الأساسي للمسيحية الحرفية، على سبيل المثال، هو أنه إذا كنت تؤمن بموت وقيامة يسوع، فسوف تذهب إلى الجنة

عندما تموت. لكن على الرغم من أنه من الممكن الإيمان بشدة بأن يسوع مات وقام من أجل خطايانا، كما يفعل الملايين، إلا أنه من المستحيل معرفة ذلك، لأنه لا يحدث الآن. وكل ما نعرفه في الواقع هو الآن. إن الغنوصية متجذرة بقوة في واقع هذه اللحظة الراهنة. لا يعلمنا أن التاريخ يمكن أن ينقذنا. بل يشير ذلك إلى أن التاريخ هو المشكلة. التاريخ هو قصة نرويها عن الماضي لشرح الحاضر. تكمن المشكلة في أنه عندما نكون مشغولين بالاعتقاد بأننا نعرف ما يجري، فإننا لا نتراجع أبدًا عن آرائنا لننظر إلى الواقع بعقل متفتح، لذلك نصبح منغمسين لا شعوريًا في حلم الحياة ولا نستيقظ.

لا تخطئوا في فهم الأمر، فجميع الأفكار المتعلقة بالتاريخ التي استكشفناها سابقاً في هذا الكتاب لا علاقة لها بالغنوص. إنها مجرد آراء حول الماضي. آراء جيدة ومدعومة بالأدلة، لكنها تبقى آراءً. لا يمكننا التأكد من صحتها، لأن الماضي قد مضى. لم يتبق لنا سوى شظايا من الأدلة التي يمكننا من خلالها تجميع الفهم النظري المتاح. لكننا الآن نتجاوز مسألة الرأي.

لغز الوجود

ما الذي تعرفه الآن؟ إذا انتبهت لتجربتك المباشرة للواقع وسألت نفسك هذا السؤال، ستدرك أن معظم ما تعتقد أنك تعرفه، فأنت في الحقيقة لا تعرفه! الحياة غامضة للغاية. ما هذه اللحظة؟ ما معنى أن تكون حياً؟ ركز تماماً على اللحظة الحالية وستشعر باندفاع من الإثارة عندما تدرك سر الوجود الرائع. اخرج من عالم أفكارك المسبقة وكن واعياً بالواقع ولو لمرة واحدة. إنه أمر نادرًا ما نفعله، لذا قد يكون مفاجأة مُحرِّرة.

عادة ما نكون منغمسين جداً في القصص التي نرويها عن الحياة لدرجة أننا لا نلاحظ شيئاً بالغ الأهمية بشأن مأزقنا. لا نعرف ما الذي يحدث! نحن منشغلون للغاية بالتظاهر بأننا نعرف من نحن وما هي الحياة لدرجة أننا نتجاهل بطريقة ما الحقيقة الصادمة. نحن لا نفهم الحياة على الإطلاق. إننا غارقون جداً في مفاهيمنا عن الحياة لدرجة أننا نادراً ما نولي اهتمامنا المنفتح لتجربة العيش الغامضة هنا والآن. نحن نأكل قائمة الطعام لا الوجبة نفسها. لا عجب أننا نجد الحياة صعبة التقبل في كثير من الأحيان.

عندما نواجه الوجود دون افتراضاتنا المعتادة، نرى معتقداتنا على حقيقتها. قصص. مفاهيم. كلمات. ونرى أن القصص التي نرويها عن الحياة ليست هي الحياة نفسها. الحياة غامضة إلى ما لا نهاية. كلمة "واقع" ليست هي الواقع. لا نعرف ما هو الواقع. إن هذا الجهل الجذري هو الخطوة الأولى نحو المعرفة الحقيقية. إن رفض نظرياتنا حول الحياة لصالح الوعي بالتجربة الغامضة للعيش في هذه اللحظة هو الشرط الأساسي للغنوص.

لقد مرّ معظم الناس بلحظات وجيزة على الأقل وجدوا أنفسهم فيها منغمسين في غموض اللحظة. أي شيء يمكن أن يؤدي إلى حدوث ذلك. غالباً ما يكون الأمر مواجهة الموت. يموت شخص قريب منك، أو يتم تشخيص إصابتك بمرض خطير، وفجأة تجد نفسك وجهاً لوجه أمام حقيقة أنك لا تعرف حقاً ما هي الحياة. ناهيك عن ماهية الموت! أو ربما تكون لحظة من الجمال الرائع هي التي تفعل ذلك. تقع في الحب أو تلد طفلاً، وفجأة تتذكر معجزة الوجود. قد يكون ذلك نزهة في الجبال أو الشعور بدفء الشمس على ظهرك. أو قد يحدث ذلك بدون سبب واضح على الإطلاق. ومهما كان

السبب الظاهر، فقد مر معظمنا بلحظات من الدهشة الغامرة أو الرعب الشديد حيث أصبحنا فجأة مدركين للسر الرهيب للوجود.

إذا تمكنت، أثناء قراءة هذه الكلمات، من وضع آرائك جانباً وأصبحت واعياً لغموض هذه اللحظة، فستكون قد اختبرت بالفعل تحولاً جذرياً في الوعي. ستشعر كما لو كنت تعيش سابقاً في نوع من الغيبوبة شبه الواعية، حيث كنت مفتوناً بأفكارك عن الحياة لدرجة أنك بالكاد لاحظت مدى غرابة أن تكون على قيد الحياة. يا له من أمر مذهل أن تكون موجوداً أصلاً. سيكون سر الوجود واضحاً لدرجة أنه سيبدو مذهلاً أنك عادةً ما تكون غافلاً عنه. ستدرك حينها مدى غفلتك في العادة!

إذا أصبحت واعياً لسر هذه اللحظة، فسوف تبدأ في فهم لماذا يقارن الغنوصيون الحياة بالحلم والغنوص بالصحوة. لأنك ستشعر كما لو أنك استيقظت من نوع من الذهول اللاواعي. ستكون قد بدأت في إيقاظ نفسك من الغيبوبة الجماعية التي نخطئ في اعتبارها "حياة حقيقية" من خلال إدراكك للواقع نفسه. ستفهم لماذا يعلّم أفلوطين: "يبدو الأمر كما لو أننا ننام طوال الحياة ونأخذ عالم الأحلام على محمل الثقة الكاملة".

اعرف نفسك

إذا حررت نفسك من سجن آرائك ودخلت في سر اللحظة، فسوف تدخل في حالة من الشك العميق والمحرر. عندها ستتمكن من فحص تجربتك المباشرة بعيون جديدة لترى ما إذا كان هناك أي شيء يمكنك أن تكون متأكدًا منه حقًا. لا نستطيع فعل ذلك من أجلك. يجب أن تفعل هذا من أجل نفسك. لكن يمكننا أن نشير إلى بعض الأمور المتعلقة بطبيعة اللحظة التي ربما فاتتك. وقد يدفعك هذا إلى تقدير اللحظة بطريقة جديدة جذرياً. بإمكاننا أن نلفت انتباهك إلى بعض الأمور التي أنت متأكد منها تماماً الآن. والوعي بهذه الحقائق البسيطة هو حالة الغنوص، أو المعرفة.

ماذا تعرف الآن؟ إذا ركزت انتباهك على سر اللحظة، فستشعر بأنك حيٌّ بعمق، لأنك ستصبح واعياً تماماً لحقيقة أنك موجود. ستتعرف على شيء أنت متأكد منه تماماً. أنت موجود الآن. هذا ليس رأياً. إنها حقيقة بديهية لا جدال فيها. هذا شيء تعرفه بمجرد أن تتصفح هذه الصفحة.

هناك شيء واحد هو دائماً الآن. أنت دائماً في اللحظة الراهنة. لكن ما هو هذا "أنت" الذي هو دائماً الآن؟ الغنوصية هي استكشاف لما أنت عليه في هذه اللحظة. فوق معبد دلفي الوثني الشهير كُتبت عبارة "اعرف نفسك". هذا هو التحدي الغنوصي الدائم. يحثنا المعلم المسيحي سيلفانوس قائلاً: "قبل كل شيء، اعرف نفسك". إذن، ما أنت؟ الجواب المنطقي هو "أنا إنسان". هذا ما تبدو عليه بالتأكيد، لكن الغنوصيين يشيرون إلى أن هذا ليس ما أنت عليه حقًا.

في هذه اللحظة، أنت تعلم أنك موجود. وأنت تعلم أيضاً شيئاً آخر واضحاً بنفس القدر وعميقاً بنفس القدر. أنت تعلم أنك تمر بتجربة ما. لو لم تكن تشعر بأي شيء لكنت فاقداً للوعي ولن تعرف أنك موجود. إذن، أنت تعلم أنك شخص يجرب التجارب. أنت الوعي الذي يراقب تدفق التجارب التي نسميها "الحياة".

في إنجيل توما يعد يسوع بما يلي:

> سأكشف لكم ما لا تستطيع العين رؤيته، وما لا تستطيع الأذن سماعه، وما لا تستطيع اليد لمسه، وما لا يمكن للعقل تخيله.

ما الذي لا يمكنك سماعه أو لمسه أو رؤيته أو تخيله؟ إنها الوعي الذي يراقب الرؤية والسمع واللمس والتخيل. رسالة الغنوصيين هي أنه إذا عرفت نفسك حقًا، فسوف تكتشف أنك وعي.

ما هو الوعي؟ لا يمكنك تجربة الوعي بحواسك أو خيالك، لأنه هو ما يراقب أحاسيسك وتخيلاتك. يُعلّم كتاب فَرفوريوس الوثني الغنوصي ما يلي:

> ما الدرس الذي تعلمناه من أولئك الذين يفهمون الحالة الإنسانية بشكل أفضل؟ بالتأكيد، لا يجب أن تفكر بي على أنني هذا الشخص الذي يمكن لمسه وإدراكه بالحواس، لكن ذاتي الحقيقية بعيدة عن الجسد، بلا لون ولا شكل، ولا يمكن أن تلمسها الأيدي البشرية.

يعلمنا أفلاطون أنه لكي نستيقظ، نحتاج إلى التمييز بين الحضور الذي لا يوصف والذي لا يتغير للوعي وبين تجاربنا التي تتغير باستمرار. تأمل في واقع اللحظة الراهنة. ما تجربه لا يكون هو نفسه أبداً من لحظة إلى أخرى. الوعي هو الخلفية الدائمة لتدفق التجربة الذي يراقب جميع التغييرات. الأمر نفسه الآن... والآن... والآن. إنه حضور دائم. "أنت" الذي هو دائماً الآن.

أنا و هو

نود أن نقترح أن لديك طبيعة مزدوجة. أنت تبدو كشخص، لكنك وعي. ما نشير إليه واضحٌ في الواقع. أنت موضوع وذات في آن واحد. موضوعياً، أنت مجرد جسد مادي. شيءٌ في هذا العالم. لكن ذاتيا، أنت لست شيئًا على الإطلاق. أنت الوعي. العيش بوعي يعني إدراك أنك تستطيع أن ترى نفسك بطريقتين مختلفتين تماماً في هذه اللحظة الحالية. أنت في نفس الوقت "أنا" و "هو". ركز على واقع هذه اللحظة وميز بين ما أنت عليه وما تبدو عليه.

إن مظهرك يتغير باستمرار، لكن حقيقتك لا تتغير أبداً. جسمك في حركة دائمة. أفكارك تأتي وتذهب باستمرار. على مدار حياتك، تغيرت شخصيتك الظاهرية بشكل يكاد يكون غير قابل للتعرف عليه. لكن ألا تشعر بأن "أنت" الحقيقي هو نفسه الآن كما كان عليه عندما كنت في الثامنة عشرة أو الثامنة من عمرك؟ ما هي هذه الذات الثابتة؟ إنها الشاهد على مظهرك المتغير باستمرار: الوعي.

إننا تجرب معرفة الوجود كشعور "أنا موجود". إذا فحصت إحساسك بـ "أنا" سترى أنه على الرغم من وضوحه، إلا أنه غير قابل للتحديد تمامًا. لا يوجد شيء يمكنك قوله عن "الأنا"، إلا أنها تراقب جميع الصفات المتغيرة للشخص الذي تبدو عليه. لكن معظمنا، مع ذلك، يربط بشكل معتاد بين ما نحن عليه وما نبدو عليه ويعتقد "أنا شخص". كتجربة، تخلَّ عن فكرة "أنا شخص" وميّز بين "الأنا" التي أنت عليها والشخص الذي تبدو عليه.

عندما تحلم ليلاً، يكون لهويتك جانبان. طبيعتك الظاهرة هي الشخص الذي تبدو عليه في الحلم. لكن طبيعتك الجوهرية هي الوعي الذي ينشأ فيه الحلم. العيش بوعي يعني أن تكون مدركًا أن لديك أيضًا جانبين لهويتك في الوقت الحالي. إن طبيعتك الظاهرة هي الشخص الذي تبدو عليه، لكن

طبيعتك الجوهرية هي الوعي الذي يراقب كل ما تعيشه. في هذه اللحظة، كما هو الحال عندما تحلم، أنت وعي يظهر كشخص.

عندما تكون منغمسًا في حلم في الليل، قد تبدو التجربة أحيانًا "حقيقية" بشكل مرعب، لأنك تعتقد أنك شخصيتك الحلمية التي تتصارع مع دراما أحلامك، وأنت غير مدرك لحقيقة أنك الحالم. وبالمثل، عندما تكون منغمسًا في تجربة الحياة، تبدو الحياة "حقيقية" للغاية، لأنك تتعرف على شخصيتك الحياتية التي تتصارع مع دراما حياتك، وتكون غير مدرك لحقيقة أنك وعي.

إذا أصبحت واعياً بطبيعتك الجوهرية كوعي، فإن تقديرك للواقع سيتحول بشكل عميق. ستدرك أن الشخص الذي تبدو عليه ليس هو طبيعتك الجوهرية. هذا ما يسميه الغنوصيون القدماء إيدولون. "صورة" أو "مظهر". إنها طبيعتك الظاهرة في حلم الحياة. إذا أدركت هذا، ستفهم لماذا يُعلّم أفلوطين:

> أولئك الذين يربطون الجسد بالوجود الحقيقي يشبهون الحالمين الذين يخلطون بين أوهام رؤيتهم أثناء النوم والواقع.

الاستيقاظ والنوم

قد يساعدك ذلك على التمييز بين طبيعتك الجوهرية وطبيعتك الظاهرة إذا أخذت في الاعتبار تجربتك اليومية في الاستيقاظ والنوم. عندما تنام ليلاً وتستيقظ في الصباح، تبدو كجسد يكون واعياً أحياناً وغير واعٍ أحياناً أخرى. هكذا يبدو الأمر للآخرين من منظور موضوعي. لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة لك من وجهة نظرك الذاتية. ما الذي تشعر به فعلاً عندما تخلد إلى النوم؟

عندما تنام، يختفي جسدك والعالم من وعيك، وتجد نفسك في عالم مختلف قد تبدو فيه كشخص مختلف. هذه حالة من الوعي نسميها "الحلم". ثم يختفي عالم الأحلام ولا تشعر بأي شيء. هذه حالة من الوعي اللاواعي نسميها "النوم العميق" حيث لا تكون موجودًا كشخص على الإطلاق. ثم تستيقظ ويظهر الجسد الذي تبدو عليه الآن والعالم الذي يسكنه من جديد.

من وجهة نظر موضوعية، يبدو أنك جسد واعٍ في بعض الأحيان. لكن من منظور الذات الذاتية، أنت الوعي الذي يدرك أحيانًا وجود جسد. من منظور "موضوعي"، يبدو أنك جسدٌ يأتي الوعي ويذهب داخله. لكن من وجهة نظر الذات، فالأمر معكوس. أنت الوعي الذي يأتي الجسد ويذهب من خلاله. وتجرب هذا كل يوم.

عندما تتطابق مع شخصيتك في الحلم ليلاً، فإنك تنغمس تماماً في الحلم. لكن إذا أصبحت واعياً بأنك وعي يتخيل نفسه على أنه شخصية أحلامك، فإنك تبدأ في الحلم بوضوح. وبالمثل، إذا تماهيت مع الشخص الذي تبدو عليه الآن، فستبقى تائهاً في حلم الحياة. لكن إذا أصبحت واعياً بطبيعتك الأساسية كوعي، فسوف تبدأ في العيش بوعي. عندها ستفهم لماذا كان أفلوطين يعلم:

> إن اليقظة الحقيقية ليست للجسد، بل من الجسد. أي شيء آخر ليس سوى انتقال من نوم إلى نوم.

الفراغ الأزلي للوعي

عندما تحلم ليلاً، تبدو وكأنك شخصيتك الحلمية التي توجد داخل عالم أحلامك. لكن إذا حلمت بوعي، فإنك تصبح واعياً بأنك الحالم وأن عالم أحلامك موجود ضمن الوعي. وبالمثل، عندما تنغمس في حلم الحياة، تبدو وكأنك شخص داخل العالم. لكن إذا عشت بوعي، ستصبح مدركًا أنك وعي وأن العالم موجود بداخلك. إذا تبنيت منظور "الأنا" لطبيعتك الجوهرية، فسيتضح لك ذلك.

كل ما تدركه موجود كتدفق للمظاهر داخل الوعي. كل ما تراه وتسمعه وتتذوقه وتشمه وتلمسه موجود في نطاق الوعي. الأفكار التي تفكر بها الآن موجودة ضمن نطاق الوعي. جسدك موجود ضمن الوعي. هذا الكتاب موجود في الوعي. العالم موجود في إطار الوعي. إذا لم يكن موجوداً ضمن نطاق الوعي، فلن تكون على دراية به.

بصفتك جسدًا فأنت شيء موجود في العالم، ولكن بصفتك وعيًا فأنت فراغ لا نهائي يحتوي على العالم. إن إدراك طبيعتك الجوهرية يقلب الواقع رأساً على عقب. بكل معنى الكلمة! من منظور "موضوعي"، يبدو أن الوعي موجود داخل الشخص الذي تبدو عليه. لكن من منظور الذات، الوعي هو وجود فارغ ينشأ داخله حلم الحياة بأكمله.

إذا استطعت الحصول على هذا، فسترى أيضاً شيئاً آخر مذهلاً بنفس القدر. إن طبيعتك الجوهرية "ليست مرتبطة بالزمان أو المكان على الإطلاق، بل هي ببساطة في الأبدية"، كما يقول مايستر إيكهارت. بصفتك وعياً، فأنت غير موجود في الزمن. الوقت موجود بداخلك. أنت الوعي الذي يراقب تدفق المظاهر التي نسميها "الزمن". جرب هذا. كن حضورًا خالدًا للوعي يشهد على الظهور كشخص في الزمن.

إذا بدا ذلك بعيد المنال، فهناك المزيد. في إنجيل توما، يعلن يسوع أنه إذا فهمت تعاليم اليقظة فلن "تذوق الموت". ما الّذي يعنيه هذا؟ هل الغنوص يجعلك خالداً؟ لا. الغنوص هو أن تصبح واعياً بأنك خالد بالفعل وكنت كذلك دائماً. الاستيقاظ هو اكتشاف ما يسميه الغنوصيون المسيحيون "عدم الولادة".

إذا أصبحت واعياً بطبيعتك الجوهرية كوعي، فسترى أنه من المستحيل أن تموت، لأنك لم تولد أبداً. أنت الوعي الذي شهد ميلاد الجسد والذي سيشهد موته يوماً ما. لكن الوعي لا يشيخ ولا يموت. إنه وجود دائم ينبثق من خلاله حلم الحياة. الجسد فانٍ لأنه موجود في الزمن، وكل شيء في الزمن له بداية ونهاية. لكن طبيعتك الأساسية كوعي لا وجود لها في الزمن. إنه لم يولد بعد ولن يموت. يتساءل نص مسيحي بعنوان ″رسائل حول القيامة″: "هل أنت - أنت الحقيقي - شيء يمكن أن يتحلل؟" كن واعياً بجوهرك الأساسي الآن، وأجب عن هذا السؤال بنفسك.

وعي واحد

إذا كانت الحياة أشبه بالحلم، أليس من قبيل الصدفة أننا جميعًا نحلم بنفس العالم ونخلقه؟ كيف يمكننا فهم هذا؟ التفسير الغنوصي هو نظرة ثاقبة مذهلة لطبيعة الواقع. على الرغم من أننا نبدو كأفراد منفصلين داخل حلم الحياة، إلا أن هناك وعيًا واحدًا فقط يحلم بحلم الحياة. إن طبيعتك الجوهرية هي نفسها طبيعة كل شخص آخر جوهرية. قد نبدو كثيرين، لكننا في جوهرنا واحد.

قد يبدو هذا غريباً، لكنها الرسالة الاستثنائية التي علمها الغنوصيون من جميع الثقافات. يُطلق المسيحيون الأوائل على طبيعتنا الجوهرية المشتركة اسم "المسيح في الداخل". يسميها البوذيون "طبيعة بوذا". يُطلق عليه الهندوس اسم "أتمَن". أنت تسميه "أنا" وكذلك يفعل الجميع. ونحن جميعاً نجرب هذا "الأنا" باعتباره اليقين المطلق بوجودنا. إنه كياننا. هذا ما نحن عليه.

من منظور حالة اليقظة، من السهل فهم أن كل شيء وكل شخص في الحلم الليلي هو تعبير عن طبيعتك الأعمق كحالم. وبالمثل، نريد أن نقترح أن هناك وعياً واحداً يحلم بأن يكون كل شخص وكل شيء في الوقت الحالي. نحن لا نقول أنك كفرد تحلم بحلم الحياة، لأنك كشخص جزء من الحلم، كما هو الحال مع أي شخص آخر. إننا نقترح أن الوعي الذي يتجلى من خلال كل واحد منا هو نفس الوعي الذي يجرب حلم الحياة من وجهات نظر مختلفة.

تحقق من ذلك بنفسك. إذا تأملت في طبيعتك الظاهرة كشخص، فسترى أنك مختلف بشكل واضح عن أي شخص آخر. يتميز جسمك وشخصيتك بخصائص مميزة. أنت تسكن مكاناً فريداً في المكان والزمان. لا أحد آخر يمر بتجربة الحياة التي تمر بها أنت بالضبط. والآن، كن واعياً بكونك واعياً. هل طبيعتك الجوهرية تختلف عن طبيعة أي شخص آخر جوهرية؟ لا. أنت حضور خالد يراقب تدفق الزمن. وكذلك الحال مع الجميع. بصفتنا وعياً، فنحن واحد لا يمكن تمييزه.

هذه هي مفارقة مأزقنا. كوعي نحن واحد. لكن ما نعي به يختلف. نحن وعي واحد نجرب وجهات نظر مختلفة حول حلم الحياة. إن طبيعتنا الظاهرية المتنوعة وطبيعتنا الجوهرية المشتركة هما نقيضان قطبيان. نحن كثيرون كأشخاص ضمن حلم الحياة. كوعي نحن واحد. كلمة ″شخص″ مشتقة من الكلمة اليونانية القديمة التي تعني القناع. بصفتنا أشخاصًا متنوعين، فنحن أقنعة مختلفة يرتديها وعي واحد، وهو "كائن غير قابل للتغيير، وغير قابل للتجزئة، وخالد"، كما يقول أفلوطين.

نحن نعتبر أنفسنا شخصاً ما. شخص متحفظ. لكن الشخص الذي نبدو عليه هو في الواقع مجموعة معقدة من الصفات المتغيرة باستمرار. تأمل في الشخص الذي تبدو عليه وسترى أن جسمك يتكون من عدد لا يحصى من الأعضاء والأطراف. شخصيتك هي مزيج من سمات شخصية مختلفة، وذكريات، ورغبات، ومخاوف. أنت كشخص عبارة عن مصفوفة متغيرة من الخصائص المتداخلة. ومع ذلك، فأنت تعلم أن جوهرك الذي يراقب كل هذا هو وحدة لا تتجزأ. هذا صحيح، أليس كذلك؟ إن ما يمنحك هذا الشعور بأنك فرد ليس طبيعتك الشخصية المعقدة، بل طبيعتك الجوهرية كوحدة الوعي.

أنت الكون

ظاهرياً، تبدو منفصلاً عن الجميع. لكن إذا توقفت عن النظر إلى الحياة بشكل سطحي، ستدرك أننا جميعًا مترابطون تحت السطح مثل الجزر. إذا تعمقت في أعماق هويتك، ستكتشف أنك حالم الحياة. مصدر الحياة- حلم. ولهذا السبب يعلم سمعان الساحر أن داخل كل واحد منا "تسكن القوة اللانهائية" التي هي "أصل الكون". ولماذا يُعلّم إنجيل فيليب ما يلي:

> من لم يعرف نفسه لم يعرف شيئاً، أما من عرف نفسه فقد بلغ في الوقت نفسه غنوص عميق بكل شيء.

ولماذا يعلم مايستر إيكهارت أن "أنانا الحقيقي هو الله". ولماذا يُدرّس كليمنت الإسكندري:

> إن أعظم الدروس على الإطلاق هو أن تعرف نفسك، لأنه عندما تعرف نفسك تعرف الله.

لقد عاش معظم الغنوصيين في ثقافات كانت فيها المفردات الدينية هي الوحيدة المتاحة لمناقشة هذه الأفكار، لذلك استخدموا كلمات مثل "الله" لتوجيهنا إلى الوعي الواحد الذي يحلم بحلم الحياة. كثيراً ما يسألنا الناس عما إذا كنا نؤمن بالله. جوابنا هو أننا لا نؤمن بشيء سوى الله! في الحقيقة، ما الذي يوجد غير حالم الحياة الذي يحلم بحلم الحياة ويعيشه من وجهات نظر لا حصر لها.

إذا استيقظت من حلم الانفصال، يمكنك أن تعلم أن كل شيء واحد الآن. جرّب ذلك. كن واعياً وسترى أنك لست منفصلاً عن أي شيء أو أي شخص. كل ما تجربه موجود بداخلك كوعي. والوعي ليس منفصلاً عما يشهده، تماماً كما أن الشيء ليس منفصلاً عن المكان الذي يشغله. كما يعلم المتصوف جان رويسبروك من العصور الوسطى، "نحن نرى ما نحن عليه ونحن ما نراه".

الحلم والحالم هما مفهومان منفصلان، لكنهما في الواقع واحد، لأنه لا يمكنك أن تحلم بدون حالم. وبالمثل، فإن الوعي وما تجربه الآن هما مفهومان منفصلان ولكنهما في الواقع واحد، لأنه لا يمكنك أن تخوض تجارب بدون وعي. أنت ما تجربه. أنت حالم الحياة وحلم الحياة. أنت كل شيء وكل شخص. كما أعلن نيكولاس الكوزاني، المتصوف في عصر النهضة، بشكل متناقض:

> الكون موجود فينا بطريقة تجعلنا موجودين فيه، بحيث يكون كل شخص في الكون هو الكون نفسه.

مفارقة مأزقنا هل سبق لك أن رأيت إحدى تلك الصور المذهلة التي تتغير تبعاً لما تعتبره خلفية وما تعتبره مقدمة؟ انظر إليها من زاوية معينة وستجدها صورة أرنب. انظر إليه من زاوية أخرى، وستجده بطة. وهناك مثال شهير آخر يبدو في ظاهره صورة لامرأة عجوز شمطاء، إلى أن تغير نظرتك إليها فتجدها فجأة صورة لامرأة شابة جميلة. عندما ترى مفارقة مأزقنا، يكون الأمر على هذا النحو.

انظر إلى تجربتك في اللحظة الحالية من منظور "الموضوع" وسترى نفسك كجسد في العالم. انظر إلى الأمر من منظور الذات وستدرك أنك فراغ الوعي وأن العالم موجود في داخلك. انظر إلى هذه اللحظة من منظور "الموضوع" وستجد نفسك شخصًا مقيدًا بالزمن. انظر إلى هذه اللحظة من منظور الذات، وستكون الشاهد الأبدي على تدفق التجارب التي نسميها "الزمن". انظر إلى اللحظة من منظور الموضوع، وستجد نفسك فرداً منفصلاً. انظر إلى اللحظة من منظور الذات، وستجد أن كل شيء واحد.

إن العيش الواعي هو النظر في "اتجاهين في وقت واحد"، كما يقول أفلوطين. إنها تعني في الوقت نفسه الوعي بكل من منظور الذات ومنظور الموضوع. إنها إدراك أنك "في العالم ولكنك لست منه"، كما يعلم الغنوصيون المسيحيون. يبدو الأمر وكأنه شخص منفصل في حلم الحياة، مع العلم في الوقت نفسه أن كل شيء في جوهره هو تعبير عن طبيعتنا الجوهرية المشتركة. الأمر يتعلق بكونك الشخص الحقيقي وأن تبدو كذلك. إنها تقبّل الطبيعة المتناقضة للواقع وإدراك، كما

يعلمنا أفلوطين، أنك "توجد في عالم موجود فيك".

عندما يتعرف الناس لأول مرة على الفلسفة الغنوصية، فإنهم غالباً ما يواجهون مقاومة أولية لفكرة الوعي غير الشخصي، لأن هذا يبدو بارداً ويبدو أنه يقلل من قيمة إنسانيتهم. تُظهر هذه المقاومة حكمة فطرية، لأن تبني منظور "أنا" بدلاً من منظور "هو" سيشعرنا بالبرود ويقلل من قيمة إنسانيتنا. لكن العيش بوعي لا يعني أن تكون حالمًا الحياة بدلًا من أن تكون شخصًا يعيش حلم الحياة. إنها أن تكون بوعي كل من حالم الحياة والشخص الذي يعيش حلم الحياة. وهذا ليس بارداً على الإطلاق. بل إن الأمر عكس ذلك تماما. إنها تجربة من التعاطف الشامل الذي نسميه "الحب العظيم".

الحب العظيم

الحب هو ما نشعر به عندما نعلم أننا واحد. نحب شخصًا ما عندما نشعر بقرب شديد منه لدرجة أننا نتواصل معه بما يتجاوز انفصالنا الظاهر. عندما نعتقد أننا مجرد شخص، فإننا لا نحب إلا أولئك الذين نحتضنهم في قلوبنا.

فكرة محدودة عن هويتنا، مثل أصدقائنا وعائلاتنا. نحن لا نحب أولئك الذين يهددون هويتنا الشخصية، ونحن غير مبالين بالآخرين. لكن عندما نكتشف أننا واحد مع كل شيء، نجد أنفسنا مغرمين بكل شيء.

الغنوص ليست فهماً فكرياً مجرداً. يشعر الأمر بالإرتياح. في الحقيقة، لا شيء يضاهي هذا الشعور. نتذوق قليلاً من روعة الشعور بالوحدة عندما نستيقظ من نوم عميق، وللحظات ثمينة قليلة، نستمتع بوهج الوحدة اللاواعية، ونغمر أنفسنا بشعور دافئ من الرفاهية الكاملة. الغنوص هو إدراك هذه الوحدة الرائعة في الوقت الحالي. وهذه تجربة حب عظيم.

الحب العظيم لا علاقة له بالإعجاب بالآخرين. إنه حب غير مشروط للجميع، الأصدقاء والأعداء على حد سواء، لأننا نعلم أننا واحد مع الجميع. الحب العظيم لا علاقة له بالإعجاب بما يحدث في حلم الحياة. إنه حب غير مشروط للحياة، بكل أفراحها وأحزانها، لأننا نعلم أننا واحد مع الحياة. إنها "محبة كل شيء لأن كل شيء جزء من الكل"، كما يعلم الغنوصي المسيحي باسيليدس.

كما يعلم كل أب وأم، من الممكن أن نحب ما لا نحبه. عندما يتصرف الطفل بشكل سيء، قد لا يعجبنا تصرفه، لكن هذا لا يعني أننا نتوقف عن حبه. قد نحتاج إلى توبيخ الطفل أو حتى معاقبته، لكننا نفعل ذلك لأننا نحبه كثيراً. وبالمثل، فإن إدراكنا أننا واحد مع الكل لا يعني أننا نتوقف عن إدانة أولئك الذين غرقوا في وهم الانفصال لدرجة أنهم يرتكبون جميع أنواع الشر. لكننا ننتقدهم لأننا نحبهم، وليس لأننا نرفضهم باعتبارهم "آخرين". نحن نعلم أنه لا يوجد "نحن وهم". نحن فقط. إن هذا الإدراك العميق لوحدتنا الأساسية هو وحده الذي يسمح لنا بتنفيذ الوصية المسيحية العميقة بمحبة "أعدائنا".

بصفتك واعياً، فأنت بالفعل تتقبل كل شيء بلا قيد أو شرط بحب كبير. كل ما عليك فعله هو إدراك ذلك. جرب ذلك الآن. كن واعياً لطبيعتك الجوهرية التي هي واحدة مع كل شيء. احتضن

الجميع وكل شيء بحب كبير غير مشروط. كن حالم الحياة الذي يتواصل بتعاطف مع نفسه بكل أشكاله المختلفة.

الغرض من الحياة

إذا كانت الحياة حلماً، فما هو هدفها؟ لماذا يحلم حالم الحياة بحلم الحياة؟ ماذا يريد حالم الحياة؟ حسناً، أنت حالم الحياة، لذا يمكنك إيجاد الإجابة من خلال سؤال نفسك عما تريد. ربما ترغب في أشياء كثيرة مختلفة، ولكن في جوهر كل رغباتك المتنوعة يوجد دافع أساسي للشعور بالرضا. الجميع يريد أن يشعر بالرضا. إنها رغبتنا الأساسية التي لا يمكن إنكارها. عندما لا نشعر بالرضا، فإننا نندفع لتغيير الأمور حتى نشعر بالرضا. وعندما نشعر بالرضا، نرغب في أن يصبح الأمر أفضل. لا نشبع من الشعور بالسعادة.

تتبع أيًا من رغباتك إلى أبعد مدى ممكن، وستجد في جذورها الرغبة في الشعور بالرضا. قد ترغب في الرخاء المادي. لماذا؟ لأنك تعتقد أن ذلك سيجعلك تشعر بالرضا. قد ترغب في تحقيق النجاح. لماذا؟ لأنك تأمل أن يجعلك ذلك تشعر بالرضا. قد ترغب في مساعدة الآخرين. لماذا؟ لأنك وجدت أن جعل الآخرين يشعرون بالرضا يجعلك تشعر بالرضا. ومع ذلك، إذا سألت نفسك لماذا تريد أن تشعر بالرضا، فسيكون هذا سؤالاً سخيفاً، لأن الإجابة واضحة بذاتها. الخير، بحسب التعريف، هو ما ترغب في الشعور به.

هل هناك رغبة أكثر جوهرية من الرغبة في الاستمتاع بالحياة؟ نعم و لا. إذا تخيلت أن حياتك مهددة فجأة، فسوف تدرك على الفور مدى رغبتك في أن تعيش. بالمقارنة مع هذه الرغبة في الوجود، فإن جميع رغباتك الأخرى لا قيمة لها، لأنها جميعها تتطلب منك أولاً أن تكون على قيد الحياة! لكن مجرد الوجود لا يكفي. هل تروق لك فكرة فقدان الوعي في غيبوبة؟ لا. لأنك تريد أن تعيش الحياة بوعي. ولا يكفي مجرد تجربة أي شيء. لا تريد أن تشعر بالسوء. تريد أن تشعر بالرضا.

إن كيفية تفسيرك للرغبة الأساسية "أريد أن أشعر بالرضا" تعتمد على من تعتقد أنك عليه. بينما تعتقد أنك مجرد شخص منفصل، فإنك ستفسر الرغبة في الشعور بالرضا بطريقة أنانية. لكن إذا أصبحت واعياً بطبيعتنا الجوهرية المشتركة، فسوف تدرك أن الدافع الأساسي للحياة هو رغبة حالم الحياة أن يشعر الجميع بالرضا. ستدرك أنك حالم الحياة وأنك تحلم حلم الحياة لأنك تريد الاستمتاع بتجربة العيش بكل أشكالها المتعددة.

بصفتنا أفرادًا ضمن حلم الحياة، يمكننا أن نلعب دورنا في تحقيق هذه الدافعية الأساسية للحياة من خلال الاستيقاظ والعيش بوعي. عندما نغرق في كابوس الانفصال، ننخرط في سعي دؤوب للشعور بالرضا كفرد منفصل، حتى لو كان ذلك يعني التسبب في معاناة الآخرين. لكن عندما ندرك طبيعتنا الجوهرية المشتركة، فإننا نحب الحياة ونشعر بالرغبة في مساعدة الآخرين على الاستيقاظ والاستمتاع بالحياة أيضاً. نصبح مشاركين متعاطفين في المغامرة الملحمية لصحوتنا الجماعية.

الفصل الثامن لا وجود للواقع بدون قطبية

كيف يمكن أن تكون كل الأشياء واحدة، ومع ذلك يكون كل شيء منفصلاً؟

أغاني أورفيوس

ما الذي يحدث الآن؟ ما هذا الشيء الغريب الذي نسميه "الحياة"؟ إنه أمر غريب للغاية وغامض إلى ما لا نهاية. ربما من الأفضل عدم قول أكثر من ذلك. إلا أننا لا نستطيع. نحن بحاجة إلى قصة نعيش بها تشرح مأزقنا، وإن كانت بطريقة لا يمكنها أبدًا أن تفي بالغرض في مواجهة هذا اللغز اللامتناهي. نحن بحاجة إلى روايات تساعدنا على توجيه حياتنا، من خلال إخبارنا من نحن وما هي الحياة. لكن القصة التي نرويها تحد من تجربتنا في الحياة، لذلك نحتاج إلى اختيارها بعناية فائقة.

معظمنا ينساق ببساطة مع أي قصة رائجة في ثقافتنا. لكن الغنوصيين على مر التاريخ قدموا رواية بديلة تفتح آفاقاً أعمق لتجربة سر الحياة. نريد أن نقدم لكم نسخة جديدة من الرواية الغنوصية، استناداً إلى بحثنا السابق في واقع اللحظة الراهنة. لكن لا تسيئوا فهم الأمر، فهذه مجرد قصة. إنها ليست الحقيقة. إنها أفضل كذبة وجدناها!

تبدأ روايتنا الغنوصية بفكرة القطبية. أنت تجرب شيئاً ما الآن لأن حالم الحياة يحلم بحلم الحياة. بدون القطبية الوعي والمظاهر، لن يكون هناك شيء. أنت تعلم أن هذا صحيح من خلال تجربتك في النوم والاستيقاظ. في حالة النوم العميق، لا يوجد سوى وحدة/عدم الوعي اللاواعي. تصبح واعياً عندما يظهر التناقض بين الوعي والمظاهر. كما قال كارل يونغ ذات مرة (في عبارة رائعة يجب استخدامها في أغنية راب!): "لا وجود للواقع بدون قطبية".

القطبية متناقضة. إن قطبي القطبية هما نقيضان لا يمكن التوفيق بينهما، ومع ذلك فهما واحد لا يتجزأ لأنهما لا يمكن أن يوجدا إلا معًا. ما يبدو على أنه إما/أو هو في الأساس كلاهما/و. إن القطبية البدائية التي تشكل أساس الوجود هي حالم الحياة وحلم الحياة، واللذان يبدوان اثنين ولكنهما في جوهرهما واحد. الوجود هو وحدة جوهرية تظهر على شكل ثنائية.

إنّ حالم الحياة هو وحدة الوعي اللاواعي، وهو القدرة على تجربة كل شيء. ونقيضها القطبي هو الأشكال المتنوعة بلا حدود التي تشكل حلم الحياة. يصبح الوعي مدركاً من خلال هذه الأشكال المختلفة. الوعي هو العلاقة بين الإدراك والشكل المحدد الذي يتخيله في حلم الحياة. يعتمد ما يدركه الوعي من خلال شكل معين على طبيعة ذلك الشكل. إن حلم الحياة هو الوعي الذي يجرب طيفاً لا نهائياً من حالات الوعي المختلفة من خلال أشكال متنوعة لا حصر لها.

إن حلم الحياة هو الوعي في عملية الاستيقاظ من الوحدة اللاواعية إلى الوحدة الواعية. ما يسميه العلم "التطور" هو أن حالم الحياة يتخيل تدريجياً أشكالاً أكثر تعقيداً قادرة على وعي أكبر. في معظم الأشكال، يكون حالم الحياة غير واع نسبياً ومتوحداً مع طبيعته الظاهرة في حلم الحياة. لكن من خلال الشكل البشري، يستطيع الحالم أن يجرب المعرفة الذاتية أو الغنوص، من خلال إدراك طبيعته الأساسية كوعي.

الغنوص هو وحدة الوعي اللاواعية التي تحلم بأن تكون شخصًا فرديًا متحدًا بوعي مع الكل. هذه

ليست حالة يقظة مطلقة يستحيل تجاوزها. ينشأ الوعي ضمن ثنائية حلم الحياة، لذلك يمكننا دائمًا أن نكون أكثر أو أقل وعيًا نسبيًا. الغنوص هو أن تكون حالم الحياة الذي يبدو كشخص في رحلة لا تنتهي نحو أن تصبح أكثر وعيًا.

الخبر السيئ هو أننا لن نصل أبداً، لكن الخبر الجيد هو أننا لن نصل أبداً. وهذا خبر سار للغاية، لأنه كلما ازداد وعينا، ازداد حبنا للحياة، لذلك لا نريد أن تنتهي مغامرة أن نصبح أكثر وعياً. الغنوص هو طريقة للسفر، وليست وجهة. إنها الحياة المحبة. وهذا ليس شيئاً يمكننا تحقيقه مرة واحدة وإلى الأبد، لأن كل لحظة هي فرصة لنحب الحياة بطريقة جديدة.

عودة الظهور

ينشأ حلم الحياة مع القطبية ويتسم بقطبيات لا حصر لها. إحدى القطبيات المهمة التي تحدد الوجود هي الميلاد والموت. لكل شيء في حلم الحياة بداية ونهاية . إن طبيعتنا الجوهرية المشتركة كوعي موجودة خارج الزمن، لذا فهي لا تبدأ ولا تنتهي، لكن الشخص الذي نبدو عليه موجود في الزمن وله بداية ونهاية. كوعي، نحن لم نولد بعد ولن نموت، ولكن كشخص، فقد ولدنا وسنموت يوماً ما.

ماذا يحدث عندما تموت شخصيتنا الحقيقية في حلم الحياة؟ ينشأ الوعي من خلال طبيعتنا الظاهرة، فهل يعني موتها نهاية تجربتنا الواعية كفرد؟ هل نستمر في الوجود فقط كوحدة الوعي اللاواعي؟ لأن ذلك لا يبدو أنه مصدر راحة كبيرة في مواجهة الموت!

يعدّ أصحاب التفسير الحرفي للدين المؤمنين بحياة سعيدة بعد الموت كأفراد خالدين في الجنة. يهتم الغنوصيون أكثر بتحقيق حياة سعيدة قبل الموت من خلال الاستيقاظ على الوحدة والحب العظيم. الغنوص هو أن نصبح واعين بما نعرفه الآن، ولا يمكننا أن نعرف الآن ما سيحدث عندما نموت، لأننا لم نموت بعد! الموت بطبيعته لغز عميق، وأحد الأدوار التي يلعبها في الحياة هو تذكيرنا بالغموض الموجود في كل لحظة.

ومع ذلك، يتكهن الغنوصيون عبر التاريخ بأن رحلة الاستيقاظ ليست عملية حياة واحدة فقط، بل هي عملية تمتد عبر العديد من الأعمار. يرى سقراط أن الحياة والموت قطبية لا يمكن أن توجد إلا في علاقة متبادلة. وكما أن النهار يتبع الليل والليل يتبع النهار، فإن الموت يتبع الحياة والحياة تتبع الموت. لا تستمر حياة الفرد إلى الأبد، لكن الحياة والموت يستمران إلى الأبد. يُطلق الغنوصيون القدماء على هذه العملية اسم "التناسخ"، ونحن نسميها "عودة الظهور".

ماذا سيحدث عندما تموت في حلم الحياة؟ هل سبق لك أن حلمت بأنك مت في حلم ليلاً؟ إذا كان الأمر كذلك، فستعرف ما سيحدث. تستيقظ! الشخص الذي كنت تبدو عليه في الحلم يختفي وتظهر كشخص مختلف. وبالمثل، يعلم الغنوصيون أنه عندما تموت شخصيتك الحالية في حلم الحياة، ستجد نفسك تظهر كشخصية مختلفة في حلم مختلف. انطلاقاً من تجربته السابقة في كونه "أنت"، سيتخيل الحالم "أنت" مرة أخرى بطريقة مختلفة وفي سياق مختلف.

تتخلل تجربتنا الواعية فترة من الانسحاب إلى وحدة الوعي اللاواعي كل ليلة في حالة النوم العميق. الموت هو انسحاب أعمق إلى وحدة اللاوعي التي نخرج منها كشخصية مختلفة في حلم

الحياة. الحياة والموت عبارة عن دورة من الوعي، وفقدان الوعي، ثم الوعي مرة أخرى.

من خلال دورة الحياة والموت المستمرة، نستيقظ تدريجياً. كل عودة ظهور، أو ولادة جديدة، يغير الحدود الموضوعية التي تتطور ضمنها طبيعتنا الفردية. إن العلاقة الجديدة بين الجزء والكل تمكن الجزء من أن يصبح واعياً بطريقة جديدة. نصبح أكثر وعياً بطبيعتنا الجوهرية الخالدة من خلال تجربة دورة متكررة من الولادة والموت كشخص في حلم الحياة.

غالباً ما يتم تفسير التناسخ، أو عودة الظهور، حرفياً على أنه فكرة أننا عندما نولد من جديد نعود إلى هنا. لكن لا يوجد هنا للعودة إليه. لا يوجد عالم قائم بذاته يمكننا الدخول إليه والخروج منه. هناك تجلي لحلم الحياة في الوعي. لا ينبغي لنا أن نفترض أن حلم الحياة يقتصر على تجربة هذا العالم أو حتى هذا الكون، على الرغم من اتساعه وتنوعه. ينبغي تصور مجمل حلم الحياة على أنه صورة لا نهائية تحتوي على عوالم متخيلة لا نهاية لها. إن كوننا ليس سوى احتمال واحد ضمن الاحتمالات اللانهائية. عندما ينتهي حلم الظهور كشخص في هذا العالم، فإن ما يظهر هو منظور آخر للصورة. لكن لا ينبغي لنا أن نفترض أن هذا الحلم الجديد سيشبه بالضرورة الحلم الذي نعيشه حالياً. الاحتمالات لا حصر لها.

هل عشنا حياة قبل هذه الحياة؟ مجرد أننا لا نتذكر أي شيء قبل ولادتنا لا يعني أننا لم نمر بأي تجربة. في النهاية، نحن لا نتذكر أننا كنا أطفالاً، لكن هذا لا يعني أننا لم نكن أطفالاً أبداً. إن الولادة هي بداية عملية الخروج من الوعي اللاواعي والعودة إلى الوعي مرة أخرى، لذلك لا ينبغي أن نتفاجأ عندما نولد بأننا لا نعي حياتنا الماضية، لأننا بالكاد نكون واعين على الإطلاق.

إن نظرية عودة الظهور، مثل أي نظرية أخرى، ليست سوى تكهنات. من منظور الغنوصية، لا يمكننا معرفة ما سيحدث عندما نموت. بل إن الأمر يتعلق بكون الحياة حلماً، فلا يوجد سبب للاعتقاد بأن موت الجسد يعني نهاية تجربتنا الفردية. الجسد جزء مؤقت من تدفق المظاهر التي نمر بها. إنها تأتي وتذهب في وعينا كل يوم عندما نستيقظ في الصباح وننام في الليل. لماذا لا يختفي جسد معين من الوعي بشكل دائم عندما نموت، وينشأ جسد جديد مكانه؟

كتجربة، توقف عن التفكير في نفسك كشخص له ماضٍ بدأ عند الولادة ومستقبل سينتهي عند الموت. جرب خياراً آخر. انظر إلى نفسك كوعي غير مولوٍد وغير ميت يشهد تدفقًا من التجارب، لم يبدأ أبدًا ولن ينتهي أبدًا، والذي ستظهر فيه دائمًا كجزء فردي في علاقة مع الكل.

إحياء

تُطلق العديد من التقاليد الروحية على الاستيقاظ على طبيعتنا المشتركة الجوهرية اسم "التنوير". وعلى النقيض من ذلك، يمكننا أن نشير إلى الحالة التي نتماهى فيها مع بيعتنا الظاهرة باسم "الظلام". لكن الحياة الواعية ليست تنويراً ولا ظلام. إنه "إحياء". إنه متع حقاً الظهور كشخص في حلم الحياة، لأننا ندرك أيضاً طبيعتنا الأساسية ونجرب حباً عظيما. إن العيش بوعي هو فهم القطبية الأساسية للوجود وأن نكون كل ما نحن عليه.

لكن بعض التقاليد الروحية تعلمنا أنه لكي نستيقظ على الوحدة، علينا أن نقضي على فرديتنا. ينشأ

هذا الفهم الخاطئ الشائع من التفكير القائم على الاختيار بين أمرين، ويتم حله من خلال تبني منظور الجمع بينهما. الظلامية هي إدراك قطب واحد فقط من طبيعتنا المزدوجة. الحل ليس في التماهي مع القطب الآخر فقط. إنها تقبّل واعٍ لكل من طبيعتنا الجوهرية المشتركة كوعي وطبيعتنا الفردية الظاهرة كشخص في العالم.

لكن التقاليد الروحية القائمة على مبدأ "إما هذا أو ذاك" تعلمنا أنه لكي نستيقظ نحتاج إلى إخماد طبيعتنا الظاهرة في فراغ الوعي. لكن هذا ليس استيقاظاً. هذا يؤدي للنوم! نفعل ذلك كل ليلة عندما نندمج مع وحدة الوعي اللاواعي. الاستيقاظ هو تجربة واعية لطبيعتنا الجوهرية. ولا نكون واعين إلا عندما نبدو كشخص في حلم الحياة، لذلك فمن خلال امتلاك طبيعة ظاهرة فقط يصبح من الممكن أن نعي طبيعتنا الجوهرية كوعي.

وفقًا للتقاليد الروحية القائمة على مبدأ "إما هذا أو ذاك"، إذا أصبحنا مستنيرين فلن نضطر أبدًا إلى التناسخ مرة أخرى، ويمكننا أخيرًا الهروب من هذه العملية المروعة المتمثلة في كوننا بشرًا. لكن هذا النفور المتدين من الحياة ليس حياة واعية. عندما نحلم بوضوح، فإننا لا نتوقف عن الحلم، بل نبدأ ببساطة في الحلم بوعي. وبالمثل، عندما نعيش بوعي، فإننا لا نتوقف عن الظهور كأفراد في العالم، بل نبدأ ببساطة في العيش بوعي.

ومع ذلك، من الشائع في الأوساط الروحية الاعتقاد بأنه لكي نصبح "مستنيرين" يجب علينا تدمير "أنانا". يستخدم الناس كلمة ″الأنا″ بمعنى مختلف، وهو ما يمثل مصدراً للكثير من الارتباك. إذا تم استخدام كلمة الأنا للدلالة على مصفوفة العادات الشخصية السلبية التي تبقينا غافلين في حلم الحياة، فإن الأنا هي بالفعل شيء يقف في طريق صحوتنا. إنها عقدة نفسية نحتاج إلى حلها. لكن في كثير من الأحيان تُستخدم كلمة ″أنا″ للدلالة على فرديتنا بشكل عام. في هذه الحالة، لا ينبغي تدمير الأنا، بل ينبغي تحريرها من عزلتها الوهمية، بحيث نجرب هويتنا الفردية كجزء من الكل الأكبر.

إن الاستيقاظ لا يعني القضاء على شخصيتنا وعيش حياة باهتة ومملة كنوع من الزومبي القديسين. الاستيقاظ هو أن نكون بوعي كل ما نحن عليه وأن نستمتع كشخص في حلم الحياة، متحررين من الخوف والعزلة المنهكين. لا يقلل الاستيقاظ من فرديتنا. إنه يعززها ويكملها. وبهذا المعنى، فإن العيش بوعي هو احتفاء بالأنا، وليس تدميرها. لكن هذا الاحتفاء بفرديتنا ممكن لأننا حولنا أنفسنا من ذات منعزلة إلى ذات متكاملة.

هناك شعور بعدم الرضا يحفزنا على الاستيقاظ. نشعر أنه لا بد أن يكون للحياة معنى أكبر من القلق والخدر اللذين نشعر بهما في حالة الظلام. وهي موجودة بالفعل. وأكثر من ذلك بكثير. لكن لأننا نفترض أننا نعرف ما هو أن تكون إنسانًا في هذا العالم، نعتقد أنه يجب علينا رفض هذا والبحث في مكان آخر عما نبحث عنه. لكن في الواقع، تجربتنا الحالية المتمثلة في الظهور كشخص تحتوي على كل ما نبحث عنه، إذا استطعنا أن نستيقظ ونرى الأمر على حقيقته. واستمتع به كما هو. هذا هو الإحياء.

في الأوساط الروحية، هناك حديث كثير عن الحكماء "المستنيرين تماماً" الذين حققوا التنوير، والذي يُنظر إليه على أنه الهدف النهائي للوجود. إذا كان المقصود بـ "التنوير" هو التوقف عن التماهي حصرياً مع طبيعتنا الظاهرة، فإنه شيء يمكننا تحقيقه مرة واحدة وإلى الأبد. من الممكن أن

نصبح واعين بطبيعتنا الجوهرية بعمق لدرجة أننا لا نتعرف بشكل حصري على طبيعتنا الظاهرة مرة أخرى. لكن هذه ليست نهاية القصة. عندها فقط تبدأ الأمور في أن تصبح مثيرة للاهتمام، لأننا اكتشفنا أخيرًا كيف نحب تجربة الحياة حقًا. التنوير هو نهاية الظلام وبداية الإحياء.

حبّ كونك إنسانًا

إن العيش بوعي هو تجربة إحياء تبعث على التفاؤل بالحياة. إنها ليست ملاذاً ينكر الحياة لهروب المقدسين. ليس المقصود أن يكون المرء متأملاً متشدداً ينعزل عن العالم. إنها ليست نهاية حلم الحياة الذي يتوق إليه المتأملون الانتحاريون الذين يريدون اغتيال أنفسهم. لقد أصبح الأمر أخيراً آمناً بما يكفي للمشاركة بلا قيد أو شرط في المغامرة الإنسانية. إنها متعة أن تكون إنساناً.

لكن التقاليد الروحية القائمة على مبدأ "إما هذا أو ذاك" تتعامل مع إنسانيتنا كمشكلة نحتاج إلى التغلب عليها. قيل لنا إنه لكي نستيقظ، يجب علينا القضاء على العديد من خصائصنا البشرية الطبيعية. يجب أن نتوقف عن الرغبة في أن تكون الأمور مختلفة وأن نتقبل الوضع الراهن. يجب علينا قطع جميع الروابط الشخصية وأن نكون منفصلين ومنعزلين. يجب أن نصبح قديسين متفانين لا نعرف معنى الغضب أو الخوف. يجب أن نصبح زهاداً قديسين نحرم أنفسنا من ملذات الجسد. من منظور واضح يجمع بين الأمرين، لا شيء من هذا صحيح. الحمد لله! لا بأس أن تكون إنسانًا. دعونا نفكر في الأمر ملياً.

معضلة الرغبة

قيل لنا إنه لكي نستيقظ، نحتاج إلى إخماد جميع رغباتنا. معظمنا مشغولون للغاية برغبة أن تكون الأمور على غير ما هي عليه لدرجة أننا لا نقدر معجزة اللحظة الحالية. إن رغباتنا التي لا تنتهي هي مصدر للإحباط وأحياناً للمعاناة الشديدة. نادراً ما تؤدي الرغبة إلى الرضا الذي نتوق إليه، لأنه عندما نحصل على ما نريده، نادراً ما يكون هو ما كنا نريده. ودائماً ما يكون هناك المزيد مما يمكن أن نرغب فيه، الأمر الذي قد يجعلنا غير راضين بشكل دائم.

هل ينبغي لنا إذن أن نطفئ كل رغباتنا؟ لا. هذا محال. وغير مرغوب فيه! الرغبة جزء ضروري من الوجود. على مستوى أساسي للغاية، فإن رغبتنا في الأكل والإخراج هي التي تحافظ على الحياة. الرغبة هي وقود التحول في حلم الحياة. إن رغبتنا في الاستمتاع بالحياة وعدم المعاناة هي بمثابة الجزرة والعصا التي تحثنا على الاستيقاظ على الوحدة والمحبة.

يكمن الحل في تبني منظور واضح يجمع بين الأمرين، من خلال أن تكون واعياً ومحباً للأشياء كما هي الآن، وأن تكون أيضاً شخصاً في العالم يرغب في أن تتحسن الأمور في المستقبل. لا يمكن تغيير الحاضر. إنها حقيقة يجب قبولها دون قيد أو شرط. لكن المستقبل سيتغير حتماً. ورغبتنا في أن يتغير الوضع نحو الأفضل هي التي ستلهمنا للعمل على تحسين الأمور. إن العيش بوعي يعني تقبّل هذه اللحظة كما هي، بما في ذلك الرغبة في التغيير. إنها الرغبة في أن تكون الحياة أفضل لأننا نحبها كثيراً.

اللامبالاة المقدسة

لكي نتمكن من حب الحياة كما هي، كما قيل لنا، نحتاج إلى أن نصبح غير مبالين بما يحدث في حلم الحياة. عندما نغرق في مشاعر الإعجاب وعدم الإعجاب، يصبح من المستحيل أن نحب الحياة، لأن هناك الكثير مما يدعو إلى عدم الإعجاب. يتميز حلم الحياة بالتناقض، مما يعني أنه ستكون هناك دائمًا تجارب نحبها وأخرى لا نحبها. هل ينبغي لنا إذن أن نستسلم ببساطة وبلا مبالاة للوضع الراهن؟ بالتأكيد لا! بصفتنا أفرادًا نسعى لتحقيق أحلامنا في الحياة، نحتاج إلى التمييز بين ما هو مقبول وما هو غير مقبول. علينا أن ندين الشر الذي يجعلنا نعاني وأن نرعى الخير الذي يجلب لنا السعادة.

ينص نص مسيحي غنوصي يسمى "التعليم الموثوق" على أن "أسوأ الرذائل" هي "الجهل واللامبالاة". الجهل هو عدم إدراك أن الكل واحد. اللامبالاة هي انسحاب من الحياة. إن العيش بوعي هو عكس الجهل واللامبالاة. إنها أن تكون بوعي وحدة الوعي التي تحتضن الحياة كما هي بشكل سلبي. ويبدو أنه شخص يسعى بنشاط إلى تحويل القبيح وغير اللائق والقاسي إلى جميل ومتناغم ولطيف.

بعبع الأنانية

الأنانية هي عدو آخر يُقال لنا إنه يجب علينا هزيمته إذا أردنا أن نستيقظ. ومرة أخرى، ينشأ هذا الاستنكار لميل بشري طبيعي من التفكير الثنائي، الذي يتطلب منا الاختيار بين أن نكون أنانيين أو غير أنانيين. العيش بوعي هو أن تكون كلاهما. إن كون المرء أنانياً فقط يسبب معاناة هائلة للآخرين ولأنفسنا، لكن هذا لا يعني أن الرضا يأتي من نوع من الزهد والتجرد من الذات. أولئك الذين يحاولون إنكار رغباتهم ينتهي بهم الأمر مشوهين مثل أولئك الذين تحركهم هذه الرغبات، لأن كلا النهجين في الحياة ينبعان من سوء فهم للمأزق الإنساني.

إذا قمعنا رغبتنا في الشعور بالرضا كفرد (وهو أمر مستحيل في الواقع!) فإننا بذلك نهزم الغرض الأساسي من حلم الحياة، وهو الاستمتاع بالحياة. ومع ذلك، فإن هويتنا الجوهرية تعبر عن نفسها أيضاً كجميع الأفراد الآخرين الذين يشاركوننا حلم الحياة، وإنكار رغبتهم في الشعور بالرضا سيكون بمثابة إفشال الغرض الأساسي من حلم الحياة. يكمن الحل في تعزيز استمتاعنا الشخصي والجماعي بالوجود، لأنهما في جوهرهما شيء واحد.

إن العيش بوعي هو إدراك أن السبيل للشعور بالرضا على المستوى الفردي هو أن نكون واعين برغبة كل شخص آخر في الشعور بالرضا بالإضافة إلى رغبتنا، وأن نبذل قصارى جهدنا لجعلهم يشعرون بالرضا أيضًا، بدلاً من مجرد الاستيلاء على متعتنا الخاصة على حساب الآخرين. العيش بوعي هو السعي وراء السعادة الشخصية التي تعزز سعادة الآخرين بدلاً من أن تعيقها. ولأننا جميعاً واحد، فإن مساعدة الآخرين على الشعور بالرضا تجعلنا نشعر بالرضا. أفضل طريقة لتكون أنانياً هي أن تكون أيضاً غير أناني.

التعليقات الشخصية

ومن الجوانب الطبيعية الأخرى للوجود البشري والتي غالباً ما يتم تشويه صورتها هي التعلق. نحث على التخلي عن تعلقاتنا بالأشخاص والأشياء لأنها سبب المعاناة. لكن هل نرغب حقاً في أن

نكون غير مرتبطين بمن نحب؟ هل نرغب حقاً في مصادقة أو الزواج أو تربية شخص غير مرتبط بنا على الإطلاق؟ هل نرغب في أن نكون غير مبالين بالأشياء التي نعتز بها أو بالمشاريع الحياتية التي نسعى لتحقيقها؟ بالتأكيد لا! والخبر السار هو أننا لسنا مضطرين لذلك. المشكلة تكمن في عدم وجود التعلق. يتم لصقها فقط. لسنا مضطرين للتخلص من تعلقاتنا. بل نحتاج إلى إدراك أن طبيعتنا الجوهرية غير متعلقة ولن تكون كذلك أبداً. لا يعني العيش بوعي إنكار ارتباطاتنا الإنسانية وعلاقاتنا الشخصية. إنها العيش مع ارتباطات مؤقتة كشخص في حلم الحياة، مع العلم أننا في الأساس وعي غير مرتبط بأي شيء.

المشاعر السلبية

غالباً ما يتم تصوير الصحوة على أنها حالة خارقة للطبيعة نكون فيها دائماً متعاطفين ولا نشعر أبداً بالمشاعر الإنسانية الطبيعية مثل الغضب. لكن الغضب ليس دائمًا أمرًا سيئًا، لأنه قد يكون رد فعل مناسبًا لموقف سيئ. المشكلة ليست في الغضب. إنها مجرد حالة غضب. عندما نغرق في الشعور بالانفصال، يسهل أن نصبح أسرى الغضب المدمر. لكن الغضب ليس إلا تعبيراً عن انفصالنا إذا كنا غاضبين بدلاً من أن نكون متعاطفين. قد يكون الغضب ونفاد الصبر والإحباط في بعض الأحيان تعبيرات إيجابية عن الحب العظيم. يعلم كل أب وأم أنه من الممكن أن يغضب المرء من طفله مع استمرار حبه له. قد يكون الغضب نوعًا من "الحب القاسي".

الخوف تجربة إنسانية طبيعية أخرى تتعرض للكثير من التشويه. لكن الخوف ليس مجرد شعور سلبي. قد يلعب أحيانًا دورًا إيجابيًا في حياتنا، تمامًا مثل الألم. الألم ينبهنا إلى ضرورة التغيير لأن الجسم غير راضٍ عن شيء ما. وبالمثل، فإن الخوف هو خيالنا الذي يحذرنا من أن شيئًا ما قد يحدث في المستقبل لا نريده حقًا أن يحدث، وهو ما يمكن أن يساعدنا أحيانًا على تجنب ما هو غير مرغوب فيه.

عندما نتوحد فقط مع ذواتنا المنفصلة، يمكن أن يكون الخوف والألم منهكين تماماً. الخوف والألم هما بحكم التعريف تجارب غير سارة، لأنهما مصممان لدفعنا إلى تغيير وضعنا. لكن في بعض الأحيان لا نستطيع تخفيف الألم أو تجنب الحدث الذي نخشاه. يكمن الحل أيضاً في أن نكون واعين لطبيعتنا الجوهرية وأن نتقبل الخوف والألم بقبول غير مشروط. هذا لا يجعل الخوف أو الألم يختفيان بطريقة سحرية، ولكنه يعني أننا نجرب أيضاً الشجاعة لمواجهة الخوف و القدرة على تحمل الألم. ملذات الجسد

تتبنى العديد من التقاليد الروحية موقفاً غير صحي بشكل خاص تجاه "ملذات الجسد" لأنه، كما قيل لنا، "ثمن المتعة هو الألم". لكن هذا سعر رائع! بالتأكيد "العسل يستحق اللسعة"، كما يقول الرومي بحماس. هل نريد حقاً التخلي عن المتعة لتجنب الألم؟ العيش بوعي هو خيار يجمع بين الأمرين. لا يعني ذلك حرمان أنفسنا من ملذات الحياة. إنها الاستمتاع بالمتعة دون الانغماس فيها. كما أنه يعني البقاء مستيقظين حتى نتمكن من الاستمرار في حب الحياة عندما يزول السرور، كما هو حتمي.

الجنس متعة يتم تشويهها باستمرار من قبل المتدينين المتشائمين، ربما لأنه ممتع للغاية وهؤلاء الناس لا يحبون المرح! ومرة أخرى، تكمن المشكلة في التفكير الثنائي (إما هذا أو ذاك). يُتاح لنا الخيار بين الحب النقي أو الشهوة الدنيئة. لكن من منظور واضح، يمكننا أن نتقبل كلا الأمرين.

عندما نشتهي شخصًا ما كموضوع لرغباتنا فقط، فإننا لا نعترف به ككائن له احتياجات ورغبات أيضًا. لكن العيش بوعي هو القدرة على الشهوة مع الحب في الوقت نفسه. إن الاستمتاع بحقيقة أننا كائنات حساسة وأشياء مرغوبة في آن واحد.

لتحقيق حياة واضحة، ليس عليك أن تصبح متزمتاً في نمط حياتك النظيف وأن تعامل جسدك كمعبد. أحيانًا يكون من الممتع أن تعامل جسدك كما لو كان ملهى ليليًا! ليس عليك الامتناع عن ملذات الجسد. بل إن الأمر عكس ذلك تماما. إن العيش بوعي هو الاستمتاع بكل الملذات واللحظات المؤثرة التي يقدمها لنا حلم الحياة. إنه سر تقدير كل من متع ومآسي الظهور بمظهر الشخص. فلماذا لا تستيقظ وتحب كونك إنسانًا؟ هيا. أنت تعلم أنك تريد ذلك.

الفصل التاسع يسوع الضاحك

أتفهم جراحك التي لم تلتئم بعد.

إنها موجودة لأن الله والحب لم يصبحا حقيقيين بما يكفي بعد للسماح لك بمسامحة الحلم.

حافظ، صوفي غنوصي

إذا استطعت أن تبتعد بما يكفي عن تأثير التنشئة الثقافية التي نشأت لديك، فإن الرسالة المسيحية الحرفية تبدو سخيفة ومشوهة. لقد وُلدت في الخطيئة وتستحق العقاب. لذلك أرسل الله ابنه يسوع إلى كوكب الأرض ليتألم بشدة على الصليب ليدفع ثمن خطاياكم. مات يسوع من أجلك ثم قام من بين الأموات وصعد إلى السماء. وإذا كنت تعتقد أن هذا حدث بالفعل، فستذهب أيضًا إلى الجنة عندما تموت، حيث ستقضي وقتًا ممتعًا للغاية إلى الأبد. لكن إذا لم تؤمن بأن القيامة حدثت بالفعل، فعندما تموت ستذهب إلى الجحيم وستتعرض لتعذيب مروع إلى الأبد. من قبل إله المحبة!

إنها عقيدة بشعة ومعيبة بطبيعتها. لا شك أن وجود الجحيم يجعل التمتع بالجنة أمراً مستحيلاً بالنسبة لأي شخص رحيم. كيف يمكن لأي شخص لديه ذرة من اللطف أن يستمتع بالجنة وهو يعلم أن آخرين يتعذبون في الجحيم، لمجرد عدم إيمانهم بحدث تاريخي لا يوجد دليل عليه أصلاً! يبدو الأمر قاسياً بعض الشيء. إذا كان هناك حقاً إله يدير هذا الفصل العنصري الذي يحدث بعد الموت، فهو وحش ويجب علينا اتهامه بارتكاب جرائم ضد الإنسانية.

ومع ذلك، يسعدنا للغاية أن نخبركم أن هذه النسخة الحرفية القاتمة للرسالة المسيحية لا علاقة لها بتعاليم المسيحيين الغنوصيين الأصليين. لم يعلموا أن الإيمان بموت وقيامة يسوع التاريخيين سينقذنا من الجحيم عندما نموت. سيكون ذلك مستحيلاً لأنه، وفقاً للغنوصيين، نحن أموات بالفعل ونعيش في الجحيم الآن!

نحن أموات ولا نعلم ذلك. إنها فكرة مخيفة تبدو وكأنها خرجت مباشرة من فيلم هوليوودي ضخم مثل فيلم الحاسة السادسة. لكن انظر حولك وسترى ما يقصده الغنوصيون. معظمنا يتجول كأشباح شبه واعية، تعذبها مخاوف وقلق لا نهاية لهما. استمعوا إلينا ونحن نتذمر من همومنا ومتاعبنا، مثل أرواح شريرة منهكة تتوق إلى الراحة. انظر إلى عيون شخصٍ كئيبة وقلقة في طريقه إلى العمل خلال ساعة الذروة الصباحية، وسترى وجه الموتى الأحياء.

بالنسبة للغنوصيين، الجنة والنار ليستا مكانين نذهب إليهما عندما يموت الجسد. هما طريقتان لتحقيق حلم الحياة. عندما نتماهى مع شخصيتنا الحياتية المنفصلة، فإننا نكون "ميتين" بالنسبة لطبيعتنا الجوهرية، وتصبح الحياة كابوسًا من الخوف والمعاناة. لقد "غفونا في الجحيم"، كما يقول أفلوطين. نحن بحاجة إلى "الاستيقاظ من النوم العميق وخلع ثياب الجحيم"، كما يحثنا كتاب يوحنا السري.

الجنة والنار موجودتان هنا والآن. بينما نتماهى مع الذات المنفصلة، يصبح حلم الحياة حتماً كابوساً، ولكن في اللحظة التي نستيقظ فيها على الوحدة، يتحول الجحيم إلى جنة. الجنة هي تجربة الحب العظيم. ليس مكاناً نذهب إليه عندما نموت. إنها حالة من حب الحياة تنشأ عندما نستيقظ

ونعيش بوعي. الحياة "هي فرحة لأولئك الذين أعادوا اكتشاف حقيقتهم من خلال الاستيقاظ"، كما يعلمنا إنجيل الحقيقة. بينما نحن منغمسون في دراما حلم الحياة، لا نستطيع أن نرى كم هي رائعة الحياة. لكن عندما نستيقظ ونعيش بوعي، نجد أننا بالفعل في الجنة. في إنجيل توما، يسأل تلاميذ يسوع: "متى ستأتي السماء؟" فيجيب قائلاً: "لن يأتي ذلك بالانتظار، لأن السماء منتشرة على الأرض لكن الناس لا يرونها".

إيقاظ الموتى

إن الرسالة الأساسية للمسيحية هي أنه بينما نتماهى مع الذات المنفصلة، فإننا نكون أمواتًا ونحتاج إلى أن نحيا أو نقوم من جديد. في اللغة اليونانية التي استخدمها المسيحيون الأوائل، فإن الكلمة التي تُترجم عادةً إلى "قيامة" تعني أيضاً "إيقاظ". تمثل القيامة الاستيقاظ وتجربة الغنوص. إن القيامة ليست شيئاً حدث في الماضي ليسوع. هذه مجرد قصة. كما أنه ليس شيئاً قد يحدث لك بعد موتك. هذا مجرد خيال. إن القيامة شيء يجب أن تجربها بنفسك في هذه اللحظة الحاضرة من خلال إدراك طبيعتك الجوهرية كوعي. يُعلن نص مسيحي يُسمى "رسالة في القيامة" (والذي يمكن تسميته أيضاً "رسالة في الصحوة") ما يلي:

العالم مجرد وهم. إن القيامة/الصحوة هي كشف الحقيقة.

يعلمنا هذا النص أنه عندما قام يسوع من بين الأموات "ابتلع المرئي بواسطة غير المرئي وأرانا الطريق إلى خلودنا". إن القيامة تعني أن تصبح واعياً بكونك فراغ الوعي غير المرئي الذي يحتوي العالم، والذي يوجد غير مولود وغير ميت خارج الزمن. ولهذا السبب يعلم الغنوصيون أن المسيحية تدور حول "الخلاص" من خلال القيامة إلى "الحياة الأبدية". الكلمة اليونانية التي تُترجم عادةً إلى "خلاص" تعني أن يكون الشيء "محفوظًا" أو يصبح "دائمًا". كون الغنوص "خلاص" لأنه اكتشاف أن طبيعتنا الأساسية هي الحضور الأبدي للوعي.

بحسب ترتليان، فإن الغنوصيين يعلمون أن "أولئك الذين ليس لديهم غنوص هم أموات". إن القيامة هي الاستيقاظ على الغنوص. إنه اكتشاف ما يسميه بولس "المسيح"، الذي يمثل طبيعتنا الجوهرية المشتركة كوحدة الوعي. بصفته معلماً غنوصياً، يرى أن وظيفته هي "العمل حتى يقوم المسيح فيك". ويحث على:

استيقظ أيها النائم.

انهض من بين الأموات.

دع المسيح ينير دربك.

هذه هي الرسالة الحقيقية للمسيحية. بينما نتحد لا شعورياً مع شخصيتنا المنفصلة في حلم الحياة، فإننا نكون المسيح الميت، تائهين في كابوس الانفصال والمعاناة في الجحيم. لكن عندما نستيقظ على طبيعتنا الجوهرية المشتركة كالمسيح، فإننا نقوم من الموت ونشارك في الحياة الأبدية. إن القيامة من الموت يحول حلم الحياة من جحيم الفراق إلى جنة الحب العظيم. في الأساطير المسيحية، يُصوَّر يسوع على أنه قام من بين الأموات في الجسد، لأن الحب العظيم هو شعور نجربه في الجسد. إن

القيامة من الموت تعني أن تعود إلى الحياة كشخص. إن تقوم هو أن يصبح المرء حيويا. إنها محبة الوجود في العالم من خلال معرفة طبيعتنا الجوهرية التي ليست من العالم. يُعلّم بولس:

عندما يتحد أي شخص مع المسيح، يكون هناك عالم جديد. يختفي القديم ويبدأ نظام جديد.

المعاناة

في بعض نسخ أسطورة يسوع الغنوصية، ليس يسوع "الحقيقي" هو الذي يُصلب، بل إيدولون أو صورته فقط. يُصوَّر يسوع "الحقيقي" وهو يضحك بينما تعاني طبيعته الظاهرة. إن شخصية يسوع الضاحك الرائعة هي المكافئ الغربي لبوذا الضاحك. كلاهما يمثل اكتشاف الفرح وتجاوز المعاناة من خلال التوقف عن التماهي مع الذات المنفصلة. لكن ما يجعل رمز يسوع الضاحك قوياً للغاية هو أن يسوع لا يُصوَّر على أنه يتجاوز المعاناة فحسب. إن طبيعته الظاهرة تعاني أيضاً معاناة شديدة على الصليب. يرمز يسوع الضاحك إلى حالة العيش الواعي التي نكون فيها قادرين على حب الحياة حتى عندما نعاني.

المعاناة أمر لا مفر منه لأن الحياة مبنية على المعاناة. كل شكل من أشكال الحياة يوجد عن طريق قتل واستهلاك أشكال الحياة الأخرى. لا يمكن للحياة أن تستمر إلا لأن الكون يستهلك نفسه باستمرار. أن تكون شخصاً يعيش حلم الحياة يعني حتماً أن تعاني. كأفراد منفصلين، نحن مجرد ذرات ضئيلة الأهمية في كون شاسع وعدائي. كل واحد منا ليس سوى جسد ضعيف آخر بين مليارات الأجساد التي تنتظر الموت. لا عجب أننا نشعر في كثير من الأحيان بالخوف وعدم الأمان والوحدة.

المعاناة غير مرغوب فيها بحكم تعريفها. إن حب المعاناة أمر مستحيل ومنحرف، ولكن احتضان المعاناة بقبول محب كجزء لا مفر منه من حلم اليقظة أمر ممكن تماماً. المعاناة أمر لا مفر منه، ولكن يمكن تجنب المعاناة نفسها. إن العيش الواعي هو حالة متناقضة تتمثل في الظهور كشخص في حلم الحياة يعاني أحيانًا، ومع ذلك نعرف أنفسنا على أننا وعي موجود يتجاوز كل الثنائيات، بما في ذلك الفرح والمعاناة.

إن العيش بوعي لا يعني أننا لا نعاني أبداً، لأننا ما زلنا نمتلك طبيعة ظاهرة تعاني أحياناً من الألم الجسدي والمعاناة النفسية. لكن عندما نعيش حياة واعية، فإننا لا نعاني فقط. إذا كنا واعين لطبيعتنا الجوهرية وطبيعتنا الظاهرة، فيمكننا أن نعاني كشخص عندما تكون الحياة قاسية، وفي نفس الوقت نتقبل معاناتنا بقبول محب غير مشروط كوعي. كما يعلمنا يسوع في سفر أعمال يوحنا، يمكننا أن نتعلم كيف نعاني وكيف لا نعاني.

الاستيقاظ تجربة حب عظيم. حب عظيم لدرجة أنه يخفف من أهوال الحياة. من منظور طبيعتنا الظاهرة داخل حلم الحياة، يمكن أن تكون المعاناة والمرض والموت تجارب مروعة حقًا. لكن تجربة الحب العظيم تمكننا من احتضان كل من سعادة الحياة وحزنها. إنها لا تقلل من ألم الحزن والمأساة، بل تضيف إلى هذه التجارب مسحة حزينة حلوة. إن تجربة الحب العظيم تخفف من معاناتنا وتمكننا من تحمل ما لا يطاق.

عندما نغرق في وهم الانفصال، فإننا نرى تجاربنا إما جيدة أو سيئة. العيش الواعي هو تبني منظور "كلا الأمرين" وإدراك أن كل تجربة هي جيدة وسيئة في آن واحد. حتى أروع التجارب تنطوي على المعاناة الكامنة في عدم الدوام، لأننا نعلم أنه بما أن كل شيء يتغير، فلا بد أن يزول الشعور الجيد. وحتى أسوأ التجارب يمكن أن تكون بمثابة حافز لصحوتنا. في الواقع، وكما يشهد أولئك الذين عانوا كثيراً، فإن أصعب التجارب هي التي توقظنا بقوة من حالة الخدر التي نسميها "الوضع الطبيعي".

كل شيء في حلم الحياة موجود في قطبية، وهو جيد و سيء في آن واحد. ليس هناك شيء جيد لدرجة أنه لا يحتوي على جانب سيئ، وليس هناك شيء سيئ لدرجة أنه لا يحتوي على شيء جيد. لقد منحنا العلم القدرة على القضاء تقريباً على بعض الأمراض المروعة، ولكنه منحنا أيضاً هيروشيما وناغازاكي. لقد انطوت الحرب العالمية الثانية على قسوة لا توصف، ومع ذلك فقد أدت إلى السلام في أوروبا. صُممت المحرقة لإبادة العرق اليهودي، لكنها أدت عن غير قصد إلى إنشاء وطن يهودي في إسرائيل لأول مرة منذ ألفي عام. كان هذا الأمر جيداً لليهود ولكنه سيئ للفلسطينيين الذين كانوا يعيشون هناك بالفعل. لكل شيء جانب جيد وجانب سيئ.

هذه اللحظة الحاضرة مليئة بالفرح والمعاناة على حد سواء. الآن، أم تحتضن طفلها حديث الولادة الجميل. شابان عاشقان يتبادلان مشاعرهما لأول مرة. شخص ما يمد يده لمواساة شخص غريب في محنة. لكن في هذه اللحظة بالذات، تشاهد أم طفلها وهو يموت جوعاً. اكتشف عاشقان شابان مرارة الخيانة. يمر شخص ما بجانب غريب يصرخ طلباً للدعم ببرود تام.

إن العيش بوعي يعني احتضان كل هذا بحب عظيم، وهو ما يتطلب شجاعة عظيمة. الحب ليس مجرد شعور جيد، بل ينطوي أيضاً على المعاناة عن طيب خاطر. عندما نحب الآخرين، فإننا نشاركهم آلامهم كما نشاركهم فرحهم. إن المعاناة الكامنة في الحب العظيم هي التي تمنع الكثير منا من الاستيقاظ. نشعر أنه من المؤلم للغاية أن نستيقظ ونحب، لذلك نختار أن نكون مخدرين ومنعزلين. لكن الأمر يصبح صعباً للغاية طالما بقينا مرتبطين بالذات المنفصلة. من المبالغة توقع أن يفتح شخص منعزل قلبه لكل معاناة العالم. لكن كلما ازداد وعينا بالوحدة، كلما أصبح الحب العظيم ليس ممكناً فحسب، بل طبيعياً أيضاً. عندما نعيش بوعي، نجد أنفسنا نحب الجميع ونعاني مع الجميع عن طيب خاطر. هذه هي حالة الغنوص التي يرمز إليها الشكل السامي ليسوع الضاحك.

الموت آمن

يضحك يسوع في وجه الموت. كان يفضل أن ينجو من كأس الموت هذا، لكن عندما أدرك أنه مقدر له أن يموت، تقبل الأمر بلا قيد أو شرط. يستطيع يسوع أن يتقبل الموت لأنه قد "مات" بالفعل مجازياً من خلال التوقف عن التماهي مع طبيعته الظاهرة. إن سر الغنوصية في القدرة على مواجهة الموت بسيط. لا تنتظر. مت الآن! يصف أفلاطون "الفيلسوف الحقيقي" بأنه الشخص الذي "يجعل الموت أسلوب حياته". يكتب بولس: "أنا أموت كل يوم". يقول فالنتينوس: "نختار أن نموت حتى نتمكن من القضاء على الموت تماماً". يشرح العارف الإسلامي عبد القادر ما يلي:

> هناك نوعان من الموت. أحدهما حتمي ومشترك بين الجميع، والآخر طوعي ويجربه القليلون. وهو الموت الثاني الذي شرعه محمد بقوله: "مت قبل أن تموت". أولئك الذين

يموتون هذا الموت الطوعي يُبعثون من جديد.

عندما نتوحد بشكل حصري مع أجسادنا المادية، فإننا نكون بوعي أو بدون وعي في حالة قلق مستمرة، لأن التحلل والموت هما ما ينتظر هذا الكيس الجلدي المتحرك الذي يتكلم. لكن عندما نستيقظ ندرك أننا لسنا بحاجة إلى الخوف من موت الجسد أكثر مما نحن بحاجة إلى الخوف من الموت في الحلم. كلما ازداد وعينا، قل خوفنا من الموت، مما يجعل الحياة أكثر متعة!

عندما نستيقظ على حقيقة الأمور، ندرك أن الموت آمن. إن الخوف من الموت ومقاومته يشبه خوف الطفل الصغير من النوم ومقاومته له، لأنه لا يفهم أن التجديد لا يأتي إلا من خلال الفناء. إن القلق بشأن موت طبيعتنا الظاهرة يشبه القلق بشأن ما سيحدث لانعكاسنا عندما نتوقف عن النظر في المرآة. يُعلّم أبكتاتوس الوثني الغنوصي ما يلي:

> إن خوفك من الموت هو ما يرعبك. يمكنك التفكير في شيء ما بطرق عديدة. تأمل في مفهومك للموت. هل هو صحيح؟ هل هو مفيد؟ لا تخف من الموت. بل خاف من خوفك من الموت.

يبدو الموت مرعباً إلى درجة أننا نتماهى مع طبيعتنا الفانية. معظمنا يخشى الموت لأننا متعلقون بشدة بشخصيتنا الحالية في حلم الحياة ولا نريدها أن تنتهي. لكن الموت هو اكتشاف أننا لسنا مرتبطين حقًا بشخصيتنا الحالية في الحياة، أكثر من ارتباطنا بشخصية في حلم في الليل. نشعر بالتعلق أثناء الحلم، ولكن ليس عندما نستيقظ. بنفس الطريقة التي لا نحزن بها على زوال حلم عندما نستيقظ في الصباح، فعندما نموت لن نحزن على زوال الشخص الذي نبدو عليه في حلم الحياة الآن.

يعلمنا أفلاطون أن "أفضل حياة هي تلك التي تُقضى في الاستعداد للموت"، لأن الموت هو ذروة الحياة. الموت ليس نهاية بلا معنى لوجود بلا معنى. إن الوجهة هي التي تمنح الحياة معناها. الموت هو الفرصة الأسمى للبعث إلى الحياة. نستيقظ عندما نتخلى عن قصصنا المفاهيمية عن الحياة وندخل في غموض اللحظة. غالباً ما تحدث لحظات الصحوة هذه عندما نواجه ما هو غير مألوف، لأن قصصنا لا تستطيع التعامل مع ما هو غير مألوف. الموت هو التجربة المجهولة المطلقة. عندما يتم منع التماهي مع طبيعتنا الظاهرة بشكل كبير بسبب الموت، فإن ذلك يسمح لنا بأن نصبح واعين لطبيعتنا الجوهرية المشتركة باعتبارها فراغ الوعي. الموت فرصة للاندماج بوعي مع ما يسميه الغنوصيون المسيحيون "الظلام المبهر" ويسميه البوذيون التبتيون "النور الواضح للفراغ".

إن تجربتنا للحظة الحالية إما أن تكون جهنمية أو سماوية، وذلك يعتمد على ما إذا كنا تائهين في وهم الانفصال أو مستيقظين على طبيعتنا الجوهرية. من ناحية ما، ستكون لحظة الموت مجرد لحظة حاضرة أخرى. سيكون الأمر جحيمياً أو سماوياً حسب مدى يقظتنا. في هذه اللحظة الحالية من الممكن تجربة الحياة الواعية، فلماذا لا يكون من الممكن تجربة الموت الواعي واحتضان نهاية هذا الحلم بالتقدير والإثارة والحب العظيم. على فراش الموت، أعلن الشاعر الغنوصي ألين غينسبيرغ: "كنت أعتقد أنني سأشعر بالرعب، لكنني في الواقع أشعر بالبهجة".

برونويا

يمثل يسوع الضاحك حالة من الصحوة ندرك فيها أن الحياة جيدة وأن الموت آمن. نسمي هذا التحول "برونويد". إذا كان الهوس هو الخوف غير العقلاني من أن الحياة تتربص بك، فإن برونويا هو الإيمان المعقول بأن الحياة في صفك. والجميع مستعدون لمساعدتك، سواء كانوا يعلمون ذلك أم لا! "برونويا" هو "الإيمان" باسم جديد أكثر جاذبية. لقد تلوثت كلمة الإيمان بالدين الحرفي لدرجة أنها أصبحت غير قابلة للاستخدام تقريبًا. أصبح الإيمان يعني الاعتقاد الأعمى بالعقائد غير العقلانية. كونك مهوس ليس له علاقة بالإيمان بهذا المعنى. إنها ثقة عميقة في الخير الأساسي للوجود، والتي تنشأ عندما نستيقظ على الوحدة.

بينما نعتقد أننا لسنا أكثر من أفراد منفصلين، فإننا مجرد ذرات ضعيفة في كون واسع مليء بالصدف. لكن إذا استيقظنا، سنصبح برونويد، لأنه يصبح من الواضح أننا لسنا بحاجة إلى الخوف من الحياة أكثر مما نحتاج إلى الخوف من الحلم. إن ما نمر به هو تجلٍّ لطبيعتنا الجوهرية كحالمين بالحياة، فكيف يمكننا أن نكون ضحايا الحياة حقاً؟ ولأن كل شيء هو تعبير عن طبيعتنا الجوهرية، فإن كل ما نجربه يظهر لنا شيئًا عن هويتنا، لذا فإن الحياة مليئة بالمعنى، مثل الحلم.

أن تكون برونويد لا يعني الانغماس في خيال مريح. إنه ليست مجرد استسلام لعالم من التفاؤل المفرط. لا يتعلق الأمر باتخاذ ابتسامة ثابتة في مواجهة كل المصاعب. لا يعني ذلك أن تكون إيجابياً باستمرار من خلال رفض الاعتراف بالسلبيات. بل إن الأمر عكس ذلك تماما. أن تكون برونويد يعني أن تتقبل الاستقطاب المتأصل في الوجود. لكنها تجربة الحياة كقصة حب بين أضداد متكاملة، بدلاً من كونها صراعاً بين متناقضات متناقضة. رقصة لا حرب. ثنائي وليس مبارزة.

ينشأ حلم الحياة من خلال التناقض. ما نجربه يكون جيداً أو سيئاً نسبياً. لكن مجرد أننا نجرب أي شيء على الإطلاق أمر جيد للغاية. أن تكون برونويد يعني الاعتراف بأن الحياة سيئة في بعض الأحيان، مع تذكر أنها جيدة دائماً أيضاً. وعندما ندرك أن كل لحظة تحمل في طياتها الخير والشر، يمكننا أن نختار البحث عن الخير. وكما يقول الممثل الكوميدي الاسكتلندي بيلي كونولي: "لا يوجد شيء اسمه طقس سيئ، إنما ملابس غير مناسبة". لا يوجد شيء اسمه تجربة سيئة بالكامل، بل يوجد فقط موقف خاطئ. عندما نكون غارقين في الانفصال، تكون الأشياء إما جيدة أو سيئة، ولكن عندما نستيقظ ندرك أن جميع التجارب جيدة وسيئة في آنٍ واحد، وذلك يعتمد على كيفية نظرنا إليها. هل هذه اللحظة جيدة أم سيئة؟ هي كلاهما. الأمر دائماً يتعلق بالاثنين معاً. لذا حتى عندما يكون الأمر سيئاً للغاية، فإنه يكون جيداً جزئياً أيضاً، والعكس صحيح. هل هذا جيد أم سيئ؟ الأمر يعتمد على وجهة نظرك.

أن تكون متيقظاً يعني أن ترى الأشياء على حقيقتها. إنه إدراك أن المعاناة أمر سيء، ولكنها أيضاً فهم أن المعاناة ليست سيئة فحسب. إن المعاناة تجعلنا أكثر تعاطفاً، لأنه فقط من خلال معاناتنا يمكننا أن نفهم معاناة الآخرين. غالباً ما لا نتواصل مع بعضنا البعض إلا عندما نواجه أسوأ المآسي. في الواقع، لأن كل تجربة في حلم الحياة هي جزء من عملية الاستيقاظ على الوحدة، فإن جميع تجاربنا السيئة هي في النهاية جيدة. كما كتب جلال الدين الرومي:

إذا طلب الله:

"يثني جلال الدين الرومي على كل ما قادك إلى أحضاني"، لذا عليّ أن أكرم كل تجربة من

تجارب حياتي.

يُلخص والت ويتمان جوهر البرونويا بإيجاز عندما ينطق بما يلي:

ما يُسمى "جيدًا" هو في الواقع مثالي.

وما يُسمى "سيئاً" هو في الواقع مثالي تماماً.

غالباً ما تثير هذه التصريحات الجريئة التي تستخدم ضمير المتكلم ردود فعل غاضبة: "الحياة مثالية؟!" لا بد أنك تمزح!؟ قل ذلك للأم التي يموت طفلها بسبب السرطان! قل ذلك لأفريقي لم يأكل منذ أسابيع! قل ذلك لأي منا ونحن نواجه المعاناة والبؤس اللذين تنطوي عليهما كل حياة! من وجهة النظر الواضحة، فإن هذا الرد يستحق الإشادة، لأنه يجب علينا أن نرفض استبدال التشاؤم المنهك من العالم بالتفاؤل الساذج. الجواب الواضح هو "نعم". أنت على حق. الحياة ليست مثالية. لكن هل يمكنك أن ترى أنها مثالية أيضاً؟

عندما نتوحد بشكل حصري مع شخصيتنا الحياتية، فمن السهل أن نقع في "حلقة مفرغة". نشعر بالانفصال والضعف، لذلك نخاف من الحياة، مما يجعلنا ننسحب إلى حالة من الخمول والجمود، ثم نشعر بمزيد من الانفصال، لذلك نصبح أكثر خوفاً ونخدر أنفسنا أكثر. لكن عندما نعيش حياة واعية، فإننا نطلق "دائرة فاضلة". نبدأ في تجربة أن كل شيء واحد، لذلك نشعر بمزيد من التفاؤل بشأن الحياة، مما يجعلنا ننخرط بشكل كامل في عملية الاستيقاظ، وهذا يعني أننا نستيقظ أكثر على الوحدة الجوهرية لكل الأشياء، لذلك نصبح أكثر تفاؤلاً وننخرط بشكل كامل في عملية الاستيقاظ. والعيش بكل إخلاص أفضل بمرتين من العيش بنصف إخلاص!

المفارقة هي أنه كلما ازداد تطابقنا مع طبيعتنا الظاهرة كشخص، كلما ازداد خوفنا من الحياة. لكن كلما عرفنا أكثر أننا لسنا شخصًا حقًا، كلما استطعنا الانخراط بلا تحفظ في دراما الظهور كشخص في العالم، لأن كوننا برونويد يمنحنا الثقة للالتزام بعملية الحياة، مهما كانت شاقة. وهذا يجعلنا نشعر بالأمان الكافي لمواجهة تقلبات مغامرة الاستيقاظ، لأننا ندرك أن المغامرة لا يمكن أن تكون سهلة دائمًا.

كونك برونويد ليس شعوراً جيداً دائماً. الشعور بالرضا حيال الشعور بالسوء أحياناً. كوننا برونويد لا يعني أننا لا نرتبك أبداً. من المهم فهم أن الارتباك قد يكون في بعض الأحيان للأفضل. لا يعني كوننا برونويد أننا لا نرتكب أخطاءً أبداً. إنه قبول بأننا لا نتعلم إلا من خلال ارتكاب الأخطاء. لا يعني كونك برونويد أن تعيش حياة سهلة دائماً. إنها الثقة بأن مشاكلنا جزء من منهج اليقظة.

كيف ستتغير تجربتك اليومية إذا سمحت لنفسك أن تعيش حياة برونويد؟ ماذا لو تعاملت مع دراما حياتك كمغامرات في رحلة اكتشاف، حيث تُتاح لك باستمرار الفرص التي تحتاجها لتستيقظ وتصبح أكثر وعياً بكل ما أنت عليه؟ ماذا لو رأيت أن حياتك العادية مليئة بالأهمية والمعنى مثل الحلم؟ ماذا لو عشت وأنت تعلم أن الحياة جميلة وأن الموت آمن؟

الاستمتاع بالعرض

هل تبدو إمكانية العيش بوعي تام متناقضة للغاية لدرجة يصعب معها تطبيقها عملياً؟ ليس الأمر كذلك حقاً. أنت تدخل في حالة مماثلة في كل مرة تذهب فيها لمشاهدة فيلم. أنت تتعاطف مع بطل المغامرة، لكنك تعلم أيضاً أنك بأمان في قاعة العرض. وهذا المنظور المزدوج هو الذي يمكّنك من الاستمتاع بالقصة. حتى الأجزاء المخيفة. إذا تعاطفت تماماً مع بطل الفيلم، فإن المغامرة المثيرة ستتحول إلى محنة مرعبة. ستصدق حقاً أن الأشرار سيقبضون عليك وأنك ستعاني وتموت. هذا تشبيه لما يحدث عندما نعيش حياتنا متماهين مع الجسد. العيش بوعي يعني إدراك أن كل شيء على ما يرام. نحن لسنا شخصيات حقيقية في الفيلم. نحن نشاهد العرض بأمان.

لكن العيش بوعي ليس بمثابة الجلوس في السينما ونحن نقرص أنفسنا حتى لا نخلط بين الفيلم والواقع. إذا فعلنا ذلك، فسنظل ندرك أننا نشاهد فقط أضواء ملونة معروضة على شاشة بيضاء، لكن هذا من شأنه أن يفسد استمتاعنا بالتجربة. يستحق الفيلم المشاهدة لأننا لا نكتفي بمجرد إدراك وجودنا في قاعة العرض. لا نستمتع بالوهم إلا عندما ننخدع به.

تحثنا العديد من التقاليد الروحية على القيام بما يعادل نفسياً قرص أنفسنا للتأكد من أننا لا نخلط بين الفيلم والواقع. قد تكون هذه استراتيجية مفيدة على المدى القصير لمنعنا من التماهي باستمرار مع طبيعتنا الظاهرة. لكن هناك خطأ ما في هذا النهج كنهج طويل الأمد للحياة. هذا تصرف غير لائق إلى حد ما. هناك عرض مذهل يُقدم مجاناً، لكنه لا يحظى بالتقدير الكافي.

العيش بوعي هو تبني المنظور المتناقض الذي نتبناه عندما نستمتع بمشاهدة فيلم. نجلس هناك في قاعة العرض ونستسلم تماماً للفيلم، على أمل أن نستمتع به، ونتحمس له، ونتغير، ونفكر ونشعر. لكننا نعلم أننا لسنا في الفيلم. لسنا مضطرين للجلوس هناك وتكرار عبارة "أنا لست في الفيلم..." أنا لستُ في الفيلم... نحن متأكدون من ذلك لدرجة أننا لا نحتاج إلى التفكير فيه. الأمر واضح.

للاستمتاع بفيلم، نحتاج إلى الدخول في عالم الخيال ومعرفة أننا في أمان بشكل أساسي. لقد سمحنا لأنفسنا بأن نكون جزءًا من الفيلم، لكننا نعلم أننا لسنا جزءًا منه. وهذا هو سر الاستمتاع بالعرض. إن العيش الواعي يتبنى منظورًا متناقضًا مماثلًا لحلم الحياة، مما يُمكّننا من الدخول بلا تحفظ في دراما الحياة، حتى عندما تكون في بعض الأحيان رحلة مليئة بالتوتر. إن العيش بوعي هو إدراك أننا في الواقع نريد صراعات الحياة ومعضلاتها، لأن هذا ما يغيرنا. هذا ما يجعلنا نشعر حقاً. هذا ما نستمتع به. من يريد أن يشاهد فيلماً يبدأ بسعادة الجميع، ويستمر بأن كل شيء يسير على ما يرام، وينتهي بأن كل شيء بخير؟ نريد أن تكون الحياة أكثر من مجرد كوميديا سطحية خفيفة. نريد أيضاً دراما. نريد أن تكون الحياة كما هي تماماً. تحفة فنية مؤثرة تبعث على الشعور بالسعادة، تتميز بعمقها وعمق مشاعرها لدرجة يصعب وصفها.

الفصل العاشر الطريق إلى الاستيقاظ

لن تتضح رؤيتك إلا عندما تنظر إلى قلبك. من ينظر إلى خارج يحلم.

من ينظر إلى الداخل يستيقظ.

كارل يونغ، الرسائل، المجلد الأول

نحن نعيش في الخطيئة ونحتاج إلى التوبة. يُبشر بها بلا انقطاع من قبل الكهنة الحرفيين والمبشرين التلفزيونيين. وهل تعلم ماذا؟ إنهم على حق! نحن نعيش في الخطيئة ونحن بحاجة إلى التوبة. الأمر ببساطة أن أصحاب التفسير الحرفي للنصوص يسيئون فهم معنى كلمتي الخطيئة والتوبة. بالنسبة للحرفيين، نحن خطاة لأننا خالفنا القواعد. لم نفعل ما طلبه منا "الأب الكبير" وهو غاضب منا. لذا فإن الطريقة الوحيدة لتجنب العقاب الشديد هي الشعور بالذنب الشديد، والقول إننا آسفون للغاية، والوعد بعدم تكرار السلوك السيئ مرة أخرى. لكن هذا لا علاقة له بما قصده المسيحيون الغنوصيون الأصليون بـ "الخطيئة" و "التوبة".

الكلمة اليونانية *hamartia*، والتي تُترجم عادةً إلى "خطيئة"، تأتي من الرماية وتعني ببساطة "إضاعة الهدف". الكلمة اليونانية *metanoia*، والتي تُترجم عادةً إلى "التوبة"، تعني "تغيير المنظور". إذن، الخطيئة ليست عصياناً لمجموعة من القوانين الإلهية. إنها ببساطة تغفل المغزى. والتوبة لا تعني أن تُرهق نفسك أو أن تتملق لإلهٍ قاضي. الأمر ببساطة هو رؤية الأشياء من منظور مختلف.

في الأناجيل يعلم يسوع أن "بداية الخلاص هي التوبة". الخطوة الأولى في عملية الاستيقاظ هي إدراك أنك تغفل المغزى وتغيير وجهة نظرك. لكن ما جدوى الحياة؟ اسأل طفلاً وستكون الإجابة ببساطة: "للمرح". نحن نحلم بحلم الحياة لأننا نريد أن نحب الحياة. هذا ليس شيئاً نريده للمستقبل. نريد أن نحب الحياة الآن. نريد أن نحب هذه اللحظة. هذا هو الدافع الأساسي للحياة الذي يكمن في جذور كل رغباتنا. هذا ما نريده حقاً. هذا هو الهدف والغاية من الحياة.

من السهل معرفة متى نكون قد أخطأنا الهدف ونحتاج إلى تغيير وجهة نظرنا. عندما ننغمس كثيراً في دراما حلم الحياة لدرجة أننا ننسى أننا نريد أن نحب الحياة الآن، فإننا نفوت المغزى الحقيقي. عندما نكون متأكدين تماماً من أننا نعرف ما يحدث لدرجة أننا لا نلاحظ سر الوجود، فإننا بذلك نفوت المغزى. عندما نكون مخدرين لدرجة أننا لا نلاحظ معجزة اللحظة، فإننا نفوت المغزى. ومن العلامات الحاسمة أننا نبدأ بفقدان حس الفكاهة لدينا. عندما يحدث هذا، نكون قد غفلنا بالتأكيد أثناء القيادة وانحرفنا عن الطريق!

إننا نغفل عن النقطة الأساسية عندما نكون غارقين في منظور "الشيء" لشخصيتنا الحياتية لدرجة أننا لا نعي منظور "الأنا" لطبيعتنا الجوهرية. العيش بوعي يعني إدراك كلا الأمرين. لذا لكي نستيقظ ونعيش بوضوح، علينا ببساطة أن نتبنى منظور الذات، من خلال الوعي التام الذي يحتضن كل ما هو موجود الآن. وعندما نفعل ذلك، نجد أنفسنا مغرمين باللحظة، وهذا هو جوهر الحياة.

المشاهدة

كن واعياً وأنت تشهد تجربتك في الظهور كشخص في هذه اللحظة. هذا لا يعني عدم التفكير في الماضي والمستقبل. يعني ذلك ببساطة مراقبة أي أفكار أو أحاسيس تحدث في هذه اللحظة. لا يعني أن تشاهد العالم أن تعتبر نفسك رجلاً صغيراً منفصلاً يراقبه من داخل رأسه. بل إن الأمر عكس ذلك تماما. إنه "الانفصال" عن طبيعتك الظاهرة كجسد، كما يقول أفلوطين، وإدراك أنك الفراغ الواسع للوعي الذي ينشأ فيه حلم الحياة. إن المشاهدة هي تجاوز الذات المنفصلة من خلال الوعي الذي يحتوي على العالم.

إن المشاهدة هي أبسط منظور ممكن لحقيقة هذه اللحظة الراهنة. إنها الوعي بالقطبية البدائية للمجرب والتجارب. إنها الوعي الذي يراقب حلم الحياة وهو يتكشف كوحدة متحولة. إنها مشاهدة سلبية لكل شيء يحدث بشكل عفوي. جربها بنفسك الآن. كن وعياً واسعاً وأنت تشهد تجربة الظهور كشخص يقرأ هذه الكلمات.

إن حالة المشاهدة هذه ليست الغنوص. إنه تحضير للغنوص. الغنوص هو إدراك أنك واحد مع الكل. يصبح هذا ممكناً بمجرد اختزال هذه اللحظة إلى القطبية البدائية للمجرب والتجارب، لأنه حينها يمكنك أن ترى أن الوعي واحد مع ما يشهده. لا توجد تجارب منفصلة عن صاحبها. كما يعلمنا مايستر إيكهارت، "الرائي والمرئي واحد". أنت كل ما تجربه. أنت واحد مع الجميع ومع كل شيء.

الوحدة

لكي تستيقظ على الوحدة، عليك أن تتخلى عن فكرة نفسك كفرد منفصل ومستقل يتمتع بإرادة حرة. يجد معظم الناس هذا الأمر صعباً للغاية، لذا قد يكون من المفيد النظر في الأدلة. بأي معنى أنت فرد "حر"؟ هل طلبت أن تولد؟ هل اخترت أن تكون رجلاً أم امرأة؟ هل اخترت أن تكون إنساناً أصلاً؟ هل اخترت والديك أو جنسيتك؟ هل اخترت أن تصبح مراهقًا عن طريق تشغيل الهرمونات التي من شأنها تغيير جسمك وتغذية رغباتك؟ هناك عشرة آلاف عملية كيميائية يجب أن تقوم بها كل خلية في جسمك كل ثانية للحفاظ على حياتك، ولكن هل أنت كيميائي؟ هل تعتقد أن شخصاً ما سيقترب منك يوماً ما ومعه لوحة كتابة ويسألك متى وكيف تريد أن تموت؟ بالطبع لا. موتك، مثل حياتك، سيحدث لا محالة.

لكن هناك مجال واحد في حياتك يبدو أن لديك فيه حرية الاختيار الفردية. بإمكانك اختيار كيفية تصرفك. لكن حتى هنا، إذا فحصت الأدلة، سترى أن الأمور ليست كما تبدو. يكون الفعل إرادياً عندما تنوي القيام به بوعي. جميع أفعالك الإرادية تنبع من نواياك. والنوايا هي أفكار. لكن هل تختار ما تفكر فيه؟ إذا راقبت أفكارك لبعض الوقت، ستدرك سريعاً أنك لا تفعل ذلك. أفكارك تأتي وتذهب من تلقاء نفسها. أنت لست متحكماً بها. يصبح هذا الأمر واضحاً بشكل خاص إذا حاولت التوقف عن التفكير، لأنك ستجد أنك لا تستطيع! تتبادر الأفكار إلى الذهن سواء أعجبك ذلك أم لا. لذا، إذا لم تكن أنت "المفكر" لأفكارك، فأنت لست "الفاعل" لأفعالك المقصودة أيضاً.

أنت لست فرداً منفصلاً يتمتع بإرادة حرة، لأن كل شيء يحدث كجزء لا يتجزأ من حلم الحياة

المتغير باستمرار، بما في ذلك أفكارك وأفعالك. أفكارك تأتي وتذهب، ولكن لا يوجد "مفكر" فردي. إن عينيك تتجولان على هذه الصفحة الآن، ولكن لا يوجد فاعل فردي لهذا الفعل. في الحقيقة، لا يوجد "أنت" منفصل لتكون حراً أو غير ذلك. لا يوجد سوى حالم الحياة الذي يحلم بحلم الحياة. جميع أفعالك الفردية هي في الواقع أفعال الحالم الحياة أو الله أو المسيح أو أي اسم نستخدمه لتمثيل مصدر كل شيء. ولهذا السبب يعلن بولس:

> إن الحياة التي أعيشها الآن ليست حياتي، بل هي الحياة التي يعيشها المسيح في داخلي.

ولماذا يُدرّس عبد القادر؟

> المتصوفون ليسوا أنفسهم بل هم موجودون في الله. أفعالهم هي أفعال الله. كلامهم هو كلام الله الذي نطقت به ألسنتهم. إن رؤيتهم هي رؤية الله من خلال أعينهم.

> عندما تحلم ليلاً، تظهر شخصيتك في الحلم كفرد يختار أن يفعل هذا وليس ذاك. لكن لو حلمت بوعي، لأدركت أنك في الحقيقة تتحكم في الحالم الذي هو المصدر اللاواعي لكل ما يحدث في الحلم. وبالمثل، فإن العيش الواعي هو إدراك أن طبيعتك الجوهرية هي مصدر كل ما يحدث في حلم الحياة. بصفتك واعياً، فأنت تقوم بكل شيء بدون بذل جهد نشط.

أهمية الاختيار

عندما يصادف الناس لأول مرة فكرة أن كل شيء يحدث كواحد، بما في ذلك أفكارهم وأفعالهم، فإنهم يجدونها أحيانًا مسيئة للغاية، لأنها تبدو وكأنها تنكر قدرتهم على اختيار كيفية تصرفهم، وهو أحد السمات المميزة لإنسانيتنا. في الأوساط الروحية، غالباً ما تُدان هذه المقاومة باعتبارها جهلاً ناتجاً عن التماهي مع الأنا، ولكنها في الواقع علامة على الحكمة الفطرية. لأن الحياة الواعية ليست مجرد وعي يشهد على الوحدة المتحولة. كما أنها تُقر بأهمية الظهور بمظهر الشخص القادر على اختيار هذا وليس ذاك.

يمكنك الآن أن تختار مواصلة القراءة، أو تمزيق هذه الصفحة إلى أشلاء، أو رمي الكتاب على شخص ما. بصفتنا أفرادًا ضمن حلم الحياة، فإن تجربتنا في الاختيار هي حقيقة لا يمكن إنكارها. في الواقع، نادراً ما نعترف بالنطاق الهائل للخيارات المتاحة لنا في كل لحظة. لكن عندما نفعل ذلك، يكون الأمر مبهجاً للغاية! إذن ما هي تجربة الاختيار هذه، وهل نحن على حق في تقديرها إلى هذا الحد؟

كل شيء ينشأ تلقائياً، كالحلم، من الوعي اللاواعي. لكن الوعي يصبح مدركاً لحلم الحياة من خلالنا كأفراد. وعندما يدرك الوعي شيئاً ما من خلال فرد، فإنه يملك الفرصة ليقرر بوعي كيفية التفاعل. هذه هي التجربة التي نسميها "الاختيار". من خلالك كفرد، يصبح حالم الحياة واعياً بنية التصرف قبل حدوث الفعل نفسه، وبالتالي يمكنه اختيار التصرف أو الامتناع عن التصرف.

بصفتك فرداً، فأنت جزء لا يتجزأ من حلم الحياة، وليس كياناً مستقلاً منفصلاً. ليس أنت الفرد الذي يختار ما يفعله. إنه وعي حالم الحياة الذي يتخذ جميع قراراتك من خلال شخصيتك الحياتية. هذا لا يقلل من قيمة تجربتك المختارة. بل إن الأمر عكس ذلك تماما. وهذا ما يجعله أكثر أهمية. إن

الحدس القائل بأن تجربة الاختيار ذات أهمية بالغة هو حدس صحيح، لأنه من خلال شخصيتك الفردية في الحياة يمكن لحالم الحياة أن يشكل حلم الحياة بوعي، من خلال اختيار تحسين الأمور. كلما ازداد وعيك كفرد، زادت الخيارات المتاحة أمام حالم الحياة من خلالك.

أصبح من الشائع بشكل متزايد الاعتقاد بأننا "نخلق واقعنا الخاص"، وهذا صحيح إلى حد ما. بصفتنا حالمين بالحياة، فإننا نخلق كل الواقع. لكننا لا نفعل ذلك بوعي كشخصيات فردية في حلم الحياة. الاستيقاظ هو إدراك أننا كأفراد لا نفعل أي شيء في الواقع. نحن جزء مما يحدث. ومع ذلك، لا يزال هناك شعور بأننا جميعًا نشارك في خلق الواقع كأفراد، لأنه كلما أصبحنا أكثر وعيًا، يصبح حالم الحياة قادرًا على اتخاذ خيارات أفضل من خلالنا وهذا يغير الواقع. إن العيش بوعي هو أن تكون حالم الحياة تحلم بحلم الحياة دون وعي، وأن تظهر كشخص يلعب دوره في المشاركة الواعية في خلق الواقع.

التسامي والتحول

يستيقظ الحالم تدريجياً من خلال ازدياد وعيه من خلال كل واحد منا كفرد. بينما نحن أفراد غير واعين نسبياً، فإننا منغمسون جداً في دراما حلم الحياة لدرجة أنه من الصعب الاستيقاظ. وإذا تمكنا من الاستيقاظ لفترة وجيزة، فإننا نعود إلى النوم بسرعة كبيرة. لتعميق حالة اليقظة والحفاظ عليها، نحتاج إلى أن نصبح أكثر وعياً، حتى نتمكن من تحويل تلك الجوانب من طبيعتنا الظاهرة التي تحبسنا في الانفصال. عندها سنكون قادرين على تجاوز ذواتنا الشخصية بسهولة أكبر ونصبح واعين لطبيعتنا الجوهرية. غالباً ما تبدأ عملية الاستيقاظ بسنوات من التحول الشخصي، قبل أن يكون الشخص مستعداً حتى لفهم ما يعنيه حقاً الاستيقاظ على طبيعتنا الجوهرية المشتركة.

التحول الشخصي والمشاهدة غير الشخصية هما جانبان متكاملان من طريق الاستيقاظ، والذي يسميه الغنوصيون الوثنيون الحياة النشطة والحياة التأملية، ويسميه بولس التأهيل النفسي والروحي. لكن العديد من التقاليد الروحية لا تؤكد إلا على جانب واحد فقط من هذين الجانبين في رحلة الاستيقاظ.

بالنسبة لأولئك الذين يمارسون فقط مشاهدة الوحدة، يبدو التحول الشخصي مجرد تشتيت سطحي. وهو كذلك في حد ذاته. إن السعي الدؤوب لجعل المرء نفسه شخصًا أفضل قد يكون أشبه بإعادة ترتيب الأثاث في زنزانة السجن. من السهل أن ننغمس في صراعنا مع عقدنا النفسية لدرجة أننا لا ندرك أن كل لحظة هي فرصة للتخلي عن الماضي والاستيقاظ في الحاضر.

بالنسبة لأولئك الذين يمارسون التحول الشخصي فقط، تبدو مشاهدة الوحدة أمراً مجرداً وغير شخصي. وهو كذلك في حد ذاته. إن التعليم القائل بأن طبيعتنا الجوهرية هي حالم الحياة أو الله يُعتبر خطيراً لأنه يمكن أن يؤدي إلى التضخم. وهذا صحيح. إذا اعتقد شخص ما أن ذاته الشخصية هي الله، فهذا تضخم فاحش وعكس اليقظة.

لكن ليس علينا أن نقع في هذا التناقض بين خيارين. نحن بحاجة إلى التحول والارتقاء في آن واحد. تتطلب عملية الاستيقاظ منا أن نتقبل جميع الأقطاب المختلفة الكامنة في حلم الحياة. هناك وقت للتأكيد على التحول الشخصي ووقت للتركيز على المشاهدة. هناك وقت للضغط ووقت

للخمول. وقتٌ للانضباط ووقتٌ للعب. وقتٌ للعطاء للآخرين ووقتٌ للعناية بأنفسنا. كيف نحقق التوازن الصحيح بين "الاثنين" و"الاثنين معًا"؟ الأمر أشبه بتعلم ركوب الدراجة. إن التوازن ليس شيئاً تجده مرة واحدة وإلى الأبد، بل هو شيء عليك أن تجده في كل لحظة مع تغير الطريق الذي تسلكه. ستعرف أنك على صواب عندما لا تسقط!

التحول الشخصي

كيف نُغيّر طبيعتنا الشخصية حتى نتمكن من الاستيقاظ بسهولة أكبر على جوهرنا الحقيقي؟ أطلق الغنوصيون الوثنيون على عملية التحول الشخصي اسم "كاثارموس"، والتي تعني "التطهير"، لأنها عملية تطهير أنفسنا من سمات الشخصية التي تجعلنا أفرادًا غير واعين ومعزولين وأنانيين. إنها تفحص جانبنا "المظلم" أو "السيئ". ينصح الفيلسوف الوثني أبكتاتوس بما يلي:

> هل تريد أن تكون صالحاً؟ إذن عليك أولاً، فهم أنك شخص سيء. بداية الفلسفة هي إدراك نقاط ضعفك وعيوبك.

التحول الشخصي هو عملية إدراك العادات السيئة التي تبقينا غافلين واستبدالها بعادات جيدة تساعدنا على الاستيقاظ. علينا أن ننتبه عندما نتصرف بأنانية بشكل معتاد ونفقد الإحساس بالواقع بشكل روتيني. من السهل أن تفقد وعيك وتستمر في السير بشكل آلي في نفس المسارات المألوفة. إن الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها الهروب من أنماط تفكيرنا وسلوكنا اللاواعية هي من خلال إدراك هذه الأنماط واختيار تغييرها. يشرح إنجيل فيليب ما يلي:

> طالما أن جذور الشر مخفية، فهي قوية. لكن إذا انكشفت، فإنها تتلاشى. إذا تجاهلتها، فإنها تتجذر فيك وتثمر في القلب. إنها تأسرك لتفعل الأشياء التي لا تريد فعلها ولا تفعل الأشياء التي تريد فعلها. إنها تمارس هذه القوة لأنك لم تدركها.

يتطلب التحول الشخصي أن نكون صادقين مع أنفسنا بشأن عيوبنا ونقائصنا. لكننا لسنا بحاجة إلى الانغماس في الشعور بالذنب وتأنيب الذات. وكما قال هومر سيمبسون بحكمة: "لا تستمر في لوم نفسك. لوم نفسك مرة واحدة فقط ثم امضِ قدماً". يمكن للخجل المؤقت أن يحولنا إلى بشر أفضل وأكثر وعياً. لكن الشعور بالذنب المستمر يشَلنا ويضعف ثقتنا في قدرتنا على التطور.

نحن بحاجة إلى تحويل سماتنا الشخصية السلبية إلى سمات إيجابية، بدلاً من القضاء عليها. عندما نتوحد مع الذات المنفصلة، فإننا نشوه الصفات التي هي في الواقع عيوب ونقائص. يصبح الشخص الحازم مهيمناً. يصبح الشخص المتواضع خاضعاً. الشخص الواثق من نفسه يصبح متغطرسًا. الشخص الشجاع يصبح عدوانياً. الشخص الملهم يصبح متلاعباً. لكن، بينما نحول أنفسنا من ذات منعزلة إلى ذات متكاملة، تصبح عيوبنا صفاتنا المميزة. و، كما يقول المعلم الروحي الأمريكي رام داس مازحاً، "تصبح عقدنا النفسية أسلوبنا"!

تحقق من ذلك بنفسك. تأمل شخصيتك وتعرف على نقطة ضعف ترغب في تغييرها. ثم اسأل نفسك، "ما هي الصفة التي يتم تشويهها هنا؟" كيف يمكنني تحويل هذا الضعف إلى قوة؟ إن نقاط ضعفك هي جزء مما يجعلك فرداً مميزاً، وربما يتطلب الأمر مثابرة لتغييرها إلى أسلوبك الخاص،

لذا لا تيأس إذا وجدت نفسك عالقاً باستمرار في نفس العُقد القديمة. الأمر كذلك بالنسبة لنا جميعاً. إنها المعضلة الإنسانية. ولا تستغرب إذا أدى التغلب على مشكلة واحدة إلى ظهور مشكلة أخرى. الحياة رحلة لتحويل المشاكل إلى مشاكل أخرى. هكذا تتطور الأمور.

أن تكون حباً وأن تحب أن تكون

في إنجيل متى، يستبدل يسوع القوانين والأنظمة الدينية التي لا نهاية لها في التفسير الحرفي اليهودي بوصيتين بسيطتين فقط، وحتى في ذلك الحين يلاحظ أن "الثانية تشبه الأولى إلى حد كبير". الوصية الأولى هي أن "تحب الله من كل قلبك". الوصية الثانية هي أن "تحب الآخرين كما تحب نفسك". هاتان الوصيتان تلخصان بإيجاز الجانبين من الطريقة الغنوصية للتنوير. علينا أن نصبح واحدًا في حب طبيعتنا الجوهرية المشتركة التي هي مصدر كل شيء. ونحن بحاجة إلى تحويل طبيعتنا الظاهرة إلى فرد واعٍ ومتعاطف، يدرك أن كل شخص هو تعبير عن وحدة الوعي، بحيث نحب الآخرين كما نحب أنفسناً.

العيش بوعي هو أن تحب الجميع وكل شيء بلا شروط. هل تحب بلا شروط؟ ألقِ نظرة على الخيارات أدناه وحدد أيها يعكس موقفك بشكل أفضل:

أحب الحياة عندما يعجبني ما يحدث.

أحب الحياة كما هي وأحاول تغيير الأمور نحو الأفضل.

أحب الآخرين إذا كانوا جديرين بالحب.

أحب الآخرين بغض النظر عن أي شيء، وهذا قد يساعدهم على أن يصبحوا أكثر جدارة بالحب.

سأحب نفسي عندما أصبح شخصاً أفضل.

أنا أحب نفسي على أي حال، وهذا قد يجعلني شخصاً أفضل.

معظمنا يحب بشروط. كيف يمكننا أن نتعلم الحب بلا شروط؟ بنفس الطريقة التي نتعلم بها فعل أي شيء، من خلال الممارسة. يستثمر الناس مبالغ طائلة من حياتهم في تعلم القيام بكل أنواع الأشياء الرائعة، مثل العزف على آلة موسيقية، وإتقان رياضة ما، وإتقان مهنة ما. إذا أدركنا أن ما نريده حقًا هو أن نحب، فسوف نستثمر المزيد من اهتمامنا الثمين في تعلم الحب. لنقم بذلك!

أستمتع بهذه اللحظة

جرب أن تحب هذه اللحظة الآن. قدّر كم هي الحياة معجزة. أدرك كم هو أمر استثنائي أن تكون على قيد الحياة في هذا العالم الرائع. حب حقيقة وجودك. تُستخدم كلمة "*present*" للدلالة على كل من "الآن" و"الهدية". أدرك كم هو الآن هدية ثمينة. لديك فرصة واحدة لتقدير الصفات الفريدة لكل لحظة من حياتك، وبعد ذلك ستختفي.

لا يمكن أن تحب كل لحظة حباً غير مشروط إلا إذا تقبلت أنه سيكون هناك دائماً أشياء تحبها وأشياء لا تحبها في كل موقف. إذا كان هناك أي شيء في هذه اللحظة تجده غير مقبول، فتقبل عدم

تقبلك لها وأحب اللحظة على أي حال. ابحث عن الخير فيما يبدو سيئاً. هذا سهل لأن مجرد وجود هذه اللحظة أمر جيد للغاية. ما تجربه جيد وسيء، لكن مجرد اختبارك لأي شيء على الإطلاق هو أمر جيد بلا قيد أو شرط.

إن حب الحياة يشبه العلاقة الرومانسية. عندما نقع في حب شخص ما لأول مرة، يكون حبيبنا مصدراً غامضاً للمفاجآت السارة وتكون العلاقة مليئة بالسحر. لكن بمرور الوقت نفقد رؤية الكائن الغامض الذي وقعنا في حبه ونبدأ في الارتباط بفكرة ثابتة عن هوية من نحب. وماذا يحدث؟ نتوقف عن الحب. يتوقف السحر. يزول الشعور الجيد. الأمر نفسه ينطبق على الحياة. عندما نظن أننا نعرف ما هي الحياة، فإنها تموت فجأة. نتوقف عن حب الحياة ونكتفي بالمضي قدماً فيها. إن السبيل لمنع الحياة من أن تصبح روتينية هو أن نتذكر كم هي اللحظة غامضة. سيحافظ هذا على علاقتك المحبّة بالحياة.

حب صديق

والآن جرب أن تحب الآخرين. يكمن سر حب الآخرين في تغيير الطريقة التي ترى بها نفسك، لأن ما تشعر به تجاه نفسك تشعر به أيضاً تجاه الآخرين. إذا كنت ترى نفسك كفرد منعزل وأناني، فسترى الآخرين كأفراد منعزلين وأنانيين، وعندها ستجد صعوبة بالغة في حبهم. لكن إذا رأيت نفسك كحالم الحياة الذي يظهر كشخص معين، فسوف ترى الآخرين أيضًا كتعبيرات عن طبيعتنا الجوهرية المشتركة وستقع في حبهم. وكلما أدركت أنك تمثل كل شخص، كلما حاولت أن ترى الأمور من وجهة نظر الجميع. كلما ازداد شعورك بذلك الإحساس العميق بالتواصل الذي نجسده جسديًا عندما نتعانق.

يقترح سقراط أن طريقة تعلم الحب هي أن نبدأ بحب من هم قريبون منا ثم نوسع هذا ليشمل حب الجميع. تذكر شخصًا تجد من السهل أن تحبه. استكشف المشاعر والأفكار التي تنشأ مع هذا الحب. انظر كيف أن فرحهم هو فرحك، وألمهم هو ألمك، لأنك قريب جدًا منهم لدرجة أنك ترى بشكل حدسي من خلال حجاب الانفصال. والآن اسأل نفسك، "هل هذا الحب مشروط أم غير مشروط؟" بينما نرتبط بالذات المنفصلة، فإن حبنا يأتي حتماً بشروط، لأننا نسعى لخدمة مصالح الفرد المنعزل الذي نفترض أننا عليه. ندّعي أننا نحب شخصاً ما، ولكن إذا توقف عن حبنا، نتوقف نحن عن حبه. نعتقد أننا مخلصون، ولكن إذا لم يكن شخص ما مخلصًا لنا، فلن نكون مخلصين له. كيف سيكون شعور الحب بلا شروط؟

حب الغريب

والآن، تذكر شخصاً تشعر تجاهه باللامبالاة، واحتضنه أيضاً بمحبة. لن تشعر بنفس روابط التعلق التي تأتي مع الحب الشخصي، ولكنك ستحتضنه بتعاطف عالمي من خلال إدراك أنه أيضًا تعبير عن طبيعتنا الجوهرية المشتركة. إن حقيقة أنك لا تعرف هذا الشخص حقاً، أو أنك قد لا تحبه إذا عرفته، أمر غير ذي صلة. الحب لا علاقة له بمعرفة شخص ما أو الإعجاب به. أحب هذا الغريب بلا قيد أو شرط لمجرد أنه موجود كشخصية أخرى في حلم الحياة الذي نحلم به جميعًا.

محبة الأعداء

إذا كنت لا تمانع في حب شخص غريب، فجرب شيئًا أكثر طموحًا وجرّب حب "العدو" دون قيد أو شرط، كما يشجعنا يسوع على فعله في هذا المقطع الرائع من إنجيل متى:

سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: ‹أحبِبْ صَاحِبَكَ، وَأبغِضْ عَدُوَّكَ.› أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَصَلُّوا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. فَتَكُونُوا بِذَلِكَ أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ. لِأَنَّ اللهَ يَجْعَلُ الشَّمْسَ تُشْرِقُ عَلَى الخُطَاةِ وَالصَّالِحِينَ. وَيُرسِلُ المَطَرَ إِلَى الأبْرَارِ وَالأشْرَارِ.

سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: ‹العَينُ بِالعَيْنِ، وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ.› أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ: لَا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ. بَلْ إنْ لَطَمَكَ أَحَدٌ عَلَى خَدِّكَ الأيمَنِ، فَقَدِّمْ لَهُ الخَدَّ الآخَرَ أَيْضًا. وَإنْ أرَادَ أَحَدٌ أنْ يُحَاكِمَكَ لِيَأْخُذَ قَمِيصَكَ، فَدَعْهُ يَأْخُذُ مِعطَفَكَ أَيْضًا. وَإنْ أجبَرَكَ أَحَدٌ عَلَى السَّيرِ مَعَهُ مِيلًا وَاحِدًا، فَامشِ مَعَهُ مِيلَينِ. وَإنْ طَلَبَ مِنْكَ أَحَدٌ شَيْئًا، فَأَعْطِهِ إيَّاهُ. وَلَا تَرْفُضْ إقرَاضَ مَنْ يَطْلُبُ الاقتِرَاضَ مِنْكَ.

بهذه الروح الكريمة غير المشروطة، تذكر شخصًا تجد صعوبة في حبه، واحتضنه بوعي وتعاطف. انظر إلى ما وراء شخصياتهم غير المحبوبة، إلى طبيعتهم الجوهرية التي لا تنفصل عن طبيعتك. أدرك أن لديهم قصة حياة قادتهم إلى أن يكونوا على ما هم عليه. انظر إليهم كجزء من "نحن" عالقين في حالة من الانفصال لدرجة أنهم قادرون على التصرف بطرق تجدها مسيئة. أدرك أنهم إذا استطاعوا الاستيقاظ فسوف يتحولون على الفور. تواصل معهم بتفهم ومسامحة، لأن أولئك الذين ضلوا الطريق لدرجة أنهم يتسببون في معاناة الآخرين هم أكثر من يحتاجون إلى الحب.

حب الذات

إذا استطعت أن تحب أعداءك، رغم أنك لا تحبهم، فقد تتمكن حتى من أن تحب تلك الجوانب من نفسك التي لا تحبها. بالنسبة للكثيرين منا، هذا هو التحدي الأصعب. إننا ننتقد أنفسنا بشدة لدرجة أننا نشل أنفسنا بكراهية الذات، مما يجعل التغيير أكثر صعوبة في الواقع. جرب أسلوباً مختلفاً. كن صبوراً ومتسامحاً مع نفسك. تقبّل أنك قد تضيع أحيانًا في حالة الانفصال. جميعنا نستيقظ، وهذا يعني أننا جميعاً نائمون بدرجات متفاوتة. ليس من السهل أن تكون إنساناً. خفف عن نفسك قليلاً! أحب نفسك على أي حال.

لا يمكن تحقيق حب الذات الحقيقي إلا من خلال معرفة الذات. إذا أصبحت واعياً بطبيعتك الجوهرية، فستكون قادراً على أن تحب طبيعتك الظاهرة حباً غير مشروط، بكل عيوبها ونقائصها. جرب هذا. تجاوز طبيعتك الشخصية تمامًا، واحتضن الجوانب الجيدة والسيئة في نفسك بوعي تعاطفي.

إن ذاتك الشخصية تشبه طفلاً غير ناضج. أحيانًا تكون أنانيَّة وميالَّة لنوبات الغضب، وتريد ما لا تستطيع الحصول عليه وما ليس جيدًا لها على أي حال، وتفقد بسهولة وسريعة الشكوى. ومع ذلك، فهي جميلة بشكل رائع. اعتني بنفسك كوالدٍ محب. الآباء السيئون ينتقدون باستمرار ويحبون بشروط. الآباء الجيدون ينتقدون عند الضرورة، لكنهم يحبون دائماً حباً غير مشروط مهما قال الطفل أو فعل. أحب نفسك بلا شروط. هذا ليس ترفاً. إنها الأرضية التي يمكنك من خلالها أن تنتقد بتعاطف تلك الأجزاء من نفسك التي تحتاج إلى التغيير.

العيش في حب

عندما نستيقظ على الوحدة ونختبر الحب العظيم، فإننا نعبر بشكل طبيعي عن هذا الحب في حياتنا. نشعر بدافع قوي لبذل كل ما في وسعنا للتخفيف من معاناتنا الجماعية وتعزيز رفاهيتنا المجتمعية. عبّر موهانداس غاندي عن ذلك بشكل جميل عندما كتب:

> عندما يذوب الإنسان في الله، فإنه يجد نفسه على الفور في خدمة كل ما هو حي. يصبح ذلك مصدر سعادته وترفيهه. إنه شخص جديد لا يكلّ في خدمة خليقة الله.

كيف نؤثر على الآخرين يعتمد على ما إذا كنا أكثر نعاساً أو أكثر يقظة نسبياً من أولئك الذين حولنا. ما يجب أن نقدمه لبعضنا البعض حقاً هو حالتنا الوجودية. ما نقوله ونفعله أمر ثانوي. إننا نغير الآخرين دون قصد طوال الوقت بمجرد اختلافنا عنهم. عندما يكون هذا الاختلاف هو أننا نحب بلا شروط، يمكننا أن نكون حافزاً للآخرين للاستيقاظ. عندما نحب، يمكننا أن نكون عوناً حقيقياً للآخرين، لأن ما يريده ويحتاجه الجميع حقاً هو الحب، سواء أدركوا ذلك أم لا. لا يمكننا إجبار الناس على قبول حبنا. هذا ليس من شأننا. لكن إذا بقينا نحبهم رغم الرفض، فسيكون لديهم فرصة للدخول في حبنا إذا رغبوا في ذلك. كيف ستتغير حياتك إذا قررت أن تعيش في حب مع الجميع؟

لعبة الحياة

عندما نولد لا نأتي مع دليل تعليمات، لذلك لا نعرف الغرض من الحياة. يبدو أن الهدف هو تحديد الهدف! كأطفال، يصبح من الواضح أن الهدف هو الاستمتاع بالحياة وحبها. لكن عندما نصبح بالغين ندرك أن هذا ليس بالأمر السهل، لأن بعض جوانب الحياة ليست ممتعة للغاية. ثم نبدأ في عيش حياتنا كما لو أن الهدف هو تغيير وضعنا ليصبح أكثر متعة. لكننا ننتهي بالانشغال الشديد بمحاولة تحسين حياتنا لدرجة أننا ننسى أن نقدرها كما هي. فمن على حق؟ الأطفال أم البالغين؟ كلاهما على حق. الهدف هو التقدير والتحسين على حد سواء.

الحياة أشبه بلعبة. عندما نلعب لعبة ما، يكون لدينا هدفان مختلفان لكنهما متكاملان. السبب الحقيقي وراء لعبنا هو الاستمتاع. لكن داخل اللعبة، يتم تقديم هدف معين يجب أن نسعى لتحقيقه، وعدم الانخراط بجدية كافية مع هذا الهدف يمكن أن يقوض متعة اللعب. تتضمن عملية اللعبة التغلب على العقبات التي تمنعنا من تحقيق هذا الهدف. على الرغم من أن نجاحاتنا وإخفاقاتنا قد تؤثر مؤقتًا على مدى استمتاعنا باللعبة، إلا أنه لا يزال بإمكاننا الاستمتاع باللعب، حتى عندما لا تسير الأمور كما نريد. لأنه لو كانت اللعبة سهلة دائماً لما كانت هناك لعبة أصلاً.

لعبة الحياة لها أيضاً هدفان متكاملان. الهدف الأساسي هو الاستمتاع باللعب. نحن حالمو الحياة الذين يحلمون حلم الحياة للاستمتاع بالتجربة، وهو ما يمكننا فعله من خلال الاستيقاظ على الوحدة والحب العظيم. لكن كشخص يعيش حلم الحياة، فإن الهدف هو التغلب على العقبات التي تمنعنا من الاستمتاع بالحياة، من خلال تخفيف المعاناة، معاناتنا ومعاناة الآخرين، حتى نتمكن جميعًا من حب الحياة. لأن الحياة لعبة لا يمكننا الفوز بها إلا معًا.

الحياة لعبة يقظة، وطريقة فوزنا بسيطة بشكل ملحوظ. نعيش حياتنا العادية، كما كنا نفعل دائماً،

لكننا نختار أن نعيش بوعي. ندرك أن حتى أكثر الأحداث التي تبدو تافهة هي فرص للاستمتاع باللحظة ومحبة الآخرين. نحتضن الغريب الذي يخدمنا في المتجر المحلي بمحبة كبيرة، لأننا لم نعد نراه مجرد أمين صندوق، بل نعرف أنه هو أيضاً اللغز الذي تجلى. وعندما نحب الآخرين، قد نساعدهم على الاستيقاظ وأن يصبحوا أكثر حباً. وبهذه الطريقة يمكننا أن ننشر موجات من اللطف أينما ذهبنا.

نستيقظ من خلال التعامل مع وجودنا اليومي كممارسة روحية مستمرة. ليس بطريقة جدية للغاية، ولكن مثل لعبة نستمتع بلعبها. لكن الأمر ينطوي أيضاً على جانب جاد. ستقدم لنا الحياة بطبيعة الحال التحديات التي نحتاجها لنصبح أكثر وعياً، وبعضها قد يكون من الصعب مواجهته، وأفضل طريقة لتجنب التعرض للدفع هي الاستمرار في الحركة.

نميل إلى الاعتقاد بأنه عندما نشعر بالسوء نحتاج إلى الاستيقاظ، وعندما نشعر بالرضا يكون كل شيء على ما يرام. لكن في الواقع، غالباً ما نصبح أكثر غفلة عندما نستمتع بالحياة. عندما تكون الحياة سيئة، نشعر بالدافع للقيام بشيء حيال ذلك، وقد نخطو خطوة للأمام في رحلة صحوتنا. لكن عندما نشعر بالرضا، يكون من المغري أن نستقر في حالة من اللاوعي المريح. علينا أن ننتبه إلى الاستيقاظ طوال الوقت، وليس فقط عندما نُجبر على ذلك لأننا نشعر بالسوء.

بمجرد أن نفهم أن لعبة الحياة تدور حول الاستيقاظ وأن ما نريده حقًا هو أن نحب هذه اللحظة، سنتوقف عن تشتيت أنفسنا بالسعي الدؤوب وراء الرضا العابر، من خلال تكديس الممتلكات المادية، واكتساب المكانة الاجتماعية، وتحقيق القوة الشخصية. سنتوقف عن تخدير ألم الانفصال بالتلفزيون والمعلومات التافهة. بدلاً من ذلك، سنولي اهتمامنا الثمين لعملية الاستيقاظ. سنتوقف عن النظر إلى الحياة الواعية كفكرة جذابة وسنجعلها حقيقة واقعة. سنتوقف عن التسويف وسنبدأ العمل.

معظمنا يختار النوم، ولكن إذا أردت الاستيقاظ يمكنك ذلك. ومع ذلك الصحوة هي إمكانية وليست ضرورة حتمية. إنها ليست شيئًا أمرتك به سلطة خارجية يجب عليك طاعته. هذا شيء يمكنك فعله إذا أردت. الأمر عائد إليك. وسر الاستيقاظ بسيط. إذا كنت ترغب في الاستيقاظ أكثر مما لا ترغب في الاستيقاظ، فسوف تستيقظ.

حياتك هي فرصة لتصبح فرداً فريداً يشارك بوعي في خلق هذا الحلم المذهل الذي نسميه "الحياة". ليس من السهل أن تكون أنت، ولكن لا أحد يستطيع أن يفعل ذلك بشكل أفضل. ماذا سيحدث لو توقفت عن التردد وأدركت إمكانات الشخص الذي أنت عليه؟ لأنه لكي نحقق الدافع الأساسي للحياة من خلال الاستيقاظ الجماعي لطبيعتنا الجوهرية المشتركة، والتي تمثلها أسطورياً مجيء المسيح، يحتاج كل واحد منا إلى الاستيقاظ وتقديم مساهمته المميزة في حلم الحياة المتطور. يحث الحاخام نحمان، المتصوف اليهودي من براتزلاو، على ما يلي:

> ينبغي على كل فرد أن يعلم ويتذكر أن حالته فريدة في العالم، وأنه لم يعش أحد قط وهو مطابق له تماماً؛ لأنه لو كان هناك أي شخص مطابق له، لما كانت هناك حاجة لوجوده. في الواقع، كل شخص هو شيء جديد في العالم، وعليه أن يكمل فرديته، لأن مجيء المسيح يتأخر بسبب عدم اكتمالها.

قبل وفاته بفترة وجيزة، سأل أحد الصحفيين الكاتب المسرحي جورج برنارد شو: "إذا كان بإمكانك أن تعيش حياتك مرة أخرى وأن تكون أي شخصية تاريخية، فمن ستختار؟" أجاب شو: "أود أن أختار أن أكون الرجل الذي كان بإمكان جورج برنارد شو أن يكونه، لكنه لم يكنه أبداً". ماذا سيحدث لو قررت أن تصبح الشخص الذي يمكنك أن تكونه الآن وأن تلعب دورك بجرأة في قصة الحياة المتشعبة؟ ألن يكون من الممتع معرفة ذلك؟

الفصل الحادي عشر الروحانية بدون دين

إن الاحترام الأعمى للسلطة هو أكبر عدو للحقيقة.

ألبرت أينشتاين

إننا نعيش في أوقات استثنائية. يشهد الغرب حالياً نهضة غنوصية غير مسبوقة. لم يسبق أن كانت هناك مثل هذه الحرية في الفكر والتعبير. وقد أدى ذلك في السنوات الأخيرة إلى ظهور طفرة في الأشكال البديلة للروحانية. لا تزال العديد من هذه الأشكال الجديدة من الروحانية حرفية بطرق مختلفة. في بعض الأحيان، نستبدل ببساطة الخرافات القديمة التي لا أساس لها بخرافات جديدة لا أساس لها أيضاً. لكن هذا لا ينبغي أن يحجب عنا الصحوة الحقيقية التي تحدث حالياً. الدين في تراجع، لكن الروحانية مزدهرة. إن النمو الأخير للأصولية المحافظة ليس إلا رد فعل يائس على وجود العديد من الأفكار المنافسة للروحانية في العالم، الأمر الذي دمر احتكار الطوائف الدينية القديمة.

ببطء ولكن بثبات، نتخلص من عبء التفسير الحرفي ونحرر الروحانية من الهياكل الاستبدادية التي خنقتها لقرون. هذا يُؤدي إلى ظهور ظاهرة جديدة. الروحانية بدون دين. نقترح أن هذا التطور الفريد تاريخياً يرسم الطريق للمضي قدماً في مجال الروحانية. لخلق شكل من أشكال الروحانية التي يمكن أن تساعدنا حقًا على الاستيقاظ الجماعي في القرن الحادي والعشرين، نحتاج إلى تحرير الغنوصية من الدين تمامًا ومواءمتها مع العلم. في النهاية، كلمة عالم هي مجرد النسخة اللاتينية من الكلمة اليونانية "غنوصي"، وكلاهما يعني "العارف".

منذ أن توقفنا عن تصديق ما كتب في الكتب الدينية القديمة المشكوك فيها بشكل أعمى، واعتمدنا النهج العلمي المتمثل في إيلاء اهتمام دقيق لتجربتنا الفعلية للعالم، ازداد فهمنا للمأزق الإنساني بشكل لا يصدق. لقد كانت الانتصارات العظيمة للعلم هي التي قوضت يقينياتنا الدينية القديمة. إن التحالف بين الغنوصية والعلم من شأنه أن يخلق قوة هائلة للتنوير ويساعدنا في النهاية على رفض الدين الحرفي بشكل نهائي. يمكن أن يساعدنا ذلك في تصور شكل علماني من الروحانية، والذي، مثل العلم الأصيل، يكون منفتحًا ومميزًا، ويستند إلى تجربتنا الفعلية للحياة، وليس إلى سلطة خارجية، ويقدم الاستيقاظ على أنه أمر طبيعي تمامًا.

إذن، ما هو مستقبل الدين؟ الدين، مثل كل شيء في القطبية، له جوانب إيجابية وسلبية. لذا، علينا ببساطة الاحتفاظ بالجيد والتخلص من السيئ. للدين جوانب جذابة عديدة، مثل طقوسه الجميلة الكثيرة، والتي سيكون من المؤسف جداً فقدانها بالكامل. نقترح الحفاظ على التقاليد الدينية حية كشكل من أشكال الحنين الثقافي، كما نفعل مع الموسيقى الشعبية والملابس التقليدية. هذا يحدث بالفعل في مهرجانات مثل عيد الميلاد، الذي يستمتع به ملايين غير المؤمنين. يمكننا أيضاً تكريم كتبنا المقدسة للدور الذي لعبته في تاريخ البشرية، مع إدراكنا في الوقت نفسه أنها تحف أثرية قديمة ذات صلة محدودة بعالمنا الحديث. لا يوجد سبب للتخلي عن الجوانب الإيجابية للدين، لأن الدين لا يمثل مشكلة إلا إذا حاصرنا في الماضي ومنعنا من التطور أكثر.

العلم الغنوصي والعلم الحرفي

قد يبدو العلم والغنوصية حليفين غير محتملين، لأن العلم يُعتقد عمومًا أنه نقيض الغنوصية. يفترض أن العلم يقترح فلسفة مادية، تعلم أن المادة هي كل ما هو موجود. لكن لا شيء أبعد عن الحقيقة من ذلك. لم يكن أي من الفيزيائيين العظماء الذين شكلوا فهمنا العلمي الحديث للعالم - مثل نيوتن، وآينشتاين، وهايزنبرغ، وشرودنغر، ودي برولي، وجينز، وبلانك، وباولي، وإيدنغتون - ماديين. بل إن الأمر عكس ذلك تماما. كانوا يدّعون أنهم متصوفون أو غنوصيون.

لقد توصلت الأبحاث العلمية إلى أنه من غير المجدي ببساطة تصور الكون على أنه آلة عملاقة مصنوعة من المادة. على العكس من ذلك، فقد اكتشف العلم أن أفضل طريقة لفهم الكون هي اعتباره فكرة عملاقة تنشأ داخل الوعي. كتب السير جيمس جينز، الذي قدم مساهمات مهمة في النظرية الديناميكية للغازات، والنظرية الرياضية للكهرومغناطيسية، وتطور النجوم الغازية، وطبيعة السدم، وما إلى ذلك:

> يوجد اليوم قدر كبير من الاتفاق، والذي يقترب من الإجماع تقريبًا على الجانب الفيزيائي من العلوم، على أن تيار المعرفة يتجه نحو واقع غير ميكانيكي: بدأ الكون يبدو أشبه بفكرة عظيمة منه بآلة عظيمة. لم يعد العقل يظهر كدخيل عرضي في عالم المادة؛ بل بدأنا نشك في أنه ينبغي علينا بالأحرى أن نشيد به باعتباره خالق وحاكم عالم المادة - ليس بالطبع عقولنا الفردية، ولكن العقل الذي توجد فيه الذرات التي نمت منها عقولنا الفردية كأفكار.

أعلن السير آرثر إدينغتون، الذي قدم مساهمات مهمة في الفيزياء النظرية للأنظمة النجمية وكان من أبرز دعاة النسبية:

> أعتقد أن فكرة العقل الكوني أو اللوغوس ستكون استنتاجاً معقولاً إلى حد ما من الوضع الحالي للنظرية العلمية.
>
> أؤكد أن طبيعة كل الواقع روحية، وليست مادية ولا ثنائية بين المادة والروح. إن فرضية أن طبيعتها يمكن أن تكون، بأي درجة، مادية لا تدخل في حساباتي، لأنه كما نفهم الآن المادة، فإن الجمع بين الصفة "مادي" والاسم "طبيعة" لا معنى له.

يدّعي إرفين شرودنغر، الحائز على جائزة نوبل والذي أصبح عمله جوهر ميكانيكا الكم الحديثة، ما يلي:

> عدد العقول الإجمالي هو عقل واحد فقط. أجرؤ على تسميته غير قابل للتدمير لأنه يمتلك جدولًا زمنيًا غريبًا، وهو أن العقل دائمًا في اللحظة الحالية.
>
> نحن لا ننتمي إلى هذا العالم المادي الذي يبنيه العلم لنا. لسنا داخله؛ نحن خارجه. نحن مجرد متفرجين. إن السبب الذي يجعلنا نعتقد أننا موجودون فيها، وأننا ننتمي إلى الصورة، هو أن أجسادنا موجودة في الصورة.

يرفض العلماء العظماء المذهب المادي لأنه فلسفة معيبة. إنه رؤية بلا روح لعالم خارجي بلا عالم داخلي. هذا لا معنى له على الإطلاق. بالطبع، هناك ما هو أكثر مما نستطيع إدراكه وقياسه. إن هذه الفكرة التي نفكر فيها الآن، على سبيل المثال، ليس لها وزن ولا مكان ولا أي صفات ملموسة. وكما

يقول إيدينغتون مازحاً:

> إذا كان أولئك الذين يعتقدون أنه يجب أن يكون هناك أساس مادي لكل شيء يعتقدون أن هذه الآراء الصوفية هي هراء، فقد نسأل: ما هو إذن الأساس المادي للهراء؟

يصف العلم العالم من منظور الرياضيات، لكن الأرقام ليس لها وجود مادي. إن "القوانين" العلمية هي صيغ، على الرغم من أنها تُعلم الواقع المادي، إلا أنها لا تملك وجوداً مادياً في حد ذاتها. يمكنك البحث في الكون المادي إلى الأبد، لكنك لن تجد أبدًا "قانونًا واحدًا من قوانين الطبيعة". إنها ليست أشياء داخل العالم المادي. إنها المعلومات التي تشكل العالم المادي.

اقترح العالم روبرت شيلدريك أن نتوقف عن التفكير في العلم على أنه يكشف "قوانين الطبيعة"، وهو تشبيه مأخوذ من الفكرة المسيحية عن إله خالق يملي القوانين التي تحكم الكون. ينبغي لنا بدلاً من ذلك أن نفكر في العلم على أنه يكشف "عادات الطبيعة". عندما نكتشف ما يسمى "قوانين الطبيعة" التي تقوم عليها الحقيقة المادية، فإننا نستكشف العادات البدائية للوعي التي تحدد طبيعة حلم الحياة.

يزعم الماديون أنه بما أن المادة هي كل ما هو موجود، فإن الوعي هو نوع من الآثار الجانبية للدماغ. لكن الحقيقة هي أنه حتى لو عرف شخص ما ما تفعله كل خلية عصبية في دماغك، فلن يمنحه ذلك إمكانية الوصول إلى أي من أفكارك. وذلك لأن الأفكار لا وجود لها في العالم. إنها ليست أشياء . إنها ليست مصنوعة من المادة. وهذا يترك الماديين أمام ثنائية أساسية بين العقل والمادة لا يمكنهم تفسيرها ولا تجنبها. وهذا يقوض تماماً ادعاءهم بأن المادة هي كل ما هو موجود.

لكن الغنوصية قادرة على حل ثنائية العقل والمادة بسهولة بالغة. إذا اعتبرنا الوعي، بدلاً من المادة، أساس الواقع، فإن كل شيء موجود كتجربة داخل الوعي. بعض تجاربنا هي أفكار ومشاعر خاصة. أما البعض الآخر فهو تجارب حسية لعالمنا المشترك. هناك قطبية أساسية هنا، ولكن مثل جميع القطبيات، فهي تعبير عن وحدة كامنة. إن تجاربنا العقلية والحسية مختلفة نوعياً، لكنها تجارب موجودة في الوعي. والوعي يختلف من الناحية المفاهيمية فقط عما يدركه، لذا فإن هذا التناقض يتحول أيضاً إلى وحدة جوهرية.

يُفترض عموماً أن العلم يمنحنا فهماً واقعياً للعالم. لكن العلم في الواقع قد قوّض نظرتنا المنطقية للواقع، واستبدلها بتفسير غريب ورائع للغاية للكون. يخبرنا المنطق السليم أن الأشياء المحيطة بنا، مثل هذا الكتاب الذي تحمله، هي أشياء صلبة. لقد اكتشف العلم أن "الأجسام الصلبة" هي في الواقع في الغالب فراغ وجزيئات كمومية غامضة. لا توجد أفكار أغرب من ذلك!

يشير كل من العلماء والغنوصيين إلى أن أفكارنا المنطقية غير كافية، ويقترحون طرقًا مختلفة جذريًا لرؤية الأشياء، والتي تبدو في البداية غريبة للغاية. عندما اقترح غاليليو أن الأرض تدور حول الشمس، تعرض للسخرية. ومع ذلك، على الرغم من أن هذه الفكرة أكثر صعوبة في الفهم من فكرة أن الشمس تدور حول الأرض، إلا أنها في الواقع تعطينا فهمًا أبسط وأكثر أناقة للكون. وبالمثل، على الرغم من أن الفكرة الغنوصية القائلة بأن العالم موجود في الوعي قد يكون من الصعب فهمها وتتعارض مع الحس السليم، إلا أنها في الواقع تعطينا فهمًا أبسط وأكثر أناقة للواقع.

تتناغم رؤى العلم مع رؤى الغنوصية. يقول الغنوصيون إن الزمان والمكان نوع من الوهم. لقد أثبت العلم صحة هذا، لأنه إذا استطعنا التحرك بسرعة الضوء، فإن هذه الأبعاد الأساسية ستتوقف عن الوجود. وكما يعلم الغنوصيون أنه من منظور الوعي الذاتي توجد وحدة وأبدية، فقد وجد العلم أنه من وجهة نظر الضوء لا يوجد مكان ولا زمان. لقد واجه علم الفيزياء مفارقة أن الضوء يبدو أحيانًا مكونًا من جسيمات وأحيانًا أخرى على أنه موجة. وهذا يشبه الملاحظة الغنوصية التي مفادها أنه من منظور "الشيء" يكون كل فرد "جسيمًا" منفصلًا من الوعي، ولكن من منظور "الأنا" يكون الأفراد مثل الأمواج في محيط واحد من الوعي.

العلم والغنوصية حليفان طبيعيان. يُساء فهمهما عادةً على أنهما أعداء لأن العلم قد انحدر إلى العلم الحرفي، الذي يبشر بالمادية الفجة. لقد أصبح العلم تقليداً استبدادياً، له عقائده الخاصة، وكهنته العظام، وهياكله الوظيفية، ومصالحه الخاصة. يدّعي أصحاب التفسير الحرفي العلمي، مثل أصحاب التفسير الحرفي الديني، أن آراءهم هي الحقيقة المطلقة. لكن، كما رأينا، لم يكن العلماء العظماء ماديين متعصبين. لم يكونوا متعصبين على الإطلاق. ما مكنهم من تغيير فهمنا للعالم هو قدرتهم على التشكيك في الآراء والتفكير السائد بطرق جديدة جذرياً. سمة غنوصية بامتياز.

يريد العلماء الحرفيون أن نصدق أن العلم قد تقدم الآن إلى حد أننا فهمنا الكون إلى حد كبير. مع بعض التقدم الإضافي، سيتم حل جميع الألغاز. بالنسبة للعلماء الغنوصيين، هذا أمر جنوني بكل بساطة. الوجود لغز مطلق، وفهمنا العلمي له لا يزال بدائياً. كتب الحائز على جائزة نوبل، فولفغانغ هايزنبرغ، الذي كان أحد الآباء المؤسسين لفيزياء الكم:

> أنا شخصياً لم أعد أفهم ما نعنيه عندما نقول إننا فهمنا الطبيعة.

ويتفق مع ذلك ألبرت أينشتاين، الحائز على جائزة نوبل، والذي ربما يكون المفكر العلمي الأكثر احتراماً على مر العصور:

> إن العقل البشري غير قادر على استيعاب الكون. نحن أشبه بطفل صغير يدخل مكتبة ضخمة. الجدران مغطاة حتى السقف بالكتب المكتوبة بلغات مختلفة. يدرك الطفل أن شخصاً ما لا بد أنه كتب هذه الكتب. لا يعرف من أو كيف. إنه لا يفهم اللغات التي كُتبت بها. لكن الطفل يلاحظ وجود خطة محددة في ترتيب الكتب. أمر غامض لا يفهمه، ولكنه يشك فيه بشكل مبهم.

إن السبيل الأمثل للمضي قدماً، كما نقترح، هو اتباع مثال العلماء العظماء، من خلال رفض التفسير الحرفي الديني والعلمي، واحتضان الروحانية الغنوصية والعلم الأصيل، اللذين يكملان بعضهما البعض بشكل مثالي. يتطلب العلم فحصاً دقيقاً لتجربتنا الموضوعية المشتركة عبر الزمن. تتطلب الغنوصية فحصًا دقيقًا لتجربتنا الذاتية للحظة الراهنة. العلم هو البحث في الواقع من منظور "الشيء" الموضوع. الغنوصية هي استكشاف الواقع من منظور الذات. العلم هو دراسة طبيعة حلم الحياة. الغنوصية هي فن الاستيقاظ.

بحسب أينشتاين، ينبغي أن يكون العلم مدفوعاً بحالة اليقظة التي يسميها "الشعور الديني الكوني":

> إن أهم وظيفة للعلم هي إيقاظ الشعور الديني الكوني والحفاظ عليه حياً. من الصعب جداً شرح هذا الشعور لأي شخص يفتقر إليه تماماً. يشعر الفرد بفراغ الرغبات والأهداف البشرية، وبالسمو والنظام الرائع الذي يتجلى في الطبيعة وفي عالم الفكر. ينظر إلى الوجود الفردي كنوع من السجن ويريد أن يختبر الكون ككل واحد ذي معنى.

> أؤكد أن الشعور الديني الكوني هو أقوى وأسمى دافع للبحث العلمي. قال أحد المعاصرين، وهو محق في ذلك، إنه في عصرنا المادي هذا، فإن العاملين العلميين الجادين هم الأشخاص الوحيدون المتدينون بعمق.

يؤكد فولفغانغ باولي، الحائز على جائزة نوبل، وهو فيزيائي فاق تألقه حتى تألق أينشتاين:

> أعتبر أن الطموح المتمثل في التغلب على المتناقضات، بما في ذلك أيضًا التوليف الذي يشمل كلًا من الفهم العقلاني والتجربة الصوفية للوحدة، هو الأسطورة المعلنة أو غير المعلنة لعصرنا الحالي.

اليقين يفرقنا والشك يوحدنا

لخلق روحانية علمانية للقرن الحادي والعشرين، نحتاج إلى تبني الفرضية الأساسية للعلم الأصيل، وهي أن جميع نظرياتنا حول الحياة هي فرضيات وليست حقائق. لا توجد معرفة مفاهيمية مطلقة. لا توجد سوى قصص نرويها لنفهم تجربتنا، ولا توجد قصة واسعة بما يكفي لتجسيد عظمة الوجود اللامحدودة.

هذا لا يعني أننا بحاجة إلى تبني النظرية "النسبية" التي تقول إن جميع القصص متساوية. مجرد كون جميع أوصاف الواقع غير كافية لا يجعلها جميعها غير كافية بنفس القدر. من الواضح أن بعض القصص أفضل من غيرها. إن قولك إنك تقرأ كتاباً في الوقت الحالي لا يفي بحقيقة هذه

اللحظة، فهي غنية للغاية وبالتالي لا يمكن وصفها في نهاية المطاف. لكن القول بأنك تقرأ كتاباً هو بالتأكيد أكثر صدقاً من القول بأنك تأكل فيلاً. لا توجد قصة واحدة من القصص التي نرويها لمساعدتنا على خوض غمار الحياة هي الحقيقة، لكن بعضها أقرب إلى أن تكون قصصاً حقيقية من غيرها.

إذا أدركنا هذا، فيمكننا جميعًا على الأقل الاتفاق على شيء واحد. الحياة لغز، وفهمنا لها بالضرورة يكون دائماً مؤقتاً وجزئياً. لا شيء مؤكد. الجميع يقدمون أفضل تخميناتهم. إذا أقررنا بذلك، فسنتمكن من اللعب بالأفكار، لا أن نتجادل حولها. يمكننا أن نتبادل أفكارنا وحدسنا مع بعضنا البعض لنرى أيها يصمد أمام التدقيق، ويبدو أجمل، ويعمل بشكل أفضل، انطلاقاً من نقطة اتفاق عالمية.

إن قصة الغنوصية ليست سوى قصة واحدة محتملة. لكن، على عكس القصص الأخرى، فهي لا تدعي أنها الحقيقة المطلقة، لأنها تعلم أن الحقيقة لا يمكن حصرها بالمفاهيم. إلا أن الغنوصية تدعي أنها تكشف عن شيء بالغ الأهمية حول الواقع تتجاهله تلك القصص التي تتركنا فاقدين للوعي في حلم الحياة. إنها طريقة تفكير تتجاوز المفاهيم إلى معرفة تجريبية لطبيعتنا الجوهرية المشتركة. لكن الفلسفة الغنوصية لا تزال تُعبّر عنها بالمفاهيم، وبالتالي فهي مجرد محاولة لتوضيح فن اليقظة، وليست عقيدة مطلقة. من منظور الغنوصية، نحتاج إلى الانخراط في سعي مستمر لخلق طرق جديدة للتفكير تكشف المزيد عن الواقع.

نحن بحاجة إلى روايات نعيش وفقها. بدونها سنكون مثل المصابين بفقدان الذاكرة أو الأطفال حديثي الولادة، غير قادرين على إدارة حياتنا. لسوء الحظ، ينغمس معظمنا في قصصنا لدرجة أننا نخلط بينها وبين المعرفة الأكيدة. نحن نتعامل مع قصصنا، التي هي في أحسن الأحوال صحيحة نسبياً، على أنها الحقيقة المطلقة. نحن مقتنعون تماماً بأننا نعرف كل الإجابات، لدرجة أننا لا نلاحظ السؤال العظيم الذي يطرح نفسه دائماً. كما يحذر إنجيل فيليب :

إن المفاهيم خادعة للغاية لأنها تحول القلب عن الواقع إلى الوهم.

عندما نرى أن أفكارنا مجرد أفكار، يمكننا استخدام المفاهيم لتوجيه حياتنا كأفراد ضمن حلم الحياة، مع إدراكنا الدائم في الوقت نفسه أن الحياة لغز مطلق. ليس لغزاً نسبياً يمكننا حله يوماً ما، مثل ما إذا كانت هناك حياة على المريخ، بل هو لغز بطبيعته. قد تكون أفكارنا أفضل أو أسوأ نسبياً، لكن اللغز يبقى قائماً. عندما ننسى سر الوجود المطلق، فإننا نتوه في رواياتنا ونغرق في أحلام الحياة. إننا نستيقظ من خلال رؤية رواياتنا على حقيقتها والبقاء واعين للغموض.

تشجعنا الغنوصية على التشكيك في اليقين المفاهيمي الذي يبقينا منغمسين لا شعورياً في حلم الحياة. يدين أصحاب النزعة الحرفية الشك باعتباره خطيئة عظيمة، لكن الشك شرط أساسي لليقظة. يتوق أصحاب النزعة الحرفية إلى تأكيد مستمر لأحكامهم المسبقة، لكن الغنوصيين بارعون في الشك. وإذا تبنينا الشك الجذري، فسنتمكن جميعاً من الاجتماع على قدم المساواة أمام لغز الوجود. لأننا عندما نكون متأكدين من أننا نعرف ما يجري، ينتهي بنا الأمر إلى الشجار حول آرائنا. اليقين يفرقنا والشك يوحدنا. (مع أننا لسنا متأكدين من ذلك!))

التفكير الحر

لقد غيّر العلماء فهمنا للعالم، لأنهم تجرأوا على التشكيك في عقائد الدين والتفكير بطرق مبتكرة. لقد استخدموا قوة التفكير العقلاني لكشف زيف الخرافات الدينية، ولخلق طرق أفضل لفهم الواقع. كما أن الروحانية في القرن الحادي والعشرين تحتاج إلى رفض السلطة الخارجية وتشجيع التفكير الحر العقلاني، لأنه فقط من خلال التفكير بأنفسنا نصبح أكثر وعياً ونبدأ في الاستيقاظ.

من الصعب الاستيقاظ لأن معظم الناس من حولنا نائمون. إننا نتعرض باستمرار لوسائل الإعلام الجماهيرية، التي تعرض نظرة مبتذلة للحياة، مما يبقينا تائهين في حلم الحياة. من المثير للدهشة أنه على الرغم من البرامج التي تستكشف كل شيء من التصميم الداخلي إلى القتلة المتسلسلين، لا يبدو أن أحداً في وسائل الإعلام يذكر الحقيقة الواضحة والمقلقة بأن الحياة لغز مذهل. يبدو الأمر كما لو أننا دخلنا في مؤامرة خداع الذات حتى نتجنب مواجهة مدى حيرة مأزقنا الحقيقي. إن السبيل الوحيد للاستيقاظ من هذه الغيبوبة الجماعية هو التوقف عن الاستماع للآخرين وأن نصبح مفكرين أحراراً مستقلين.

معظمنا ينساق مع طريقة التفكير الرائجة. والمفارقة أننا لا نلاحظ أن وجهة النظر التي نفخر بها كثيراً هي في الواقع مجرد مجموعة مرتجلة من الآراء الثانوية، تم غرسها أثناء النمو أو تبنيها كأحدث صيحة لمساعدتنا على الاندماج مع مجموعتنا الاجتماعية. لكي نستيقظ، نحتاج إلى التشكيك في تنشئتنا الاجتماعية وتحويل أنفسنا من أعضاء غير واعين في القطيع إلى أفراد واعين.

لكن في الأوساط الروحية اليوم، أصبح من المألوف التقليل من شأن التفكير. غالباً ما يتم خلق ثنائية بين العقل والقلب، حيث يكون العقل هو الشرير الذي يقودنا إلى الضلال، والقلب هو الطيب الذي يقودنا إلى بر الأمان. ما المقصود فعلياً بـ "القلب" عادة ما يُترك غامضاً بشكل ملائم، ولكن الافتراض الضمني هو أن الشعور أو الحدس جيد والتفكير أو العقلانية سيئ.

غالباً ما يتم تبرير ذلك بالإشارة إلى تعاليم الغنوصية التي تنص على أن الحقيقة لا يمكن التعبير عنها بالكلمات أو فهمها بالعقل. ومع ذلك، كان معظم الغنوصيين في الواقع فلاسفة عقلانيين انتقدوا الدين الحرفي تحديداً بسبب عدم عقلانيته. يعلم الغنوصيون أن الغنوص ليست رأياً فكرياً، بل هي تجربة معرفة مباشرة في لحظة اللحظة، لكن هذا لا يمنعهم من تقدير العقل كأداة رائعة لمساعدتنا على تغيير أنفسنا والعالم.

لطالما دافعت الأديان عن "الإيمان" غير العقلاني. أعلن ترتليان بشكل مشهور عن المسيحية: "إنها حقيقية لأنها سخيفة. أصدق ذلك لأنها مستحيلة. هل نريد حقاً أن نتسامح مع هذا النوع من الهراء في القرن الحادي والعشرين؟ عندما ترفض التقاليد الروحية الحديثة العقلانية، فإنها ببساطة تستمر في حيلة استخدمتها السلطات الكنسية لقرون لإقناعنا بالتصديق الأعمى، وليس التساؤل بوعي. هذا ليس هو الطريق الصحيح. لأننا عندما نتوقف عن التفكير بعقلانية، لا نستيقظ. لقد أصبحنا أغبياء فحسب.

وكما هو الحال مع كل شيء في حلم الحياة، فإن للفكر جانباً جيداً وجانباً سيئاً. التفكير ليس إلا حديثاً مع أنفسنا. وكما هو الحال مع كل الكلام، أحياناً يكون هذا مجرد هراء لا معنى له، لكن أحياناً

يمكن أن يساعدنا على الاستيقاظ. إن قدرتنا على التفكير بعقلانية نعمة عظيمة، وبدونه لن نصبح أكثر وعياً، لأنه يستطيع أن يكشف جنون افتراضاتنا عن الحياة ويفتح آفاقاً جديدة ومحررة. أن تكون عقلانياً يعني ببساطة الإصرار على أن تكون الآراء مبررة بأسباب وجيهة. هذا تصرف معقول. العقلانية هي جهاز كشف الهراء لدينا، والتي تمكننا من التمييز بين التحيز غير المدعوم برؤية حقيقية.

لكن كوننا عقلانيين لا يمنعنا من أن نكون حدسيين أيضاً. الحدس هو قدرتنا على الوصول إلى إدراكات عميقة لا يمكننا تبريرها بالأسباب. الحدس هو معرفة أن شيئًا ما صحيح، ولكن دون معرفة سبب كونه صحيحًا. إنه إدراك للنتيجة، ولكن ليس للعملية التي أوصلتنا إلى هناك. الحدس هو رسائل من أعماق اللاوعي لدينا تندفع إلى الوعي كأفكار جديدة ومذهلة. إن حدسنا هو أحدث ما توصل إليه فهمنا، والذي ما زلنا في طور جعله واعياً.

لكن من المهم أن نميز بين الحدس الحقيقي والافتراضات التي لا أساس لها والتأثيرات الثقافية والتفكير بالتمني. يجب اختبار صحة الحدس من خلال إدراك الأسباب التي تجعله صحيحاً عبر التفكير العقلاني. قال معظم العلماء العظماء إن رؤاهم الرائدة جاءت على شكل حدس، تمكنوا فيما بعد من تبريره بشكل عقلاني.

إن فكرة أنه يتعين علينا الاختيار بين الحدس أو العقلانية فكرة زائفة، لأن كلاهما يلعب دورًا مهمًا في عملية التحول إلى فرد واعٍ. ينصح أينشتاين، أحد أعظم المفكرين الأحرار العقلانيين والحدسيين على مر العصور، قائلاً: "الشيء المهم هو عدم التوقف عن التساؤل"، لأنه إذا واصلنا طرح أسئلة نافذة، فستظهر إجابات عميقة من أعماق كياننا استجابةً لذلك.

الرئيس الأعلى

العلم هو دراسة دقيقة لتجربتنا الفعلية في الحياة. وبالمثل، تحتاج الروحانية العلمية في القرن الحادي والعشرين إلى تعليم أن السلطة المطلقة الوحيدة هي تجربتنا الفعلية. وهذا يعني تحرير أنفسنا من السلطة المفترضة للنصوص المقدسة والأنبياء الأطهار وحتى الله. إن الإله الحرفي هو صاحب السلطة الخارجية المطلقة. هو الرئيس الأعلى للكون الذي يخبرنا بما يجب علينا فعله ويعاقبنا إذا فشلنا. هذا التصور عن الله لن يساعدنا أبداً على الاستيقاظ. إذا كنا سنستخدم كلمة "الله" الخطيرة على الإطلاق، فنحن بحاجة إلى استخدامها، مثل الغنوصيين القدماء، للدلالة على وحدة الوعي التي ينشأ من خلالها حلم الحياة.

نحن بحاجة إلى رفض الصور الحرفية لله، والتي هي إرث من ماضينا البدائي. يهوه والله، على سبيل المثال، مجرد آلهة قبلية كانت وظيفتها منح شعب معين شكلاً من أشكال التماسك الاجتماعي. نحن بحاجة إلى اتباع مثال المسيحيين الأوائل، الذين استبدلوا وحش يهوه المتغطرس بالمفهوم الغنوصي لله باعتباره المصدر الغامض لكل شيء. يُعلّم سيردو، الغنوصي المسيحي، ما يلي:

> الإله الذي بشرت به الشريعة والأنبياء ليس هو إله يسوع المسيح. إله العهد القديم معروف، أما إله يسوع المسيح فهو غير قابل للمعرفة.

صورنا التقليدية عن الله بالية وقديمة. إنه ملك عظيم يطالب بالعبادة. الأرستقراطي المطلق الذي يغدق كرمه على شخص ما في يوم من الأيام ويأمر بإعدامه في اليوم التالي. سيد متقلب يستمع إلى صلوات المقربين إليه، من خلال تزويدهم بمكان وقوف السيارات هنا وحظ سعيد في حدث رياضي هناك، بينما يتجاهل تمامًا صلوات الملايين الذين يموتون بسبب الإيدز أو الجوع. إذا كانت السلطة المطلقة تفسد بشكل مطلق، فلا عجب أن يكون الإله الحرفي فاسداً مثل أي بارون إقطاعي.

الإله الحرفي هو أب فيكتوري قديم الطراز مستعد لمعاقبة أطفاله بوحشية لتأديبهم. إنه يتوقع طاعة عمياء ونادراً ما يقدم تفسيرات لأحكامه التي تبدو تعسفية. إنه يحب القواعد ويكره التفكير الحر. يريدنا أن نصمت ونفعل ما يُطلب منا. وسيكون جزاؤنا على الامتثال هو الالتحاق بروضة أطفال الجنة في الآخرة. لا شك أننا تجاوزنا الآن مثل هذه المفاهيم الطفولية. لقد حان وقت النضج.

الإله الحرفي هو شخص عظيم لديه الكثير من الآراء. لكن تبين أن آراءه تشبه بشكل مثير للريبة آراء الأنبياء الذين ينقلونها إلينا. ويُقدّم كل نبي مجموعة مختلفة من الآراء التي تزعم أنها إلهية. وقد تركنا هذا نتجادل بلا نهاية حول ما هي آراء الله حقاً. لكن هناك بعض المجالات التي تحظى باتفاق واسع. الله كاره للنساء. وهو ليس مولعاً بالجنس. وخاصة ليس من أجل المتعة. وبالتأكيد ليس بين أفراد من نفس الجنس، لأن ذلك من الواضح أنه من أجل المتعة فقط.

لله آراء في كل شيء، لكنها تختلف باختلاف الدين الحرفي الذي تتبعه. هو لا يحب أن يقوم الرجال بتقصير الشعر حول صدغيهم. إنه يحب أن تغطي النساء رؤوسهن أو يفضل أن يغطين أجسادهن بالكامل. إنه يحب اللحى الكثيفة. هو لا يحب لحم الخنزير أو المحار.

يحب السمك يوم الجمعة. هل نريد حقاً إلهاً يتمتع بذوق غريب في الموضة وتفضيلات غذائية عشوائية؟

بحسب الأساطير مثل سفر التكوين، فإن الله هو خالق الكون. لكن العلم قدم لنا كل الأدلة التي نحتاجها لرفض فكرة أن الله خلق العالم في سبعة أيام قبل حوالي ستة آلاف سنة. لا يزال الكثير من الناس متمسكين بهذه الفكرة السخيفة، لكن محاولاتهم لتفسير نتائج العلم أصبحت أكثر يأسًا من أي وقت مضى. هل من المعقول حقاً أن الله أخفى عظام الديناصورات عمداً حتى عندما نكتشفها ونستنتج أن الزواحف العملاقة كانت تجوب الأرض منذ ملايين السنين، يتم اختبار إيماننا الأعمى بصحة الكتاب المقدس؟ إن إلهاً كهذا سيكون مجنوناً بشكل مرضي!

إن الكون ببساطة أمر سخيف للغاية بحيث لا يمكن أن يكون خطة واعية لكائن حكيم. انظر إلى مدى عشوائية تاريخه. كم عدد البدايات الخاطئة التي حدثت في العملية الإبداعية؟ إذا كان هناك إله خالق، فمن الواضح أنه لا يعرف ما يفعله. ومع ذلك، فإن الكون منظم ومرتب للغاية بحيث لا يمكن اعتباره ناتجًا عن شكل من أشكال الذكاء. وحقيقة أن الذكاء ينبثق من الكون تثبت أن الذكاء يجب أن يكون موجوداً ضمنياً داخل مصدر الكون. إن المفهوم الغنوصي لله باعتباره حالم الحياة يحل هذه المعضلات. إن حلم الحياة ليس مجرد خطة واعية مُصاغة. إن حلم الحياة ينشأ من الوعي اللاواعي، الذي يصبح واعياً بطبيعته من خلال عملية التطور.

قد تبدو فكرة الإله القادر على كل شيء والعارف بكل شيء مريحة، لكنها في الواقع مقلقة للغاية وتخلق العديد من التناقضات التي أزعجت اللاهوتيين لقرون. إن أكثرها وضوحاً هي مشكلة الشر. يُفترض أن يكون الإله الحرفي خيرًا مطلقًا وقادرًا على كل شيء. لكن كيف يمكن أن يكون كلاهما؟ إما أن الله خير مطلق ويريد القضاء على الشر ولكنه ليس قوياً بما يكفي للقيام بذلك، أو أنه قادر على كل شيء ولكنه يختار عدم القضاء على الشر، مما يجعل من الصعب رؤيته على أنه خير. كيف يمكن لكائن خارق قادر على كل شيء أن يسمح بكل هذا العذاب المروع في العالم؟ لماذا لا يتدخل إله رحيم لإنقاذنا من أهوال العالم؟ لقد توصل اللاهوتيون الحرفيون إلى العديد من الردود البارعة، لكن جميعها فشلت لأن المشكلة متأصلة في مفهومهم الخاص عن الله.

لكن هذا لا يمثل مشكلة إذا اعتمدنا المفهوم الغنوصي لله باعتباره حالم الحياة الذي يصبح واعياً من خلال الخلق. الشر ليس شيئًا يخلقه الله بوعي، مما يدل على أنه ليس خيرًا. ولا شيء يسمح به، مما يدل على قسوته. الشر هو الثمن الحتمي للقطبية الضرورية لوجود تجربة واعية على الإطلاق. لم يسمح الله بمثل هذه الفظائع كالمحرقة. الله هو المحرقة. الضحايا والجناة. هناك فقط إله واحد. الوعي الواحد في عملية الاستيقاظ من كابوس الانفصال إلى روعة الوحدة.

إن فكرة الله لا معنى لها إلا إذا تبنينا المنظور الغنوصي وفهمنا الله على أنه يمثل طبيعتنا المشتركة الجوهرية. إنّ "الأنا في الكل" هو إله يمكننا أن نسعى لخدمته. لأننا عندما نعيش الحياة الواعية، نريد أن يستمتع هذا "الأنا" الكوني بالحياة بكل أشكالها المتعددة، وسنفعل كل ما في وسعنا للسماح بحدوث ذلك. نصبح عبيداً لله طوعاً.

نحن لا نقول أنه لا ينبغي لنا أبدًا أن نتبنى صورة شخصية لله، لأن هذا يمكن أن يكون وسيلة قوية للتواصل مع طبيعتنا الجوهرية بينما نكافح من أجل الاستيقاظ من التماهي مع الذات المنفصلة.

على الرغم من أن الإله الغنوصي يمثل طبيعتنا الجوهرية، ولا يمكنك الاقتراب أكثر من ذلك، إلا أنه إلى أن نفهم حقًا ما يعنيه هذا، فإن هذا المفهوم غير الشخصي لله يمكن أن يبدو بعيدًا ومجردًا. بصفتنا أفرادًا ضمن حلم الحياة، فنحن أشخاص، وأسهل طريقة بالنسبة لنا للتواصل مع مصدر كل شيء هي أن نتخيله كشخص كبير. وهذا يسمح لنا بإقامة علاقة محبة مع حالم الحياة باعتباره "الحبيب"، على حد تعبير الصوفية، الذي هو موضوع إخلاصنا وذاتنا الحقيقية. وهو شعورٌ عبّر عنه جلال الدين الرومي بإيجاز عندما كتب:

> أنا عاشقٌ للعالمي، وعاشقٌ العالمي. أنا أنت الذي تحب نفسك.

إن التواصل مع إلهنا الشخصي كصديق أو والد أو حبيب يمكن أن يكون تجربة رائعة ومؤثرة. يمكن للروحانية في القرن الحادي والعشرين أن ترفض الإله الحرفي مع تبنيها في الوقت نفسه التعبد لصورة إلهية شخصية. إن افتراض خلاف ذلك يشبه القول بأنه لن يكون هناك مجال للفن والخيال. وهناك مجال للصلاة أيضاً. لكن من منظور الغنوصية، فإن الصلاة ليست التماساً لرضا ملك الكون. إنها طريقة للتواصل والتفاعل مع طبيعتنا العميقة. إنها إعادة تغذية واعية إلى المصدر برغباتنا وتطلعاتنا، مما قد يؤثر على تجربتنا المستقبلية لأن حلم الحياة يتفاعل بشكل كبير مع النوايا الواعية.

لا تصبح العلاقة مع إله شخصي مشكلة إلا إذا جعلنا من صورة إلهنا صنماً. علينا أن نتأكد من أننا لا ندعي أبداً أن صورتنا عن الله هي الصورة الوحيدة والوحيدة لله. علينا أن نتأكد من أننا لا ندعي أننا نملك حق الوصول إلى آراء الله الإلهية. علينا أن نتأكد من أن صورتنا عن الله لا تحجب سر الوجود الذي تمثله. لأننا حينها سنصبح حرفيين. ويمكن أن يكون أصحاب التفسير الحرفي للأمور أشخاصاً خطيرين للغاية. كما كتبت الشاعرة الصوفية رابعة البصرة:

> بما أنه لا أحد يعرف شيئاً عن الله حقاً، فإن أولئك الذين يعتقدون أنهم يعرفون هم مجرد مثيري مشاكل.

الحب أم القانون

إذا استطعنا التخلي عن الله كسلطة خارجية، فبإمكاننا أيضاً التخلي عن فكرة أن الكتب المقدسة تحتوي على آرائه المعصومة حول كيفية عيش حياتنا. عندما نسمح للكتب القديمة بتحديد أخلاقنا الحديثة، ينتهي بنا المطاف عالقين في أخلاقيات الماضي البدائية. لقد حان الوقت لننضج وندرك أنه لا توجد سلطة خارجية يمكنها أن تخبرنا كيف يجب أن نتصرف. تحتاج الروحانية في القرن الحادي والعشرين إلى مساعدتنا على تعلم إصدار أحكام أخلاقية مستقلة من خلال أن نصبح أكثر وعياً وأكثر محبة.

من بين الحجج الشائعة للدفاع عن الدين الحرفي أنه بدون الكتب المقدسة سنكون متوحشين، لأنها توفر الرابط الأخلاقي الذي يربط المجتمع ببعضه. حسنًا، لقد فحصنا الآن ما تعلمه هذه الكتب بالفعل. يبرر الكتاب المقدس الإبادة الجماعية والاغتصاب والنهب. وكذلك القرآن. هل هذا حقاً هو نوع الأخلاق الذي نريده في العصر الحديث؟ إذا كان لا بد لنا من نص أسطوري عنيف ليعلمنا الصواب من الخطأ، فماذا عن اختيار ″سيد الخواتم″؟ إنها أكثر أخلاقية من الكتاب المقدس أو

القرآن. بل وأكثر منطقية!

يزعم أصحاب النزعة الحرفية أن القوانين الدينية موحى بها إلهياً، لكن هذه القوانين ليست إلهية. إنها بشرية وتعكس قيم العصر الذي تم إنشاؤها فيه. هل ما زلنا حقاً نريد اتباع الشريعة اليهودية التي تنص على عقوبة الإعدام لمن يعمل يوم السبت وتتغاضى عن بيع الأطفال للعبودية؟ لا، بالطبع لا نريد ذلك. كما أننا لا نريد اتباع الشريعة الإسلامية التي تدين الفاسدين بقطع جزء من رؤوسهم ثم صلبهم، وتجيز للرجال ضرب زوجاتهم طالما لم يكسروا أي عظام. لقد أصبحنا أكثر إنسانية الآن. شكراً للخير!

بدلاً من أن توفر النزعة الحرفية الرابط الأخلاقي الذي يجمعنا، فإنها تفرقنا. في الأناجيل يحثنا يسوع على مسامحة من يسيئون إلينا، لكن هذا لا يمنع المسيحيين الحرفيين من المطالبة بمعاقبة منتهكي القانون بشدة، لا مسامحتهم. إن اليمين الديني هو الذي يدافع عن العدالة الانتقامية، بدءاً من ضرب الأطفال المشاغبين وصولاً إلى عقوبة الإعدام للبالغين. بالنسبة للحرفيين، العنف هو الحل، أما بالنسبة للغنوصيين فهو المشكلة. إن العدالة الانتقامية لا تعدو كونها إيذاءً لأنفسنا مرة أخرى. نعاني كضحايا وكجناة على حد سواء. "العين بالعين" هي عدالة الانفصال. "أحب الآخرين كما تحب نفسك" هو عدل الوحدة.

إن المفهوم الحرفي لما يشكل "العدالة" ليس فقط بغيضاً، بل إنه أمر مزعج للغاية أن هذه العدالة غالباً ما يتم تحقيقها من قبل قضاة من الواضح أنهم ساذجون للغاية بحيث لا يستطيعون أداء مهامهم. في الولايات المتحدة على وجه الخصوص، العديد من القضاة مسيحيون حرفيون مستعدون للتصديق بشكل أعمى بأن شخصًا ما ولد من عذراء، وحول الماء إلى خمر، وأطعم خمسة آلاف شخص من فتات الخبز وبعض الأسماك، ثم عاد من الموت. هل يمكننا حقاً أن نشعر بالأمان من أن أي شخص لا يكترث كثيراً بالأدلة قادر على التمييز بين الحقيقة والخيال في محكمة قانونية، في حين أن حياة شخص ما قد تكون معلقة على المحك؟ إنها فكرة مقلقة!

من منظور الغنوصية، أصبحنا مهووسين بالقوانين والعقوبات لأننا نسينا أن نحب. يشرح بولس أن "المحبة هي جوهر الشريعة". نحتاج إلى قوانين عندما لا نحب. لا يلجأ الناس إلى القانون إلا عندما تفشل الجهود البشرية لتحقيق الإنصاف والعدل. وعندما يفعلون ذلك، فعادةً ما يكون المستفيدون هم المحامون فقط. لا عجب أن الغنوصيين المسيحيين صوروا بطلهم الخارق يسوع على أنه ينتقد المحامين باستمرار! الخلاف بين الحرفيين والغنوصيين هو خلاف بين محامين وعشاق.

يكرس أصحاب التفسير الحرفي جهودهم لدعم القانون الأخلاقي، بينما يكرس الغنوصيون جهودهم لتجسيد الحب. يفترض أصحاب التفسير الحرفي أن الطبيعة البشرية سيئة في جوهرها وتحتاج إلى إجبارها على التشكيل. يعلم الغنوصيون أن الطبيعة البشرية، مثل كل شيء في القطبية، هي الخير والشر. عندما نغرق في الانفصال، قد نكون أنانيين للغاية، ولكن عندما نستيقظ على الوحدة، يمكننا أن نكون لطفاء بشكل رائع. من منظور الغنوصية، نحتاج إلى إيقاظ أنفسنا، لا أن نقيد أنفسنا بما يجب وما لا يجب، لأنه عندما نعرف طبيعتنا الأساسية نصبح جيدين بشكل عفوي.

يجب أن تعلم الروحانية في القرن الحادي والعشرين أن الإكراه الخارجي لن يجعلنا صالحين.

علينا أن ندرك خيرنا الطبيعي من الداخل. علينا أن نطيع "القانون المنقوش على القلب"، كما يقول فالنتينوس. علينا أن نفهم أننا نتصرف بشكل جيد بطبيعتنا عندما نعيش بفهم أننا جميعاً واحد. علينا أن ندرك أنه عندما نسأل ما هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله، فإن الإجابة دائماً هي التصرف بدافع الحب. دعونا نتوقف عن الجدال حول ما هو السلوك المقبول وما هو السلوك غير المقبول، ولننتقل مباشرة إلى صلب الموضوع. لنبدأ مناقشة ما هو الحب الحقيقي وكيف يمكننا خلق ثقافة التعاطف.

المشكلة الخطيرة للأشخاص المثاليين

إذا كنا على استعداد لرفض السلطة المطلقة للإله الحرفي والكتاب المقدس، فيمكننا أيضًا رفض السلطة المطلقة لممثلي الله على الأرض: الأنبياء، والشخصيات الرمزية، والقديسين، والمعلمين المستنيرين. تحتاج الروحانية في القرن الحادي والعشرين إلى التحرر من أسطورة الأشخاص المثاليين، حتى يتمكن كل واحد منا من أن يصبح قادراً على الثقة بتجربته الخاصة، بدلاً من أي سلطة خارجية.

في الثقافة الغربية، يُعتبر يسوع الشخص المثالي المطلق. إن إدراك أن يسوع شخصية أسطورية وليست تاريخية يحررنا من هذه الشخصية ذات السلطة الخارجية. لدى البوذيين الزن عبارة تقول: "إذا رأيت بوذا على الطريق فاقتله". في الغرب نحتاج إلى تكييف هذا إلى: "إذا رأيتم يسوع في الطريق فاقتلوه". قد يبدو الأمر متطرفاً بعض الشيء، لكن معناه عميق. إذا كنت تعتقد أن بوذا أو المسيح شخص آخر غيرك، فقد أخطأت الهدف تمامًا، لأن بوذا أو المسيح يمثل طبيعتك الجوهرية.

لقد كان هناك العديد من الأفراد المتميزين عبر التاريخ الذين يمكن أن تساعدنا رؤيتهم العميقة لأسرار الحياة والموت في رحلتنا الخاصة نحو اليقظة. لكنهم عاشوا في ثقافة معينة أثرت على نظرتهم إلى حلم الحياة وقيدتها، لذلك ستكون هناك حتماً جوانب من تعاليمهم عفا عليها الزمن. إذا فهمنا هذا فسوف نتخلى عن الفكرة السخيفة التي مفادها أنه يتعين علينا قبول كل ما يقوله هؤلاء الناس، وسنشعر بالحرية في التمييز بين ما يخاطبنا في تعاليمهم وما لا يخاطبنا.

إن فكرة أن شخصًا مثاليًا ما يمتلك بالفعل جميع الإجابات قد تكون مغرية للغاية. كثير منا يبحث بشدة عن شخص لا يبحث عن أي شيء. في الأوساط الروحية، هناك حديث كثير عن المعلمين الذين وصلوا إلى "التنوير الكامل". ومع ذلك، فقد ظهرت العديد من التقارير الاستقصائية والفضائح التي تُظهر الطبيعة البشرية للغاية لهذه الكائنات الخارقة المزعومة. لقد حان الوقت للاعتراف بأنه لا يوجد أحد حكيم لدرجة أنه لا يستطيع أن يصبح أحمق للحظة. ولا يوجد أحد أحمق لدرجة أنه لا يستطيع أن يفاجئنا بحكمته. كلنا في نفس الامر. التذكر والنسيان. التخدير والاستيقاظ. يتطور باستمرار ولكنه لا يصل أبداً.

وكما أن بعض الناس لديهم موهبة في الموسيقى وآخرون في الرياضة، فإن بعض الناس لديهم موهبة في اختراق أسرار الحياة والموت، ومساعدة الآخرين على فعل الشيء نفسه. لكنهم ما زالوا رجالاً ونساءً عاديين، غالباً ما يعانون من نفس الإدمانات وتقلبات المزاج والمشاكل الشخصية الأخرى التي نعاني منها جميعاً. إنهم مرشدون وليسوا آلهة. إذا وضعناهم على قاعدة التمثال، فإن ذلك يجعل من الصعب علينا فهم الحكمة الحقيقية التي لديهم ليقدموها.

نحن لا نتعامل مع علمائنا أو فنانينا أو سياسيينا أو سباكينا على أنهم معصومون من الخطأ. لكن عندما يتعلق الأمر بالروحانية، فإن هذا النهج المعقول يختفي تماماً، ونتوقع من أولئك الذين يمتلكون موهبة في البصيرة الروحية أن يكونوا مثاليين بطريقة أو بأخرى. وإذا فشلوا في تلبية توقعاتنا غير المعقولة، فإننا نعتبرهم معيبين بشكل لا رجعة فيه، حتى عندما يكون الكثير من حكمتهم لا يزال ذا قيمة كبيرة.

إننا ننبهر بسهولة بمن هم أكثر يقظة منا، لأن التواجد في حضرة شخص يمر بحالة وعي موسعة يمكن أن يوسع حالة وعينا. هذا ما أطلق عليه الغنوصيون الوثنيون اسم "بارادوسيس" أو "الانتقال". في الهند يسمون هذا دارشان. لا يوجد شيء غامض بشكل خاص في هذا الأمر. (أو ليس أكثر غموضًا من أي شيء آخر!) نحن نعيش هذا النوع من الانتقال طوال الوقت. إن التواجد حول أشخاص سعداء يمكن أن يجعلنا سعداء. إن التواجد حول الأشخاص المصابين بالاكتئاب قد يجعلنا مكتئبين. والتواجد حول أشخاص مستيقظين يمكن أن يوقظنا. قد تكون هذه تجربة قيّمة للغاية، لكنها لا تجعل الشخص مرجعاً مطلقاً في كل شيء.

تكمن المشكلة في أن العديد من المعلمين في المجال الروحي يشجعوننا على اعتبارهم شخصيات مرجعية معصومة من الخطأ. غالباً ما يتمتع هؤلاء المعلمون بكاريزما هائلة، مما يجعلهم جذابين للغاية. لكن الكاريزما، مثل كل أنواع السحر، يمكن أن تكون بيضاء أو سوداء. يستخدم بعض المعلمين جاذبيتهم الشخصية لسحر طلابهم وإيقاظهم على روعة طبيعتهم الحقيقية. لكن بعض المعلمين الآخرين يستخدمون جاذبيتهم لإبهار طلابهم وتحويلهم إلى أتباع متذللين.

اختبار المعلم بسيط. انظر إلى طلابهم. يمكن الوثوق بالمعلم إذا ساعد طلابه على الاستيقاظ والمضي قدماً. لكن لا ينبغي الوثوق بهم إذا جعلوا طلابهم متملقين تابعين يرددون كلمات المعلم، لكنهم لا يفكرون بأنفسهم أبداً. لأن العديد من المعلمين في الواقع يعملون على سجن طلابهم داخل عبادة شخصية، وليس على تحريرهم ليصبحوا أسياد أنفسهم. هدفهم الحقيقي هو أن يصبحوا مشاهير روحانيين وأن يوسعوا قاعدة معجبيهم.

المعلمون الحقيقيون هم في الحقيقة مزيفون يعترفون بذلك. هذا لا يعني أنهم منافقون. في الواقع، هذا يعني أنهم أقل عرضة للنفاق، لأنهم يدركون مدى حكمتهم المتزايدة ومدى حماقتهم التي لا يزالون عليها. يكون الشخص صادقاً عندما يشعر بأنه مزيف. ولهذا السبب رفض فيثاغورس أن يُطلق عليه لقب "حكيم" ووصف نفسه فقط بأنه "محب للحكمة" أو "فيلسوف". ولماذا لا يسمح يسوع في الأناجيل لتلاميذه أن يصفوه بـ "الصالح"؟

ينشأ حلم الحياة مع الاستقطاب، لذا فإن كل من فيه حكيم وأحمق في آن واحد. كأفراد، نحن موجودون في مكان ما على سلسلة متصلة بين الجهل بالهوية اللاواعية لشخصيتنا الحياتية والمثال الأعلى الذي لا يمكن تحقيقه للصحوة المطلقة. أن تكون إنساناً يعني أن تكون في طور الاستيقاظ والتطور أكثر. وتختلف درجة يقظتنا من لحظة إلى أخرى، لأن كل شيء في حلم الحياة في حالة تغير مستمر.

دعونا نكون واضحين تماماً، مؤلفو هذا الكتاب لا يدّعون أنهم استثنائيون بأي شكل من الأشكال. نحن بالتأكيد لسنا قديسين، كما سيشهد أصدقاؤنا وعائلاتنا بكل تأكيد. أحيانًا نستطيع أن نكون حكماء

ورحيمين وحيويين بشكل رائع. لكن في بعض الأحيان قد نكون عنيدين وأغبياء وأنانيين ومتبلدي الإحساس. أيبدو ذلك مألوفاً لك؟ بالتأكيد! إنها المعضلة الإنسانية. فلننظر إلى الأمور كما هي ولنبدأ العمل عليها.

الفصل الثاني عشر الفكرة الأساسية

الحب هو الحل، وأنت تعلم ذلك يقيناً.

ألعاب العقل، جون لينون

الخبر السار هو أننا جميعاً واحد. والخبر السيئ هو أن أقلية صغيرة فقط منا تدرك ذلك. معظمنا غارق في كابوس الانفصال. والاعتقاد الخاطئ بأننا منفصلون عن بعضنا البعض هو سبب معاناة لا توصف. إنه السبب الجذري لجميع مشاكلنا الفردية. وهو السبب الجذري لأزمة العالم الحالية التي نشأت بسبب أحداث 11 سبتمبر وما تلاها. بالنسبة للغنوصيين، الحل الوحيد هو الاستيقاظ على الوحدة ورفض التفسير الحرفي. لأن التفسير الحرفي هو، قبل كل شيء، خطأ اعتبار أنفسنا حرفياً كأفراد منفصلين.

المفارقة المأساوية في مأزقنا هي أننا نعتقد أننا منفصلون، ولكن في الحقيقة نحن واحد. على مر التاريخ، مزقنا أنفسنا بحروب قبلية مروعة. ومع ذلك، فإن التصنيفات التي استخدمناها لتحديد هوياتنا القبلية تتسم بالسلاسة لدرجة أنها لا معنى لها. لنأخذ على سبيل المثال سكان بعض الجزر الصغيرة الواقعة على حافة أوروبا والذين يطلقون على أنفسهم الآن اسم "بريطانيين". حتى وقت قريب، كان هؤلاء الناس يهيمنون بفخر على العالم بإمبراطورية "بريطانية" واسعة. لكن في الواقع، البريطانيون الوحيدون المتبقون في بريطانيا هم الويلزيون (الذين يرغب الكثير منهم في الاستقلال عن بريطانيا!)، لأن البريطانيين الأصليين تم دفعهم إلى ويلز من قبل الرومان منذ ألفي عام.

إن الهويات "الحقيقية" للشعوب الأخرى التي تسكن هذه الجزر الصغيرة مشوشة بنفس القدر. كان الأيرلنديون في الأصل من الاسكتلنديين الذين أبحروا عبر البحر واستقروا في أيرلندا. كان هؤلاء الاسكتلنديون أنفسهم في الأصل من البيكتيين، الذين أتوا من المنطقة التي ستُعرف يوماً ما باسم إنجلترا. لكن إنجلترا لم تُعرف باسم إنجلترا إلا بعد أن غزاها الأنجل، الذين قدموا من ألمانيا. وكذلك فعل الساكسونيون، الذين غزوا الأنجل بعد ذلك. ثم غزاهم الدنماركيون والفايكنج، الذين قدموا من الدول الاسكندنافية، ثم غزاهم النورمان من فرنسا، الذين كانوا في الأصل من الفايكنج أو النورسيين. الأمر برمته مربك للغاية!

عندما وصل هؤلاء المختلطون إلى العالم الجديد، أعادوا تسمية أنفسهم كأمريكيين. لم يكونوا أمريكيين حقًا، بالطبع، لأن هذا الاسم ينطبق على السكان الأصليين للأمريكتين، والذين يُعتقد أنهم قدموا من سيبيريا. تم القضاء على السكان الأصليين للأمريكتين تقريبًا على يد الغزاة الأوروبيين. الأمريكيون المعاصرون هم في الواقع شعب ينحدر أسلافه من كل ركن من أركان العالم. تتميز أمريكا الحديثة بتنوعها المذهل في الأصل لدرجة أنه من المناسب حقًا أن تُسمى الولايات المتحدة الأمريكية!

جميع التصنيفات التي نستخدمها لتحديد عرقنا وجنسيتنا ليست سوى مفاهيم مجردة. لقد أثبت علماء الوراثة أننا جميعاً أفارقة في جوهرنا، لذا دعونا نحتضن بعضنا بعضاً كإخوة وأخوات. لنبدأ بالنظر إلى أنفسنا كسكان عالم واحد، وليس كدول منفصلة محددة بخطوط اعتباطية على الخريطة.

لكن في حين أن الهويات الوطنية الزائفة قد يكون من السهل التخلص منها، كما يتضح من السرعة التي يمكن بها استبدالها بهويات أخرى، فإن الهويات الدينية غالباً ما تكون أكثر رسوخاً ويصعب التخلص منها. جميع القصص التي نرويها لتحديد انفصالنا هي قصص مثيرة للانقسام بشكل خطير، ولكن لا شيء أكثر إثارة للانقسام من الأيديولوجيات الدينية التي تدعي تمثيل الحقيقة المطلقة. إن التفسير الحرفي للدين يخلق هوة مباركة إلهياً بين المؤمنين وغير المؤمنين، الأمر الذي دفع المؤمنين عبر التاريخ إلى ارتكاب أبشع الجرائم ضد الإنسانية لإرضاء إلههم.

في الثقافة الغربية لم نعد نتسامح مع التمييز ضد الناس على أساس جنسهم أو عرقهم أو ميولهم الجنسية. لا يزال التمييز متفشياً، بالطبع، لكننا على الأقل ندينه وجعلناه غير قانوني، وهو ما يمثل خطوة كبيرة إلى الأمام. فلماذا نستمر في التسامح مع التعصب الديني؟ إن الفكرة الغريبة القائلة بأن الله يفضل بعض الناس على غيرهم هي فكرة تعود إلى العصور الوسطى. لقد حان الوقت بالتأكيد لإلقاء هذه "النزعة الدينية" في مزبلة التاريخ، جنباً إلى جنب مع القومية والعنصرية والتمييز الجنسي وجميع "الأيديولوجيات" الأخرى التي تبقينا عالقين في كابوس الانفصال.

لقد أثبت العلم أن العناصر التي تشكل أجسامنا قد تشكلت في قلوب النجوم التي احترقت وانفجرت في مستعرات (السوبرنوفا) عظمى منذ مليارات السنين. نحن حرفياً غبار النجوم. لقد نشأنا من الكون، ولذلك فنحن حقاً "عالميون". نحن عائلة بشرية واحدة والكون هو أمنا. عندما ندرك أخيراً أننا أقارب، قد نبدأ أخيراً في معاملة بعضنا البعض بلطف.

نحن و هم

طالما أننا نعيش في عالم "نحن و هم" الذي خلقه وهم الانفصال، فسنستمر في الشجار والقتال. سنستمر في إسقاط الشر الكامن فينا عليهم. سيكون الطرف الآخر دائماً هو غير الجدير بالثقة، والمخادع، والمجرم، وغير الإنساني، بينما نحن طيبون، وصادقون، وقانونيون، ومحبون. سيظل الشخص الآخر هو الإرهابي، بينما نحن مناضلو الحرية. في مؤتمر صحفي عقب أحداث 11 سبتمبر، صرح الرئيس بوش بما يلي:

> كيف أتصرف عندما أرى أن هناك كراهية شديدة لأمريكا في بعض الدول الإسلامية؟ سأخبرك كيف سأرد. أنا مندهش. لا أصدق ذلك لأني أعرف مدى جودتنا.

هو محق بالطبع. لكنه محق جزئياً فقط. أمريكا بلد جيد. وهي تقود البشرية، من نواح عديدة، إلى عالم جديد وأفضل. لكن أمريكا، مثل كل دولة وكل شخص، لها جانبها المظلم. طالماً أنها ترفض الاعتراف بذلك، فستستمر في إسقاط "شرها" على "الآخر". في عالم قائم على ثنائية "نحن و هم"، لا بدّ من وجود "هم" الأشرار. انظر فقط كيف أنه عندما سقطت "الإمبراطورية الشريرة" لروسيا السوفيتية، تم إنشاء "محور شر" جديد في غضون بضع سنوات لملء الفراغ.

لكن الحياة لا يمكن اختزالها أبداً إلى مجرد قصة أخلاقية بسيطة عن انتصار الأخيار على الأشرار، مهما أرادت هوليوود تصويرها بهذه الطريقة. في الحقيقة، لا يوجد أخيار وأشرار، لأننا جميعاً مزيج من الخير والشر. طالما أننا نخدع أنفسنا بأن الشر موجود "هناك" ويمكن محاربته "هناك"، فلن نجد الحل أبداً. الحل الوحيد هو أن ندرك أن "الشر" موجود في أنفسنا. إلى أن

نستوعب حقاً مغزى تعليم "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر"، سنبقى محكومين إلى الأبد برمي الحجارة على بعضنا البعض.

من منظور الغنوصية، فإن الخطوة الأولى لمعالجة أزمة العالم الحالية هي أن نكون على قدر كافٍ من الوعي لفهم وجهة نظر عدونا. كما يقول يسوع في الأناجيل، علينا أن نتوقف عن الإشارة إلى ذرة الغبار في عين خصمنا وأن نعترف بالخشبة الكبيرة في أعيننا. علينا أن نبحث ونعترف بتواضع بكل ما فعلناه لفصل "هم" عن "نحن". علينا أن نصلح أخطاءنا، مع مسامحة خصومنا. علينا أن نثق حتى في الحالات التي خُذلت فيها الثقة. وأحب حتى في الأماكن التي رُفض فيها الحب. علينا أن نرفض لعب لعبة الفائزين والخاسرين، وأن نوضح أنه لا يمكننا الفوز إلا معًا.

في أعقاب فظائع أحداث 11 سبتمبر، اجتاحت موجة من التعاطف مع أمريكا العالم، وسرعان ما تبددت هذه الموجة. كان من الممكن أن يكون كل شيء مختلفًا تمامًا. تخيل لو أن الرئيس الأمريكي خاطب العالم بروح المسيحيين الأوائل الحقيقية:

يشعر الشعب الأمريكي بالألم والصدمة جراء هذه الهجمات المروعة على بلدنا. لكن كثقافة متجذرة في التقاليد المسيحية، في مثل هذه الأوقات المظلمة يجب أن نستمد من أعمق حكمة لدينا، والتي تعلمنا أن نؤمن بقوة الحب والمغفرة. في العهد الجديد، يعلمنا يسوع أنه ينبغي علينا أن نغفر لمن يسيئون إلينا وأن ندير الخد الآخر. يقول: "لقد سمعتم أنه قيل "العين بالعين"، أما أنا فأقول "أحبوا أعداءكم". الحب وحده قادر على شفاء الكراهية. لا يتم تعويض المعاناة إلا عندما تحفزنا على تحسين الأمور. لذلك، على الرغم من أن قلوبنا تنكسر وتمتلئ بالغضب، فلن ننتقم. بدلاً من ذلك، سنحاول أن نسامح أولئك الذين آذونا بشدة. ندعوكم جميعاً ممن يعتبروننا أعداءً لهم إلى القدوم والتحدث معنا. دعونا نجلس حول طاولة ونحسم الخلافات بيننا نهائياً. ساعدنا على إثبات بما لا يدع مجالاً للشك أننا لسنا أعداء لأحد. إذا كنا مذنبين بالتسبب في المعاناة والألم، فأخبرونا بما يمكننا فعله لتصحيح الأمور. سنواصل رعاية حلمنا. حلم بأن يتمكن الأطفال المسلمون من الإمساك بأيدي الأطفال اليهود والمسيحيين كإخوة وأخوات في يوم من الأيام. تعال وساعدنا في تحويل هذا الحلم إلى حقيقة.

ماذا كان سيحدث لو أن رئيس الولايات المتحدة رد بهذه الطريقة؟ كان العالم سيتغير إلى الأبد. كنا سنحقق تقدماً هائلاً في تطور الوعي. كان ذلك سيشير إلى طريقة جديدة تماماً لممارسة السياسة. لكن للأسف، لم يحدث هذا. عندما اقترح الممثل البوذي الشهير ريتشارد جير إمكانية الحب والتسامح في اجتماع عام في نيويورك، قوبل بالاستهجان والسخرية. بعد أن تعرضت أمريكا للدغة شديدة من دبور، كان رد فعلها هو تتبع الدبور إلى عشه وضربه بعصا كبيرة. لم يؤدِ التعرض لمزيد من اللسعات إلا إلى زيادة غضب أمريكا ودفعها إلى ضرب عش الدبابير بقوة أكبر. لقد ضاعت فرصة عظيمة أخرى لتغيير العالم.

سياسة الحب

الحياة حلم نشارك في خلقه معاً كلما ازداد وعينا. بإمكاننا أن نختار مستقبلاً يسوده الكره والانقسام، أو مستقبلاً يسوده الحب والوحدة. يحافظ الغنوصيون على الحلم الطوباوي بالجنة على الأرض. إنهم يغذون الأمل في خلق عالم نستطيع فيه الاستمتاع بملذات الحياة بكل أشكالها المتعددة. إن التطلع

الغنوصي هو إحياء شامل. هذا هو الطموح العظيم الذي يحفز حلم الحياة.

في الوقت الحاضر، نحن عالقون في وهم الانفصال عن بعضنا البعض، مما يعني أن حلم الحياة يستمر في التدهور إلى كابوس. لكن كلما ازداد وعينا بوحدتنا الأساسية، كلما استطعنا تحويل الانقسام والشقاق إلى تعاطف وتعاون. سنفهم ذلك، كما يقول الدالاي لاما:

> إن أسمى واجباتنا كبشر هو البحث عن وسيلة يمكن من خلالها تحرير جميع الكائنات من جميع أنواع التجارب والمعاناة غير المرضية.

يعبّر أينشتاين عن المنظور الغنوصي بشكل مثالي عندما يكتب:

> الإنسان جزء من الكل، الذي نسميه "الكون"، وهو جزء محدود في الزمان والمكان. إنه يختبر نفسه وأفكاره ومشاعره كشيء منفصل عن البقية - نوع من الوهم البصري لوعيه. هذا الخداع هو سجن ما بالنسبة لنا، يقيدنا برغباتنا الشخصية وللتأثير على بعض الأشخاص الأقرب إلينا. مهمتنا تقتضي تحرير أنفسنا من هذا السجن بتوسيع دائرة التعاطف لدينا لاحتضان كل الكائنات الحية وكامل الطبيعة بكل جمالها.

إن التماهي حصرياً مع شخصيتنا المنفصلة يؤدي إلى الأنانية وإلقاء اللوم والجشع. إن التماهي مع طبيعتنا الجوهرية المشتركة يؤدي إلى اللطف والتسامح والكرم. إن الاستيقاظ على وحدة الوعي يحول الشخص الذي نبدو عليه إلى تجسيد للحب. وكلما استطعنا أن نعيش انطلاقاً من الحب، كلما استطعنا أن نساهم بصدق في الطموح العظيم المتمثل في إحياء العالم بأسره.

من منظور واضح، نحن نخلق جميع مشاكلنا بأنفسنا من خلال فشلنا في إدراك أن الحياة هي تعبير عن طبيعتنا المشتركة الأعمق. إذا استطعنا ببساطة أن ندرك أننا واحد، فسنتوقف بشكل طبيعي عن معاملة بعضنا البعض والعالم من حولنا على أنهما منفصلان عن أنفسنا. سنتوقف عن حل خلافاتنا بقتل بعضنا البعض. سنتوقف عن تدمير بيئتنا الطبيعية. لن نستخدم الآخرين بعد الآن كوسيلة لتحقيق إشباع رغباتنا الشخصية. سنبدأ بممارسة سياسة الحب. تميل السياسة إلى التمحور حول قطبية الحرية والمساواة.

تقليدياً، يؤكد اليمين على الحرية ويؤكد اليسار على المساواة. لكن هناك مبدأ ثالث في الشعار الثوري الشهير "الحرية والمساواة والإخاء". إن الأخوة، أو اللطف، هي العنصر المفقود الذي يحتاج ساسة المحبة إلى التأكيد عليه. لأننا فقط عندما نحب سنحرر أنفسنا ونتعامل مع بعضنا البعض على قدم المساواة.

نحن الآن كالأعمى الذي يقوده الأعمى. لا فائدة من إلقاء اللوم على السياسيين. نحصل على السياسيين الذين نستحقهم. في الوقت الحاضر، نختار قادة يقدمون فوائد قصيرة الأجل لإشباع رغباتنا الشخصية المباشرة، وغالبًا ما يكون ذلك على حساب الآخرين والبيئة والمستقبل. لكننا بحاجة إلى اختيار قادة يتمتعون بالرؤية التي تقودنا نحو عالم يتسم بالرحمة الحقيقية. هناك الكثير من الجهل والمصلحة الذاتية التي يجب التغلب عليها، وقد تبدو هذه مهمة مستحيلة. العالم يُدار من قبل الأثرياء لمصلحتهم الخاصة، ويبدو أن تغيير هذا الوضع يمثل تحدياً هائلاً. لكن المصالح الذاتية

الراسخة قد تدمر نفسها بنفسها إذا توفرت الأفكار الصحيحة. يحتاج كل واحد منا إلى التغلب على مصالحه الذاتية الراسخة لكي يستيقظ. وأولئك الذين يملكون السلطة والثروة قادرون تماماً على الاستيقاظ على الحب الكبير مثل أي شخص آخر.

في الأناجيل يعلمنا يسوع أنه من الأسهل أَنْ يَمُرَّ جَمَلٌ مِنْ ثُقْبِ إِبرَةٍ، أَيسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ مَلَكُوتَ اللهِ. هذا ليس حكماً أخلاقياً على الأثرياء، بل هو مجرد ذكر لحقيقة. الجنة هي حالة الحب العظيم التي تنشأ عندما نستيقظ. من المستحيل أن نعيش الجنة حقاً بينما نحن غارقون في الانفصال لدرجة أننا قادرون على التمتع بثروة هائلة بينما يتضور الآخرون جوعاً في الفقر. في ثقافتنا الحالية، نعتبر الثراء الفاحش نعمة عظيمة، ولكن ربما نحتاج إلى النظر إليه على أنه نقمة.

ماذا سيحدث لو بدأنا ننظر إلى الأثرياء المترفين على أنهم يُظهرون سلوكاً معادياً للمجتمع ويحتاجون إلى نوع من إعادة التأهيل المجتمعي؟ ماذا لو أدركنا أن رجال الأعمال الأقوياء اليوم ليسوا سوى أحدث نسخة مما كان يُعرف سابقاً بالأمراء الإقطاعيين والبارونات؟ ماذا لو استبدلنا "قائمة الأثرياء" المألوفة، التي تمجد أولئك الذين جمعوا أكبر قدر من الثروة، بقائمة اللطف، التي تمجد أولئك الذين قدموا أكبر قدر من الخير؟ ماذا سيحدث لو غيّر المجتمع موقفه بحيث أصبح العطاء الكبير أمراً جديراً بالإعجاب والإسراف في التملك أمراً بغيضاً؟ علينا أن نجعل التعاطف موضة رائجة!

اليوم نحكم على نجاح وفشل ثقافتنا من خلال إنجازاتها الاقتصادية. ماذا سيحدث لو استبدلنا مؤشرنا الاقتصادي بمؤشر السعادة؟ ماذا لو حكمنا على مدى نجاحنا ليس بمدى ثرائنا، بل بمدى استمتاعنا بالحياة؟ ماذا سيحدث لو اخترنا خلق ثقافة اللطف التي نشعر فيها بالرضا، وليس ثقافة المال التي نشعر فيها بمزيد من التوتر؟

كل ما هو مطلوب لتحسين الأمور هو أن يستيقظ كل واحد منا ويعيش في حب. لأننا إذا كنا نحب بعضنا البعض حقاً، فسوف نبذل قصارى جهدنا لتخفيف معاناة بعضنا البعض. إن أي شيء نفعله بدافع المصلحة الذاتية الاقتصادية أو الأيديولوجية فقط سيرتد علينا في النهاية، لأن ما ينبع فقط من الشعور بالانفصال سيوقعنا في مزيد من الانفصال. لكن أي شيء نفعله انطلاقاً من معرفتنا بوحدتنا الجوهرية، سيساعد بطريقة ما على التغلب على شعورنا بالانفصال ويوقظنا على الوحدة والمحبة.

كتب جون لينون في أغنيته "ألعاب العقل": "الحب هو الحل وأنت تعلم ذلك بالتأكيد". يا له من ادعاء جريء ورائع. في أعماقنا جميعاً، نعلم ذلك يقيناً. الحب هو الحل لجميع مشاكل البشرية. لا شيء آخر سيفي بالغرض. لا توجد نظريات ذكية. لا ثورات سياسية. لا تنازلات دبلوماسية. الحب فقط. لأن الحب هو الشعور الذي ينتابنا عندما ندرك وحدتنا الجوهرية. كيف يمكننا رأب الصدع بيننا؟ فقط من خلال معرفة أننا واحد والعيش في حب.

الفكرة الأساسية

لخلق عالم جديد وأفضل، نحتاج إلى التفكير بطرق جديدة وأفضل. كما قال أينشتاين:

> لا يمكن حل مشاكل اليوم بنفس العقلية التي خلقتها في المقام الأول.

هناك حديث كثير عن البحث عن فكرة عظيمة يمكن أن تقدم لنا أملاً جديداً في مناخ يتزايد فيه اليأس. نريد أن نشير إلى أن الغنوصيين كانوا يطرحون مثل هذه الفكرة الكبيرة منذ قرون. الكل واحد. الحياة هي وعي واحد يصبح واعياً بذاته بأشكال لا حصر لها، وإدراك الواعي بهذا هو تجربة حب شامل. إنها فكرة عظيمة حقاً. إنها تأخذ افتراضاتنا الأكثر منطقية عن الحياة وتقلبها رأساً على عقب. إنه يغير تماماً طريقة إدراكنا للعالم ولأنفسنا. وهو أكثر من مجرد فكرة. إنه شيء يمكننا أن نعرفه بأنفسنا في هذه اللحظة.

في الوقت الحالي، لا يفهم الفكرة الكبرى القائلة بأننا جميعًا واحد إلا عدد قليل من المتصوفين والمنبوذين على هامش المجتمع. لكنها مسألة وقت فقط قبل أن تخرج من الحيز الغامض الذي ظلت فيه حية عبر العصور. الحياة حلمٌ الاستيقاظ، لذا عاجلاً أم آجلاً ستنتشر الفكرة الغنوصية الكبرى في الثقافة السائدة، بينما نستيقظ بتردد، وبتعثر، وبشكل متقطع، ولكن بثبات.

نميل إلى تصور المستقبل على أنه نسخة أكبر وأفضل من الحاضر. لقد بدأنا باستكشاف الفضاء الخارجي، لذلك نتخيل مستقبلاً مليئاً بسفن الفضاء العملاقة ولقاءات مع الكائنات الفضائية. لقد ابتكرنا تقنيات جديدة استثنائية، لذلك نتخيل مستقبلًا مليئًا بالحواسيب العملاقة والذكاء الاصطناعي. قد يتبين أن هذا صحيح، ولكن كما لم يكن بإمكان أسلافنا التنبؤ بالتحولات التي شهدناها في الثقافة الإنسانية، فمن المرجح أن تكون التغييرات الحقيقية التي تنتظرنا غير متوقعة.

نقترح أن المفاجأة الكبرى التي تنتظر البشرية هي الاستيقاظ على الوحدة والمحبة. سيأتي يوم تسقط فيه حواجز الانفصال التي تفرقنا، فجأة وبسهولة كما سقط جدار برلين. قد يبدو هذا مثالياً، وهذا لأنه كذلك بالفعل. الغنوصيون مثاليون بالمعنى الفلسفي والطوباوي للكلمة. نحتاج إلى أن نكون أصحاب رؤية لنرى إلى أين نحاول الوصول. المُثُل العليا هي بمثابة نجوم نسترشد بها في تحديد مسارنا.

بالطبع، نحتاج أيضاً إلى أن نكون عمليين، لأن المثالية وحدها غير فعالة. لكن البراغماتية في حد ذاتها لا تعني أن تكون "واقعياً"، كما يُزعم في كثير من الأحيان. إنها عقلية ضيقة الأفق وتجاهل تام للواقع. يجب ألا نقع في فخ منطق الاختيار بين أمرين. يجب أن نكون مثاليين وعمليين في آن واحد. يجب علينا توضيح رؤيتنا لعالم أفضل والخطوات العملية التي نحتاج إلى اتخاذها للوصول إلى هناك.

أحد الأمور التي تمنع المثاليين من إحداث تغيير حقيقي هو ميلهم إلى البحث عن حلول مطلقة للمشاكل. لكن حلم الحياة ينشأ من الاستقطاب، لذا فإن كل حل لا يمكن أن يكون إلا جزئياً ويجلب معه مشاكل جديدة وغير متوقعة في كثير من الأحيان. لكن التطور لا يتحقق إلا من خلال الانخراط في هذه العملية. بالطبع سنفشل في تحقيق الرؤية الطوباوية الغنوصية. إذا لم نفشل، فهذا يعني أننا لا نخوض تحديات كبيرة بما فيه الكفاية. لكن يمكننا الاستمرار في المحاولة. ثم نفشل مرة أخرى. لكن الفشل يكون أفضل.

هناك دائماً المزيد لنفعله. هناك دائماً حاجة إلى مزيد من التفاهم، ومزيد من الوحدة، ومزيد من الحب. لكن هذا لا ينبغي أن يحجب عنا مدى التقدم الذي أحرزناه. إن العالم الحديث، على الرغم من كل عيوبه الفظيعة، أكثر عدلاً ورحمة ومليئاً بالمرح من أي شكل آخر من أشكال الحضارة

الإنسانية التي سبقته. مناطق من العالم، مثل أوروبا، التي مزقتها الحروب منذ فجر التاريخ، قد أرست مؤخراً ما يعد بسلام دائم. يتمتع البشر الفقراء نسبياً في البلدان الغنية بمستوى معيشي لم يكن الملوك ليحلموا به في الماضي القريب. نسبة متزايدة من العالم تُدار الآن بشكل من أشكال التوافق الديمقراطي، وليس بالقوة الاستبدادية.

بل إن لدينا برلماناً عالمياً ناشئاً بدأ يتشكل تحت مسمى الأمم المتحدة.

في مناطق مهمة من العالم الحديث، باتت العنصرية مكروهة الآن، على الرغم من أنها كانت تعتبر قبل فترة ليست ببعيدة فضيلة يجب تشجيعها. وبالمثل، يتم القضاء على التمييز الجنسي تدريجياً، ولكن بسرعة فائقة من الناحية التاريخية. بل إننا شرعنا في إظهار التعاطف بين الأنواع المختلفة وبدأنا نتجادل حول حقوق الحيوان. ربما لم نتمكن من منع غزو العراق في عام 2003، لكن آلاف الأشخاص في جميع أنحاء العالم احتجوا لمنعه، وهو أمر لم يحدث من قبل. في أي وقت آخر من التاريخ، كانت فكرة اهتمام الناس في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا بالعراقيين فكرة سخيفة.

لقد تمكنا من تحقيق هذه التطورات المذهلة من خلال زيادة وعينا بنقاط ضعفنا البشرية، لكن هذا الأمر منحنا صورة ذاتية جماعية سلبية للغاية. ينظر الكثير منا اليوم إلى البشر على أنهم طفيليات محاربة وعدوانية وأنانية واستغلالية، تصيب الأرض بالمرض. هذا أمر جدير بالإعجاب لأنه يُظهر استعدادًا لمواجهة الجوانب غير المستساغة للطبيعة البشرية، وهو أمر ضروري إذا أردنا التغيير. لكنه أيضاً تقييم أحادي الجانب للبشر، مما يؤدي إلى التشاؤم واللامبالاة. وهذا يقوض إيماننا بقدرتنا على التطور.

نحن بحاجة إلى اتباع خطى الجماعات الاجتماعية التي غيرت بوعي صورتها الذاتية السلبية. أعلن المجتمع الأسود بكل تحدٍ أنه "أسود وفخور". تجرأ مجتمع المثليين على أن يكون "مثليًا وفخورًا". الآن علينا أن نكون جماعياً "بشريين وفخورين". لأننا في الواقع بخير. لقد قطعنا شوطاً طويلاً في وقت قصير، ولا يبدو أننا سنتوقف. معظم البشر يتمتعون بلطف ورحمة مذهلين. إن مستوى التعاون الذي نعتبره أمراً مفروغاً منه أمر استثنائي. ينبغي أن نكون فخورين وتائبين في آن واحد. صحيح أننا ما زلنا نائمين بشكل رهيب في حالة الانفصال والأنانية، لكننا نستيقظ أيضاً على الوحدة والمحبة. لا تخطئ في ذلك.

هناك بالتأكيد تحديات كبيرة يجب التغلب عليها، ولكن لا يوجد سبب للشعور بالإحباط. . انظر إلى الماضي وسترى الجبال الشاهقة التي تسلقناها بالفعل. إذا استطعنا فعل ذلك، فبإمكاننا فعل هذا. إذا كنا ندرك مدى التقدم الذي أحرزناه، فسنشعر بالقدرة على مواجهة التحديات المقبلة. لأن هناك الكثير من المشاكل التي لا تزال بحاجة إلى التغلب عليها، والآن على نطاق أكثر تدميراً.

لتحقيق مزيد من التقدم، نحتاج إلى فهم التاريخ، ليس فقط كقصة سياسيين متعطشين للسلطة، بل كتطور للوعي. ونحن بحاجة إلى أن نثق في هذه العملية. قبل بضعة عقود فقط، كان يُنظر إلى العبودية على أنها مقبولة من قبل رجال ونساء طيبين ولائقين، ومع ذلك فمن غير المعقول الآن أن نقوم بتقنين العبودية اليوم. وبالمثل، فإن الأهوال التي نعتبرها مقبولة اليوم ستبدو غير قابلة للتصور غداً. كل ما يتطلبه الأمر هو أن نصبح أكثر وعياً.

نحن بحاجة إلى أن نثق في قدرتنا الإبداعية على تحسين الأمور. لقد افترضنا لقرون أنه من المستحيل على البشر الطيران، ولكن بمجرد أن بدأنا نولي هذا الاحتمال اهتماماً، وجدنا أنفسنا سريعاً نطير في طائرات جامبو ونسافر إلى القمر. إذا أردنا أن نستيقظ ونجعل حلم الحياة أفضل حتى نستمتع به بشكل جماعي أكثر، فكل ما علينا فعله هو إيلاء هذا الأمر اهتمامنا الواعي.

أولئك منا الذين بدأوا يدركون معنى الوحدة هم بالتأكيد أقلية في الوقت الحالي، ولكن هذا يجب أن يلهمنا بدلاً من أن يحبطنا. أن تكون في طليعة أي شيء يعني، بحكم التعريف، أن تكون ضمن الأقلية. تكمن المشكلة في أن دعاة الوحدة والمحبة يميلون إلى الهمس بأدب، بدلاً من الصراخ بتحدٍ مثل دعاة الانقسام. لكن الوقت قد حان لنعيش حقاً ما نعرفه ولنكون سفراء للوحدة. من الجدير بالثناء أن يكون المرء متواضعاً ومتحفظاً، لكن ذلك لا يغير شيئاً. لقد عبّر الفيلسوف برتراند راسل عن المأزق بشكل مثالي عندما قال مازحاً:

تكمن مشكلة العالم في أن الأغبياء واثقون من أنفسهم بشكل مفرط، بينما الأذكياء مليئون بالشك.

يشعر أصحاب المنظور الغنوصي بالاشمئزاز من التشدد الإنجيلي لدى أولئك الذين يروجون للدين الحرفي، وغالباً ما يختارون إبقاء صحوتهم مسألة خاصة. وفي هذا حكمة عظيمة، لأننا لن نوقظ الآخرين بفرض الفكرة الغنوصية الكبرى على الناس، بل فقط من خلال تجسيد الحب العظيم في حياتنا. ومع ذلك، فإن الخيار ليس بين التبشير العدواني أو الصمت والتحفظ. يمكننا كلانا احترام استقلالية الآخرين وأن نكون على استعداد للعيش والتحدث بما نعرفه دون مساومة.

إننا نواجه حاليًا فرصة غير مسبوقة لاتخاذ خطوة كبيرة إلى الأمام في رحلتنا نحو الصحوة. لكننا نواجه أيضاً احتمال حدوث رد فعل رجعي قد يؤخر صحوتنا لعقود. لكي يزدهر الأشخاص غير الواعين، كل ما هو مطلوب هو ألا يفعل الأشخاص الواعون شيئاً. الأمر متروك لكل واحد منا ليختار أن يكون جزءاً من الحل، لا جزءاً من المشكلة. إعطاء الأولوية للتعاطف. أن تعيش بوضوح. لقد كتبنا هذا الكتاب كمساهمة منا في صحوتنا الجماعية. إنه بيان لواقع جديد. هل ستستيقظ وتنضم إلى الحفلة؟

لا يفهم النكتة إلا الزنادقة

عندما نشاهد الجرعة اليومية من الارتباك والصراع التي نسميها أخبار التلفزيون، لا تبدو الحياة وكأنها حفلة. يبدو الأمر كما لو أننا مجتمعون حول كومة من القمامة في حديقة ضخمة وجميلة، نتذمر من الفوضى. هناك فوضى، وعلينا التأكد من تنظيفها. لكن دعونا لا ننسى أن نلتفت ونستمتع بالحديقة. إنها رائعة. ما لم نتذكر أن نستمتع بالحياة كما هي، فإننا نفوت المغزى الحقيقي. دعونا نُقدّر ونُحسّن. دعونا نتذكر أن نُقدّر كل لحظة عابرة غامضة. لأن الحياة سحرية.

دعونا نحترم أنفسنا ونعجب ببعضنا البعض: نحن رائعون. أنت رائع. أنت سر الوجود الذي تجلى. أنت العقل الكوني الذي يتخيل هذا الكون الرائع. وأنت إنسان فريد من نوعه، لديك الفرصة للمساهمة ببيت من الشعر في أغنية الحياة المجيدة. لا يوجد في هذا العالم من هو أعظم منك ولا من هو أقل منك. أنت مذهل. لا توجد كلمات كافية لوصف كل ما أنت عليه.

دعونا نتوقف عن كوننا رصينين للغاية ولنحتفل بوجودنا. دعونا نتوقف عن الخوف من الحياة ونتبنى منظورًا إيجابيًا. دعونا نعيش بروح مرحة ونستمتع بروح الدعابة في مأزقنا. لأن الحياة كوميديا سوداء ساخرة لدرجة أن معظمنا يفوته فهم النكات. "الله هو ممثل كوميدي يؤدي دوره أمام جمهور خائف للغاية من الضحك"، كما يقول فولتير ساخراً. فلنسترخي إذن ولنستمتع بالعرض. عندها سنفهم لماذا يضحك يسوع الغنوصي. لأن الحياة مضحكة. لكنّ الزنادقة فقط هم من يفهمون النكتة.

إذا أردنا أن نلبي الدافع الفطري للحياة المتمثل في حب الحياة، فنحن بحاجة إلى الضحك أكثر والقلق أقل. علينا أن نستمع إلى نصيحة لوقيان الوثني الغنوصي:

> أفضل طريقة للعيش هي أن تعيش اللحظة الحالية وتتعامل مع الأمور بأفضل ما تستطيع، محاولاً أن ترى الجانب المضحك من الأشياء.

كجزء من "ممارسته الروحية"، كان العبقري الغنوصي والمدمن على الكحول آلان واتس يستيقظ كل صباح ويقف عارياً أمام المرآة لمدة عشر دقائق وهو يضحك. إذا استطعت أن تتعلم كيف تضحك على نفسك، فستحظى بحياة مليئة بالتسلية. وعندما لا تأخذ نفسك على محمل الجد، يصبح من الأسهل أن تكون مرحاً مع الآخرين. نحن عائلة بشرية واحدة. إذن، فلنتعلم كيف نلعب بشكل جيد.

تمرين فلسفي

الاستيقاظ، كأي شيء آخر، يتطلب ممارسة. تتمثل إحدى الطرق الفعالة للتعامل مع الحياة كرحلة من الاستيقاظ في إنشاء نظام من التمارين الفلسفية، والتي تمارسها بشكل منتظم، بنفس الطريقة التي قد تمارس بها برنامج اللياقة البدنية. إليكم عدداً من التمارين البسيطة، المستندة إلى تعاليم الغنوصية عن الحياة الواعية التي استكشفناها في هذا الكتاب، والتي قد ترغبون في تضمينها في تمارينكم الفلسفية. اختر التمارين التي تجدها جذابة لتصميم نظام يناسب احتياجاتك الفريدة. أطلق القدماء على جامعاتهم التي درسوا فيها الفلسفة اسم "الجيمنازيوم". من خلال هذه التمارين، يمكنك إنشاء صالة رياضية فلسفية خاصة بك، حيث يمكنك بناء العضلات العقلية التي تحتاجها للبقاء مستيقظاً.

الاستيقاظ الآن

هذا تمرين بسيط يتضمن جميع التعاليم الرئيسية للحياة الواعية، والتي يمكنك ممارستها في أي مكان وفي أي وقت. بالتأكيد يمكنك فعل ذلك طوال الوقت. إن الاستيقاظ هو في الحقيقة حركة واحدة في الوعي، ولكن في هذا التمرين قمنا بتقسيمه إلى مراحل لتسهيل تذكره وممارسته. لا تقلق إذا وجدت بعض المراحل أسهل من غيرها. وتذكر أن الاستيقاظ هو دائماً تجربة نسبية، لذا لا تتوقع أن تدخل في حالة عميقة من الغنوص على الفور. لكن لا تستبعد هذا الاحتمال أيضاً. كل شيء ممكن. جرب التمرين وشاهد ما سيحدث:

الاستيقاظ: الخطوة الأولى للاستيقاظ هي إدراك أنك نائم وأنك تريد الاستيقاظ.

الشاهد: الخطوة الثانية هي تغيير المنظور من خلال الانفصال عن شخصيتك الحياتية وأن تكون واعياً وشاهداً على كل ما تمر به.

كن واحدًا محبًا للجميع: الخطوة الثالثة هي احتضان كل شيء في ظل وعي رحيم وأن تكون واحدًا مع الجميع في حب عظيم.

تقدير وتحسين: حافظ على وعيك بكونك وحدة الوعي، وقدّر الحياة كما هي دون قيد أو شرط. والآن انتبه أيضاً لتجربتك في الظهور كشخص. كيف يمكنك أن تتصرف بدافع الحب لتغيير نفسك والعالم لتحسين تجربتنا الجماعية لحلم الحياة؟

التواصل والرحمة

هذه تقنية أخرى بسيطة للغاية يمكنك ممارستها في أي وقت للحفاظ على وعيك:

ركز على تنفسك.

أثناء تنفسك، تواصل مع كل ما هو موجود من خلال الوعي بأن تكون مدركًا أن هذا الوعي واحد مع كل شيء وكل شخص.

أثناء الزفير، احتضن كل شيء وكل شخص بتعاطف غير مشروط.

الجلوس

في العديد من التقاليد الروحية، تُعرف هذه الممارسة باسم "التأمل" أو "الصلاة الصامتة"، ولكن هذه المصطلحات تأتي مع الكثير من الدلالات لدرجة أننا نفضل أن نسمي الممارسة ببساطة "الجلوس". إن الجلوس هو وسيلة لتسهيل الدخول في حالة المشاهدة، من خلال الهدوء والسكون بحيث تقل المشتتات التي تبقيك منغمسًا في حلم الحياة. الجلوس طريقة ممتازة لإجراء فحص دوري للواقع. تُعد فترات التدريب الطويلة والمكثفة مفيدة للغاية لتعميق تجربتك في الغنوص. لكن القليل والمتكرر مفيد أيضاً، لأنه سيساعدك على الحفاظ على حالة من اليقظة بشكل مستمر:

> اجلس براحة في بيئة هادئة لن تتعرض فيها للإزعاج. من الأفضل أن تكون مسترخياً ومتيقظاً، بدلاً من أن تكون متوتراً أو فاقداً للحيوية. قد يكون من المفيد الحد من تجربتك الحسية عن طريق إغلاق عينيك، على الرغم من أن هذا قد يؤدي إلى النعاس. إذا اخترت الجلوس وعيناك مفتوحتان، فمن الأفضل أن تبقي عينيك مركزتين على مكان واحد، مثل شمعة أو جدار أبيض أو نقطة على الأرض.
>
> راقب كل ما تشعر به، وتسمعه، وتراه، وتشمّه. أدرك أن جميع أحاسيسك موجودة ضمن نطاق الوعي.
>
> والآن راقب أفكارك وهي تأتي وتذهب. أدرك أن "أنت" الفرد ليس هو المفكر، وراقب أفكارك وهي تنشأ بشكل عفوي من تلقاء نفسها. الوعي يشبه سماءً زرقاء واسعة، وأفكارك تشبه الغيوم التي ترتفع وتهبط فوق أفق الوعي.
>
> تَماهَ مع المصدر الغامض لأفكارك. كن واعياً وشاهداً على كل ما يحدث.
>
> ستجد أنه كلما زاد ما تشاهده، كلما أصبح جسدك وعقلك أكثر هدوءًا، وأصبح من الأسهل أن تكون واعيًا بوجود الوعي. لكن في البداية، قد تجد نفسك تائهاً باستمرار في أفكارك وتنسى أن تراقب. إذا حدث هذا، فابدأ التمرين مرة أخرى بصبر.
>
> عندما تختزل تجربتك للحظة إلى مجرد وعي يشهد تدفقًا من المظاهر، أدرك أن هذا الوعي واحد مع كل ما يشهده.

أثناء جلوسك، قد تنشأ أنواع مختلفة من التجارب الرائعة. تنصح بعض التقاليد الروحية بتجاهل هذه الأمور باعتبارها مشتتات، لكننا نقترح اتباع نهج يجمع بين الأمرين. استمتع باستكشاف كل ما يحدث أثناء جلوسك، ولكن لا تنغمس في التجربة لدرجة أن تتوقف عن المشاهدة. عندما تصل إلى حالة استرخاء عميق، قد يصبح الإحساس بالتنفس ممتعاً للغاية، وقد تدرك مدى جمال الوجود بحد ذاته. قدّر التجربة، لكن أدرك أنها تنشأ لأنك تراقبها. إذا أغمضت عينيك، فقد تجد أن الرؤى تنشأ في الخيال. قدّرها ولكن لا تغرق فيها. قد تجد أنها تخبرك بشيء ما. دوّن أي أفكار تتبادر إلى ذهنك، ولكن لا تتوقف عن المراقبة.

أثناء الجلوس، من الممكن الدخول في حالة عميقة من التأمل الذاتي حيث يبدأ العالم بالاختفاء من الوعي تمامًا. أحيانًا يصاحب ذلك شعور بالبهجة والرضا التام، وتجربة الضوء والصوت المهتز. يحدث هذا لأنك تدخل بوعي في الحالة التي تختبرها عادةً بشكل لا واعٍ على أنها "نوم عميق". أنت تستكشف الحد الفاصل بين الوعي الواعي والوعي اللاواعي.

بسبب الخمول الناتج عن الجلوس، قد تشعر بأنك تغفو إذا انغمست في أفكارك وأحلامك. قد تشعر برأسك يهتز للأمام فجأة بينما تجد نفسك تغفو للحظة. هذا ليس دليلاً على الفشل. إنها في الواقع حالة مثيرة للاهتمام للغاية ويمكن أن تعلمك الكثير. راقب نفسك وأنت تنجذب إلى أفكارك، وكن واعياً بالجهد النفسي الذي يتطلبه الأمر لإعادة نفسك إلى حالة المراقبة. إن ممارسة هذا التمرين أثناء الجلوس سيجعل من السهل عليك البقاء مستيقظًا في حياتك اليومية، لأن ما يجعلك تضيع في أحلام الحياة هو نفس الخمول النفسي، وما يمكن أن يوقظك هو نفس الجهد النفسي. إن البقاء مستيقظاً أمر سهل، لكن عملية الاستيقاظ تتطلب جهداً حثيثاً.

السلم المؤدي إلى المصدر

يتطلب الاستيقاظ على الوحدة تحولاً جذرياً في المنظور. إذا كنت تجد ذلك صعباً، فقد يكون من الأسهل الوصول إلى هناك خطوة بخطوة، من خلال العمل على طريق العودة عبر الأقطاب التي تشكل تجربتك، مثل تسلق سلم للعودة إلى الوعي، مصدر كل شيء. قم بهذا التمرين ببطء شديد للتأكد من أنك تفهمه حقاً:

إذا قمت بفحص تجربتك في الظهور كشخص، فسوف تدرك أنك تختبر مشاعر كونك جسدًا وتصورات العالم الذي يسكنه الجسد. أنت تختبر قطبية أساسية تتمثل في جسدك والعالم. الشعور والإدراك.

أدرك الآن أن مشاعرك وإدراكاتك هما قطبان لوحدة أساسية، لأنهما كلاهما جانبان من تجربتك الحسية.

إذا نظرت إلى تجربتك الحسية ككل موحد، فسوف تدرك وجود قطبية أساسية أخرى داخل تجربتك، وهي الخيال والإحساس. أنت تختبر حاليًا كلاً من عالمك "الداخلي" من الأفكار وعالمك "الخارجي" من الأحاسيس.

أدرك الآن أن عوالمك الداخلية والخارجية هي أيضًا قطبان لوحدة أساسية، لأنهما كلاهما جانبان من تجربتك.

إذا نظرت إلى جميع تجاربك ككل متكامل، فسوف تصبح واعياً بأنك تشهد تدفقاً من المظاهر.

وأخيراً، أدرك أن الوعي ليس منفصلاً عما يشهده، بل هو واحد مع كل ما هو موجود. هذا هو الغنوص.

التأمل

كلما ازداد فهمك للفلسفة الغنوصية فكرياً، كلما أصبح من الأسهل تجاوز الكلمات وتجربة الغنوص. لفهم تعاليم الحياة الواعية، عليك سماعها مرارًا وتكرارًا، حتى تتمكن تدريجيًا من استيعاب الأفكار بشكل أعمق:

اختر كتابًا من كتب التعاليم الغنوصية واقرأ جزءًا صغيرًا منه يثير اهتمامك.

توقف وفكر ملياً في الأفكار التي صادفتها.

لا ترضَ بفهم جزئي. حاول أن تدفع وتسحب الأفكار التي تفكر فيها لترى ما إذا كانت ستنهار. شكك في افتراضاتك. فكّر في الأمور جيداً.

إليكم عشرة أفكار غنوصية يمكن أن تشكل أساسًا للتأمل، وكل منها يحمل في طياته رؤى لا حصر لها:

لديك طبيعة مزدوجة. أنت تبدو كشخص، لكنك في جوهرك وعي.

العيش الواعي هو تبني منظور "الجمع بين الأمرين" حيث تكون واعياً بكل من طبيعتك الظاهرة وطبيعتك الجوهرية.

بصفتك وعياً، فأنت فراغ واسع يحتوي على العالم. أنت حضور خالد يشهد على تدفق التجارب التي نسميها "الزمن".

الحياة أشبه بحلم يصبح فيه الوعي واحداً من خلال أشكال لا حصر لها ومتنوعة.

نحن واحد دون وعي وكثيرون بوعي. الغنوص هو أن يصبح المرء واعياً بأن كل شيء هو في جوهره واحد.

الاستيقاظ على الوحدة هو تجربة حب عظيم. عندما تعلم أنك واحد مع كل شيء، تجد نفسك مغرماً بالجميع.

إن غاية الحياة هي أن نحب هذه اللحظة. عندما تكون مدفوعاً فقط برغبات أخرى، فإنك تفوت الهدف وتنغمس في حلم الحياة.

إن نقاط الضعف التي تبقيك غافلاً في حلم الحياة هي صفاتك التي أصبحت مشوهة لأنك تفترض أنك فرد منعزل.

إن سبيل حب الظهور بمظهر الشخص هو أن تصبح واعياً بطبيعتك الجوهرية غير الشخصية كوعي.

الحياة الواعية هي حالة من الإحياء. إنها متعة أن تكون إنساناً.

الحب غير المشروط

هذا التمرين هو التمرين الفلسفي الذي استكشفناه في الفصل العاشر، وقد تم اختصاره إلى أربع خطوات بسيطة لتمكينك من تذكره وممارسته بسهولة أكبر. سيساعدك ذلك على تنمية عادة التفكير الرحيم، وبالتالي تجربة الحب غير المشروط للجميع. بتغيير طريقة تفكيرنا، نستطيع تغيير طريقة شعورنا:

أحب كونك في هذه اللحظة: قدر معجزة الوجود. هذا العالم عجيب. بصفتك جسدًا، فأنت موجود في العالم. باعتبارك واعياً، فإن العالم موجود في داخلك. مذهل!

أحب الآخرين: فالآخرون موجودون بداخلك كوعي. احتضن الجميع - الأصدقاء والأعداء على حد سواء - بحب كبير غير مشروط. إذا وجدت هذا الأمر صعباً مع شخص معين، فتذكر أن الحب لا علاقة له بالإعجاب بشخص ما. استحضر في ذهنك الشخص الذي تجد صعوبة في حبه، وتواصل من خلال شخصيته مع جوهره، الذي هو أيضاً جوهرك أنت.

أحب نفسك: أنت رائع. بصفتك جسدًا، فأنت كائن مرئي. بصفتك شخصًا واعيًا، فأنت موضوع غامض. كن واعياً، متقبلاً كل ما تحبه وما تكرهه في طبيعتك الشخصية بحب كبير.

عش في حب: تخيل المعاناة والفرح اللذين يحدثان في جميع أنحاء العالم في هذه اللحظة بالذات، واحتضن كل ذلك بحب كبير. اسأل نفسك كيف ستتغير حياتك لو عشت اليوم انطلاقاً من الحب.

النظر بحب

يمكن أن تساعدك هذه الممارسة على إدراك الفرق بين العيش مع العلم بأن الكل واحد والعيش كفرد منعزل ومنفصل:

اختر شيئًا للتركيز عليه. كن واعياً بشعورك عندما تنظر إلى ذلك الشيء على أنه منفصل عنك.

والآن، كن واعياً بجوهرك الأساسي باعتباره وعياً.

كن واعياً بأن هذا الشيء موجود بداخلك كوعي. أدرك أنك، كوعي، واحد مع الشيء.

كن وحدة الوعي التي تحتضن هذا الشيء بحب كبير.

اشعر بالفرق بين أن تكون فرداً منعزلاً ينظر إلى شيء منفصل وبين النظر بحب من خلال إدراك أن "الرائي والمرئي واحد".

بمجرد أن تتمكن من تجربة النظر بالحب، جرب اللمس بالحب، والاستماع بالحب، والتذوق بالحب، والتفكير بالحب.

التواصل

هذه تقنية رائعة يمكن ممارستها مع صديق لمساعدتك على رؤية ما وراء الانفصال السطحي الذي يفرقنا:

اجلس مقابل شريكك وانظر في عيون بعضكما البعض. لا تحدق من جسدك في عيني شريكك؛ بل كن وعياً واسعاً يحتضن طبيعة شريكك الظاهرة ضمن طبيعتك الجوهرية.

انتبه إلى أنك عندما تنظر إلى شريكك، فإن كل ما تراه في الواقع هو سلسلة من الأشكال والبقع الملونة. إذا ركزت على بؤبؤ عيونهم، فلن ترى سوى ثقوب سوداء. بكل معنى الكلمة!

لا يمكنك رؤية الطبيعة الجوهرية لشريكك، لأنه لا وجود له في حلم الحياة أكثر مما أنت موجود فيه. مثلك تماماً، يبدو أنهم شخص، لكنهم من وجهة نظر ذاتية هم وعي يشهد حلم الحياة.

كانت كلمة "شخص" تعني في الأصل "قناع". انظر من خلال قناع شخصية شريكك إلى سر الوعي.

كن واعياً بأن طبيعتك الظاهرة منفصلة عن طبيعة شريكك الظاهرة، ولكن كوعي أنتما واحد. لاحظ أن هوياتكما الفردية هي أقنعة مختلفة يرتديها الوعي الواحد.

الاستماع بمحبة

في العالم القديم، كان من التقاليد استكشاف الأفكار مع شريك فلسفي. يمكنك القيام بذلك بشكل غير رسمي من خلال المحادثة، وهي طريقة رائعة لإيقاظ بعضكما البعض. لكن من الممكن أيضاً أن يكون من المفيد إضفاء الطابع الرسمي على الحوار الفلسفي باستخدام هذه التقنية البسيطة المتمثلة في الاستماع بمحبة:

> حدد من هو الشريك الأول ومن هو الشريك الثاني. ثم اختر سؤالاً عميقاً ترغبان في استكشافه معاً، مثل "ما هو الحب؟"، "من أنا؟"، "ما الذي يمنعني من الاستيقاظ؟"، وما إلى ذلك.
>
> اجلس مقابل شريكك وكن واعياً بوعيك. ثم يطرح الشريك الأول السؤال على الشريك الثاني.
>
> ثم يقوم الشريك الثاني بالرد بشكل عفوي بأي أفكار تخطر بباله. لا تقم بمراقبة ما تقوله، فقط دع أفكارك تتدفق. لا تشعر بالحرج من التزام الصمت إذا لم تتلق أي رد.
>
> ينبغي على الشريك الأول أن يمارس المراقبة الصامتة وأن يحتضن الشريك الثاني بحب كبير غير مشروط. إذا كان هناك صمت طويل وشعرت بشكل بديهي أنه مناسب، فقد ترغب في طرح السؤال مرة أخرى. لكن بخلاف ذلك، التزم الصمت. لا تتدخل في العملية بإبداء آرائك. ثق بقدرة شريكك على إيجاد حكمته البديهية الخاصة إذا منحته المساحة اللازمة لذلك.
>
> قد تجد أثناء استماعك أن انتباهك ينشغل بأفكارك الخاصة. إذا حدث هذا، فعد إلى الاستماع بحب. قد يكون من المثير للاهتمام ملاحظة أن تدفق أفكار شريكك يتأثر بشكل مباشر بمدى جودة استماعك. عندما يتشتت انتباهك، قد تجد شريكك يفقد تركيزه أو يصبح مرتبكاً، ولكن عندما تمنحه اهتمامك المحب غير المنقسم، يصبح أكثر وضوحاً وبلاغة.
>
> بعد ممارسة هذا التمرين لمدة خمس إلى عشر دقائق، تبادلوا الأدوار. ثم، بعد فترة أخرى، قم بالتبديل مرة أخرى. كرر هذا عدة مرات كما تشاء.

قد يكون من الأفضل في البداية ممارسة هذا التمرين لمدة عشرين دقيقة تقريبًا، ولكن يمكن ممارسته لساعات مع نتائج مذهلة. عندما تُمارس هذا التمرين لفترة طويلة، ستجد أنك تتجاوز الإجابات السطحية على السؤال وتدرك بعض الأفكار الرائعة. أحيانًا يقل الكلام تدريجيًا مع استمرار التمرين، ولكن إذا حافظت على تركيزك، فقد يكون الصمت أكثر حكمة من الكلمات.

نادي الاستيقاظ

من المفيد جداً أن يكون حولك آخرون يدعمون مغامرتك في الاستيقاظ الروحي. قد يحدث هذا بشكل طبيعي من خلال شبكة من الأصدقاء ذوي التفكير المماثل، ولكن قد يكون من الممتع تنظيم هذا الأمر في نادي الاستيقاظ. عليك أن تجد طريقتك الفريدة لإدارة نادي الاستيقاظ الخاص بك والتي تناسب الأشخاص الذين يحضرون، ولكن إليك طريقة بسيطة للبدء وقد نجحت معنا:

اختر وقتاً ومكاناً للقاء. قد ترغب في البدء بحدث لمرة واحدة كتجربة، ثم إذا استمتع الجميع به، ابدأ بالاجتماع بشكل منتظم.

اطلب من الجميع إحضار سؤال يرغبون في استكشافه. يمكنك إصلاح المظهر العام أو تركه مفتوحًا. بدأنا بطلبنا من الناس اختيار سؤال فلسفي بدلاً من معضلة شخصية. وهذا يجنب الجلسة أن تتحول إلى علاج جماعي، والذي قد يكون منعشاً أيضاً ولكنه قد لا يكون المكان المناسب للبدء.

ضع جميع الأسئلة في قبعة. اسحب واحدة واقرأها بصوت عالٍ. اطلب من السائل أن يشرح سؤاله بتفصيل أكبر إذا رغب في ذلك.

ثم اطلب من المجموعة أن تُساهم بأفكارها. ذكّر الجميع بأنك لا تبحث عن الإجابة الصحيحة، لأنها غير موجودة! أنتم تشاركون حكمتكم الجماعية لإيجاد إجابات أعمق فأعمق على السؤال. ذكّر الجميع بممارسة الاستماع بمحبة. يمكن أن تكون الخلافات ممتعة ومثيرة للحيوية إذا كانت ضمن جو من الثقة والاحترام المتبادلين. حافظ على جو المرح.

عندما تشعر المجموعة بأنها انتهت من سؤال واحد، انتقل إلى السؤال التالي. إذا استطعت تغطية جميع الأسئلة في جلسة واحدة، فهذا أمر رائع. وإلا، فارجع إلى الأسئلة الأخرى في وقت لاحق.

الترابط

هذا التمرين هو نسخة جماعية من التمرين الثنائي السابق للتواصل. من واقع خبرتنا، يُعد هذا التمرين فعالاً للغاية عند القيام به مع مجموعة من الأشخاص، كما أنه طريقة رائعة لإنهاء الإجراءات إذا كنت تدير ناديًا للاستيقاظ. هو نوع من أنواع التأمل الجماعي، ولكنه يتميز بمزايا واضحة مقارنة بمعظم أنواع التأمل الجماعي الأخرى. عادةً عندما يتأمل الناس معًا، فإنهم لا يولون اهتمامًا لبعضهم البعض، بل يغمضون أعينهم أو يركزون على شيء للتأمل مثل الشمعة. في هذا التمرين، نركز على بعضنا البعض. هذا يعني أنه يمكننا ممارسة المراقبة أثناء التواصل مع بعضنا البعض في الحب بما يتجاوز انفصالنا الظاهر.

اجلسوا في دائرة ضيقة بحيث يمكنكم جميعاً رؤية عيون بعضكم البعض. ضع أسماء الجميع في قبعة واسحبها واحداً تلو الآخر.

عندما يُقرأ اسم شخص ما، يجب على الجميع تركيز انتباههم على ذلك الشخص من خلال النظر إلى عينيه واحتضانه بوعي واسع ومحبة كبيرة.

ينبغي على الشخص الذي يُنادى اسمه أن يدور حول المجموعة، ويتواصل بصرياً مع كل شخص بدوره للحظة وجيزة، متجاوزاً حجاب المظاهر إلى سر الوعي.

استمروا في هذا حتى يصبح الجميع في وحدة ومحبة.

اهدأ لفترة من الوقت مستمتعاً بتجربة كونك فرداً وجماعة في آن واحد. هذه هي الحياة الواعية.

الحواشي

الجزء الأول، "ماء الاستحمام"، يقدم حجة حول الحقائق التاريخية، لذلك قمنا بشرح هذا عند الاقتضاء. لم نقم بتعليق على الجزء الثاني، "الطفل"، لأنها رحلة فلسفية ولا نريد أن يتشتت انتباه القارئ بملاحظات غير ضرورية.

الفصل الأول الروحانية الغنوصية والدين الحرفي

1.كورنثوس 2 3 :6

2.انظر نهاية العالم لبطرس ، NHC (مخطوطة نجع حمادي)، الرسالة الثانية لسيث العظيم ، NHC، روبنسون ج. م.، مكتبة نجع حمادي (377، HarperCollins paperback 1978)، 365.

3.إنجيل الحقيقة 22 :13-20، مقتبس في يوناس، هـ.، الديانة الغنوصية: رسالة الإله الغريب (دار بيكون للنشر 1958). يقول هانس يوناس عن الاستعارات الغنوصية للحالة البشرية: "ربما تكون صورة النوم هي الأكثر استخداماً وثباتاً. "الروح تغفو في المادة". انظر "الخدر، النوم، التسمم"، 68-73.

4.سفر الرؤيا ليعقوب ، مخطوطات نجع حمادي ، 29.

5.مفهوم قوتنا العظمى ، مخطوطات نجع حمادي ، 311.

6.تعاليم سيلفانوس ، مخطوطات نجع حمادي، 379.

7.إنجيل الحقيقة ، مخطوطات نجع حمادي، 38.

الفصل الثاني التخلص من السموم الدينية

1. ورد في معلوف، أ.، الحملات الصليبية من خلال العيون العربية (كتب الساقي 1984)، 37.

2. المرجع نفسه، 39.

3. صموئيل أوسكيه مقتبس في نتنياهو، ب.، أصول محاكم التفتيش في إسبانيا في القرن الخامس عشر (Random House 1995)، الرابع عشر إلى الخامس عشر.

4. كيرتزر، د. أ.، الحرب غير المقدسة: دور الفاتيكان في صعود معاداة السامية الحديثة (بان بوكس 2001)، 282. يقدم كيرتزر أدلة دامغة على أن اضطهاد النازيين لليهود لم يكن سوى استمرار للاضطهاد الكاثوليكي الذي استمر لقرون. يستعرض المبادئ الرئيسية للحركة المعادية للسامية الحديثة: هناك مؤامرة يهودية سرية لغزو العالم؛ لقد سيطر اليهود بالفعل على المراكز المالية في النمسا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا؛ اليهود غير أخلاقيين بطبيعتهم؛ لا يهتم اليهود إلا بالمال؛ يسيطر اليهود على الصحافة؛ يسيطر اليهود على البنوك وهم مسؤولون عن الخراب الاقتصادي للمسيحيين؛ اليهود مسؤولون عن الشيوعية؛ يقتل اليهود الأطفال المسيحيين ويشربون دمائهم؛ يسعى اليهود إلى تدمير الدين المسيحي؛ اليهود غير وطنيين؛ يجب عزل اليهود؛ يجب تقييد حقوق اليهود. يكتب كيرتزر: "لعبت الكنيسة دورًا مهمًا في نشر كل واحدة من هذه الأفكار التي تعتبر أساسية في معاداة السامية الحديثة. حظي كل واحد منهم بدعم أعلى سلطات الكنيسة، بما في ذلك الباباوات. إذا كانت الكنيسة تتحمل مسؤولية كبيرة عن غرس اثني عشر من الركائز الأيديولوجية الرئيسية للحركة السياسية المعادية للسامية الحديثة، وجاءت الركيزة الثالثة عشرة من مصادر أخرى، فهل نستنتج أن الكنيسة لا تتحمل سوى مسؤولية ضئيلة أو معدومة عن ازدهار معاداة السامية الحديثة في تلك المناطق التي كان للكنيسة فيها نفوذ كبير؟ لقد تطرقنا إلى هذا الموضوع هنا بشكل طفيف فقط، ولكن أي شخص يشكك في دور المسيحية في صعود معاداة السامية الحديثة ومساهمتها في المحرقة يجب أن يقرأ كتاب كيرتزر.

5. يوحنا 15 .6.

6. متى 27 .25، يوحنا 19 .15، يوحنا 8 .44، رؤيا 2 .9.

7. أعطى الله الولايات المتحدة "ما نستحقه" بقلم جون ف. هاريس، كاتب فريق واشنطن بوست . الجمعة 14 سبتمبر 2001 ؛ صفحة CO3. جاءت هذه التعليقات في الوقت الذي كان فيه فالويل يظهر كضيف في برنامج روبرتسون اليومي "نادي الـ 700".

8. علي، ت.، صراع الأصوليات: الحروب الصليبية والجهاد والحداثة (فيرسو 2002)، 157-165.

9. المرجع نفسه، 162-165.

10. المرجع نفسه، 251.

11. وكتبت صحيفة نيويورك تايمز في افتتاحيتها: "من الصعب تصديق أن الرئيس يسمح بالفعل لأيديولوجية هرمجدون بتشكيل سياساته تجاه الاتحاد السوفيتي". "ومع ذلك، كان هو أول من صور الروس على أنهم شيطانيون، وهو الذي يستمر في الحديث عن "المعركة النهائية". http ://www.nytimes.com/1984/10/25/opinion/reckoning-with-armageddon.html

12. http ://www.prop1.org/inaugur/85reagan/85rrarm.htm

13. في متى 16 :28 يؤكد يسوع قائلاً: "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ»". في متى 24 :34 يقول لمستمعيه: "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ". في لوقا 21: 12-36، تكون مزاعم يسوع أكثر إسرافًا: "حَقًّا أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ. وَتَكُونُ عَلاَمَاتٌ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، وَعَلَى الأَرْضِ كَرْبُ أُمَمٍ بِحَيْرَةٍ. اَلْبَحْرُ وَالأَمْوَاجُ تَضِجُّ، وَالنَّاسُ يُغْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ خَوْفٍ وَانْتِظَارِ مَا يَأْتِي عَلَى الْمَسْكُونَةِ. لأَنَّ قُوَّاتِ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابَةٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. وَمَتَى ابْتَدَأَتْ هذِهِ تَكُونُ، فَانْتَصِبُوا وَارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ لأَنَّ نَجَاتَكُمْ تَقْتَرِبُ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ قَرِيبٌ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ.

14. توري، ر. أ. (محرر.)، الأساسيات: شهادة على الحقيقة ، 1909.

15. جون شيلبي سبونج، مقتبس في ليدوم، تي سي (محرر.)، كتاب كنيستك لا تريدك أن تقرأ (شركة كيندال/هانت للنشر 1993)، 16.

الفصل الثالث كلمة الله؟

1. إرميا 8.8 مقتبس في ستورجيس، م. ليس بالضرورة: التحقيق في حقيقة الماضي التوراتي (العنوان الرئيسي 2001)، 186.

2. طومسون، ت. ل.، الكتاب المقدس في التاريخ: كيف يصنع الكتاب الماضي (بيمليكو 1999)، المقدمة الخامس عشر و 164.

3. فينكلشتاين، آي، سيلبرمان، إن إيه، الكتاب المقدس المكتشف: رؤية علم الآثار الجديدة وأصل نصوصها المقدسة (الصحافة الحرة 2001)، 36، 175.

4. خروج 12 .37. انظر التعليق في فينكلشتاين، آي.، سيلبرمان، ن. أ.، الكتاب المقدس المكتشف، المرجع نفسه، 51-60.

5. "... أحد أفضل الأدلة على حقيقة أن القصة لا تصف أحداثًا وقعت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد." ستورجيس، م. ليس بالضرورة: التحقيق في حقيقة الماضي التوراتي (العنوان الرئيسي 2001)، 54.

6. الكتاب المقدس المكتشف: رؤية علم الآثار الجديدة لإسرائيل القديمة . إسرائيل فينكلشتاين ونيل سيلبرمان

7. ستورجيس، م.، ليس بالضرورة ، المرجع نفسه، 7.

8. المرجع نفسه، 129.

9. المرجع نفسه، 132-133.

10. المرجع نفسه، 128-129.

11. طومسون، ت. ل.، الكتاب المقدس في التاريخ: كيف يصنع الكتاب الماضي (بيمليكو 1999)، 205.

12. طومسون، ت. ل.، الكتاب المقدس في التاريخ ، المرجع نفسه، 206، وانظر ستورجيس، م.، ليس بالضرورة، المرجع نفسه، 133.

13. دانيال لازار، "العهد الكاذب: علم الآثار يدحض مطالبة الكتاب المقدس بالتاريخ"، هاربر ، مارس 2002، المجلد. 304، رقم 1822: 40.

14. ديفيز، ب. ر.، البحث عن "إسرائيل القديمة" (مطبعة شيفيلد الأكاديمية 1992)، 58. ستورجيس، م.، ليس بالضرورة، المرجع نفسه، 82.

15. ديفيز، ب. ر.، البحث عن "إسرائيل القديمة" ، المرجع نفسه، 60.

16.اقتبس زئيف هرتسوغ في ستورجيس، م.، ليس بالضرورة ، المرجع نفسه، 58.

17. طومسون، ت. ل.، التاريخ المبكر لشعب إسرائيل: من المصادر المكتوبة والأثرية (بريل غير مؤرخ)، 418.

18. بيكرمان، إي جي، اليهود في العصر اليوناني (مطبعة جامعة هارفارد 1988)، 6.

19. موميليانو، أ.، الحكمة الغربية: حدود الهيلينية (مطبعة جامعة كامبريدج 1975)، 78.

20. هينجل م ، اليهود واليونانيون والبرابرة: جوانب من الهيلينية اليهودية في فترة ما قبل المسيحية (مطبعة 17 ،(SCM 1980.

21. أرستقراطية زائفة. انظر بيكرمان، إي جي، اليهود في العصر اليوناني (مطبعة جامعة هارفارد 1988)، 149.

22. يسجل 2 مكابيين 4 v 7ff وما يليها كيف أنشأ رئيس الكهنة جيسون صالة للألعاب الرياضية وسرعان ما "لم يعد الكهنة يظهرون أي حماس لواجباتهم عند المذبح".

23.يوسيفوس ، ضد أبيون ، 1.165.

24.كليمنت ، ستروماتا ، 1.72.4.

25.يوسيفوس ، ضد أبيون ، 2.163-168.

26. يوسابيوس، برايباراتيو إنجيليكا ، 13.12.1. انظر أيضًا كليمنت، ستروماتا، 1.22، "وأكتب أرسطوبولس، في كتابه الأول الموجه إلى فيلوميتور، بهذه الكلمات: "وقد اتبع أفلاطون القوانين المعطاة لنا، ودرس بوضوح كل ما قيل فيها". يدرج أرسطوبولس سقراط مع فيثاغورس وأفلاطون من بين أولئك الذين استمدوا إشارتهم إلى الصوت الإلهي في تأمل خلق الكون من كلمات موسى. يوسابيوس، برايباراتيو إنجيليكا ، 13.12.3-4.

27.في كتاب "في الجلال" 9.8، المنسوب إلى لونجينوس.

28.إشعياء 66 .19. انظر بيكرمان، إي جي، اليهود في العصر اليوناني ، المرجع نفسه، 14.

29. يوسابيوس، برايباراتيو إنجيليكا ، 9.26.1. انظر غروين، إي. إس.، التراث والهيلينية: إعادة ابتكار التقاليد اليهودية (مطبعة جامعة كاليفورنيا 1998)، 153.

30.المرجع نفسه، 9.9.27.3-4.

31.المرجع نفسه، 9.27.6. غروين، إي إس، التراث والهيلينية ، المرجع نفسه، 155.

32. انظر 1 مكابيين 8.17. انظر موميليانو، أ.، الحكمة الغريبة ، المرجع نفسه، 113. انظر أيضًا ألكسندر بوليهستر ap.، يوسابيوس، برايباراتيو إنجيليكا ، 9.17.1-9.

33. المرجع نفسه، 9.17.8. انظر غروين، إي إس، التراث والهيلينية ، المرجع نفسه، 148.

34. المرجع نفسه، 9.18.1.

35. يوسيفوس، آثار اليهود ، 11.304-339.

36. دانيال 8 .21.

37. يصفها إي. جيه. بيكرمان بأنها "قصة سخيفة تُضفي طابعًا يهوديًا على الحكايات اليونانية ذات الطبيعة المماثلة". بيكرمان، إي جي، اليهود في العصر اليوناني ، المرجع نفسه، 5. يصف إي. إس. غروين ذلك بأنه "تلفيق صريح" يهدف إلى استنتاج أن نبوءة انتصار الإسكندر في الشرق "لم تأتِ من دلفي أو دودونا أو ديديما، بل من إله اليهود". غروين، إي إس، التراث والهيلينية ، المرجع نفسه، 195-196. يؤكد السيد هينجل أن "أقل قيمة تاريخية على الإطلاق يمكن أن تُنسب إلى أسطورة زيارة الإسكندر للمدينة المقدسة وتضحيته في الهيكل بعد فتح غزة". هينجل، م .، اليهود واليونانيون والبرابرة ، المرجع نفسه، 7. يوافق ف. تشيريكوفر على أن "إنها أسطورة تاريخية مصممة لجعل الملك على اتصال مباشر باليهود، وللحديث عن كليهما بعبارات مدح". تشيريكوفر، ف. الحضارة الهلنستية واليهود (جمعية النشر اليهودية الأمريكية 1959)، 45. ويتابع تشيريكوفر قائلاً: "هذه مادة بحثية لا تستحق المؤرخ، بل تستحق دارس الأدب".

38. لم يذكر كل من أريان، وديودوروس، وكورتيوس، وبلوتارخ زيارة الإسكندر. وكما يشير غروين، لا يوجد سبب يدعو المصادر اليونانية إلى إخفاء زيارة إلى المدينة المقدسة، حيث كانت تذكر بانتظام وصول الإسكندر إلى الأضرحة الرئيسية والأماكن المقدسة، حيث كان يكرم الآلهة المحلية ويؤدي أعمال التضحية العلنية. انظر غروين، إي إس، التراث والهيلينية ، المرجع نفسه، 195.

39. المرجع نفسه، 192.

40. انظر واليس، آر تي، الأفلاطونية المحدثة والغنوصية (مطبعة جامعة ولاية نيويورك 1992)، 111 وما بعدها، والتي تعيد بناء أجزاء من حجة فَرفوريوس من الأدلة الداخلية الموجودة في العديد من الأعمال المسيحية التي كُتبت لمهاجمتها. كتب مؤلفون مسيحيون من بينهم ميثوديوس الصوري، وأبوليناريس اللاوديقي، ويوسابيوس القيصري، وفيلوستورجيوس العديد من المجلدات رداً على ذلك، وهو دليل واضح على الذعر الذي أحدثه كتاب فَرفوريوس. تم حظرها وحرقها عندما أصبحت الإمبراطورية مسيحية، وظلت تخضع للرقابة حتى أواخر الأربعينيات من القرن الخامس الميلادي. انظر واليس، آر تي، الأفلاطونية المحدثة والغنوصية (مطبعة جامعة ولاية نيويورك 1992)، 126، ولين فوكس، آر، الوثنيون والمسيحيون (ألفريد أ. نوبف 1987)، 586.

41. على سبيل المثال، في نبوءة يسوع عن هدم هيكل القدس حجراً حجراً. انطلاقاً من عدم إيمانها بهذه "النبوءة"، تعتبر نظرية النقد الأعلى، التي يتبعها الآن معظم علماء الكتاب المقدس، أن

إنجيل مرقس قد كُتب بعد عام 70 ميلادي. إن حقيقة أن المعبد لم يتم تفكيكه بالكامل حتى عام 135 م تشير إلى أن تاريخ إنجيل مرقس قد يكون لاحقاً بكثير من عام 70 م.

42.رسالة أرسطياس ، 201.

43.مارلو، ج.، العصر الذهبي للإسكندرية (فيكتور جولانز 1971)، 83.

44. ديفيز، ب. ر.، البحث عن "إسرائيل القديمة" (مطبعة شيفيلد الأكاديمية 1992)، 26.

45. انظر طومسون، ت. ل.، الكتاب المقدس في التاريخ ، المرجع نفسه، المقدمة الخامس عشر، 254، 293. ومن الأدلة الأخرى التي تشير إلى إعادة تكريس الهيكل في عهد المكابيين كتاريخ محوري التسلسل الزمني الواضح الآن في النص الماسوري. انظر ديفيز، ب. ر.، البحث عن "إسرائيل القديمة" ، المرجع نفسه، 154.

46.يوسيفوس، آثار اليهود 13.249.

47. طومسون، ت. ل.، الكتاب المقدس في التاريخ، المرجع نفسه، 297. كان موظفو وزارة يهود يزعمون بالفعل أن مقاطعتهم الصغيرة هي بقايا إمبراطورية عظيمة في يوم من الأيام، بل ويزعمون نوعًا من الولاية القضائية على كامل المقاطعة ... "ما وراء النهر"، الأرض الموعودة لإبراهيم في سفر التكوين والتي حكمها داود وسليمان. هل كان ذلك على أساس هذا الادعاء الخيالي، الذي أُجبر ملك فارسي على تأييده... أن ملوك يهوذا اللاحقين، الحشمونيين، سعوا إلى إعادة إنشاء ما اعتبروه حدود إسرائيل التاريخية، بما في ذلك في مملكتهم أولئك "أنصاف اليهود " من أدوم وشرق الأردن؟ انظر ديفيز، ب. ر.، البحث عن "إسرائيل القديمة" ، المرجع نفسه، 87.

48. يكتب طومسون: "لقد استكشفت أكثر من كتاب حديث في الدراسات الكتابية إمكانيات تشكيل أحزاب سياسية متطرفة حول نواة أصولية تشبه طالبان من المتعصبين الدينيين. هذا العمل واعد للغاية." طومسون، ت. ل.، الكتاب المقدس في التاريخ ، المرجع نفسه، 297. تردد روايات يوسيفوس عن الفتوحات العسكرية لهيركانوس قصص ملوك اثنين وتتعامل مع حقائق التحويلات القسرية في بيئة مسيسة دينيًا.

49.ديفيز، ب. ر.، البحث عن "إسرائيل القديمة" ، المرجع نفسه، 56.

50. يوسيفوس، المرجع نفسه، الحرب اليهودية 1.305-316. انظر هينجل، م. اليهود واليونانيون والبرابرة، المرجع نفسه، 73.

51. سفر الأعداد 31. يبدو هذا غير عادل بشكل مضاعف، ففي سفر الخروج 2 :15 عندما هرب موسى من فرعون، سكن في أرض مدين حيث ساعد الرعاة في سقي قطيعهم.

52. 2 مكابيين 2 .13 '... لذلك جمع يهوذا كل الكتب التي كانت مبعثرة'، انظر ديفيز، ب. ر.، في البحث عن 'إسرائيل القديمة'، المرجع نفسه، 151.

53. إن تطور "التقاليد" على مدى بضعة أجيال، وبشكل متزامن إلى حد ما، هو نموذج آمل أن

يولي له الباحثون اهتماماً كبيراً في المستقبل. ديفيز، ب. ر.، البحث عن "إسرائيل القديمة" ، المرجع نفسه،

124. 4 *Qtestimonia* ، وهو نص مخطوطات البحر الميت (DSS)، يعطي مثالا جيدا لكيفية إنشاء نص جديد عن طريق خياطة آيات من نصوص أخرى. تُظهر مخطوطات العلوم الرقمية أن النصوص كانت لا تزال تتطور، ويجب أن يُطلق على Qtestimonia 4 اسم نص جديد بحد ذاته. انظر طومسون، ت. ل.، الكتاب المقدس في التاريخ ، المرجع نفسه، 275. "توضح مخطوطات البحر الميت أن التطورات الأدبية المعقدة للغاية يمكن أن تحدث خلال فترة زمنية قصيرة ظاهريًا". ديفيز، ب. ر.، البحث عن "إسرائيل القديمة" ، المرجع نفسه، 97.

54. طومسون، ت. ل.، الكتاب المقدس في التاريخ ، المرجع نفسه، 270.

55. جدول التواريخ مصمم على غرار جدول طومسون، المرجع نفسه، 73-75.

56. توركان، ر.، طوائف الإمبراطورية الرومانية (بلاكويل للنشر 1992)، 18-19.

57. المرجع نفسه، 28.

58. خروج 6 .3.

59. طومسون، ت. ل.، الكتاب المقدس في التاريخ ، المرجع نفسه، 210 و 271.

60. يزعم سفر المكابيين الأول وجود صلة قرابة بين الإسبرطيين واليهود حيث ادعت كلتا الأمتين أن إبراهيم هو أحد الأجداد. لا تدور هذه الحكاية في ملحمة أو دراما أو عمل من أعمال الخيال الرومانسي، بل تستند إلى وثائق ظاهرة ومراسلات دبلوماسية. كانت الروابط بين المدن والدول الصديقة، والتي غالباً ما تنبع من سلف مشترك، وعادة ما يكون أسطورياً، عنصراً أساسياً في الفولكلور اليوناني، وقد استغل اليهود هذه الفكرة الخيالية بسهولة. إن الطابع اليهودي المتمحور حول كل هذا لا لبس فيه. إن حقيقة أن إبراهيم، الأب الروحي للعبرانيين، يظهر باعتباره السلف النهائي لكل من الإسبرطيين واليهود توضح هذه النقطة دون أي لبس. انظر غروين، إي إس، التراث والهيلينية ، المرجع نفسه، 264.

61. طومسون، ت. ل.، الكتاب المقدس في التاريخ ، المرجع نفسه، 256.

62. يعتبر الحاخام البروفيسور جوناثان ماجونيت، مدير كلية ليو بايك، أن هذا الخلط في الأسماء يعود إلى أصول الكتاب المقدس. انظر ستورجيس، م.، ليس بالضرورة ، المرجع نفسه، 170.

63. تُظهر الأختام والبرونزيات من العصر الفارسي في المتاحف الأثرية في القدس أثينا، وهيراكليس، والساتير، وآلهة يونانية أخرى. انظر موميليانو، أ.، الحكمة الغريبة ، المرجع نفسه، 79. تحمل عملة معدنية في المتحف البريطاني تعود إلى العصر الفارسي نقش "يهودا" (YHD) وتظهر شخصية على عرش مجنح تواجه قناعًا ديونيسيًا. انظر كانيل ، بي.، عالم الآثار التوراتي ، 26 (1963)، 40 والشكل. 2. والأكثر إثارة للاهتمام، أن عملة معدنية عُثر عليها في موقع أثري على بعد أقل من أربعين ميلاً من القدس تصور يهوه على أنه مؤسس أسرار إليوسيس. انظر

ماكيوورو، ف. د.، من أورفيوس إلى بولس (كونستابل وشركاه 1930)، 189.

.64سفر إرميا 11 .13.

.65 اقترح فولتير (حوالي عام 1760) أن الترانيم الأورفية كانت دليلاً على وجود عقيدة توحيدية سرية بين اليونانيين. انظر بيكرمان، إي جي، اليهود في العصر اليوناني (مطبعة جامعة هارفارد 1988)، 227. الأورفية مرادفة للفيثاغورية، والأفلاطونية هي التدوين الفلسفي للفيثاغورية. ينبغي اعتبار هذا التيار الفلسفي، على الرغم من كونه غالباً سرياً، نوعاً من الماسونية القديمة التي مارست تأثيراً عميقاً على جميع المفكرين العظماء في العالم اليوناني الروماني. لقد نجحت الدعاية المسيحية إلى حد كبير في طمس هذا التقليد من أجل تعزيز أصالتها المزعومة.

.66 "الحكيم هو واحد فقط، راغب وغير راغب في أن يُنادى باسم زيوس". إن أقوال هِرَقْليطُس مليئة بالإشارات إلى الأفكار الأحادية، على سبيل المثال، "من كل الأشياء واحد ومن شيء واحد كل شيء"، و"من الحكمة، لا الاستماع إليّ بل إلى اللوغوس، أن نتفق على أن كل الأشياء واحدة".

.67 وأعلن أنتيسِتنيس، متبعًا مسار زينوفانيس، أن الآلهة الشعبية كثيرة، لكن إله الطبيعة واحد، وهو أنتيسِتنيس. . . *Populares deos multis، Naturalem unum esse dicens*'. شيشرون، في طبيعة الآلهة 1.13.32. وقد عبّر سقراط أيضاً عن هذا الشعور. لقد ورث الرواقيون الفكرة من الكلبيين، ودون جعلها عقيدة رسمية، فإنهم يفترضونها باستمرار باستخدام مصطلح "الله" بصيغة المفرد. انظر أرنولد، إي في، الرواقية الرومانية (روتليدج وكيجان بول المحدودة 1911)،

.68 انظر هينجل، م .، اليهود واليونانيون والبرابرة ، المرجع نفسه، 96. تم استبدال تعريف يهوه الذاتي في سفر الخروج 3 .14 بـ "أنا من أنا"، " *ego eimi ho on* ".

.69يوسيفوس ، ضد أبيون ، 2 .163-168.

.70 يسجل الكتاب المقدس نفسه ميل سليمان إلى الزواج من نساء أجنبيات وعبادة آلهة أجنبية. ومن بين الآلهة التي كرمها كانت عشترة، إلهة الصيدونيين. *1* ملوك 11: 1-6.

.71 ديانا إيدلمان، عالمة آثار في قسم الدراسات الكتابية بجامعة شيفيلد. انظر ستورجيس، م.، ليس بالضرورة ، المرجع نفسه، 180.

.72 يخبرنا الكتاب المقدس أن الملك يوشيا كان يكن كراهية خاصة لأشيرا، واضطهد طائفتها. تشير مقاطع أخرى في الكتاب المقدس إلى الإسرائيليين على أنهم حزينون لأنه لم يعد مسموحًا لهم بعبادة "ملكة السماء"، وإلقاء اللوم على معاناتهم الحالية على حظر عبادتها. انظر ستورجيس، م.، ليس بالضرورة كذلك، المرجع نفسه، 186، وانظر إرميا 17-19، "بَلْ سَنَعْمَلُ كُلَّ أَمْرٍ خَرَجَ مِنْ فَمِنَا، فَنُبَخِّرُ لِمَلِكَةِ السَّمَاوَاتِ، وَنَسْكُبُ لَهَا سَكَائِبَ. كَمَا فَعَلْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا وَمُلُوكُنَا وَرُؤَسَاؤُنَا فِي أَرْضِ يَهُوذَا وَفِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ، فَشَبِعْنَا خُبْزًا وَكُنَّا بِخَيْرٍ وَلَمْ نَرَ شَرًّا. وَلكِنْ مِنْ حِينَ كَفَفْنَا عَنِ التَّبْخِيرِ لِمَلِكَةِ السَّمَاوَاتِ وَسَكْبِ سَكَائِبَ لَهَا، احْتَجْنَا إِلَى كُلّ، وَفَنِينَا بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ"

.73بحسب القرآن، سورة ص 15-25.

.74رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي 3 .5-6. يقدم بولس سرداً كاملاً لتبريره وفقاً للشريعة اليهودية - مختون في اليوم الثامن، إسرائيلي الأصل، من سبط بنيامين وفريسي غيور - "بمعيار الشريعة بار بلا عيب". والمثير للدهشة أنه يقول في الآية 8 أنه يعتبر كل هذا "روثاً" (ترجمة الملك جيمس). نظرًا لأن الكلمة اليونانية *skubalon* يمكن أن تعني أي نفايات، بما في ذلك فضلات الحيوانات، فإننا نشعر أن هناك ما يبرر جعل هذا "براز"، على الرغم من أننا ندرك أنه قد يسيء إلى بعض القراء. في سفر عبرانيين 8. 13 يكتب بولس إن تسمية هذا الاتفاق بـ"الجديد" يجعل الاتفاق الأول بالفعل "قديماً"، ولن يبقى شيء عتيق ومتهالك كهذا لفترة أطول.

الفصل الرابع أشهر رجل لم يعش قط

1. هيبوليتوس، إلينخوس 5. 9.5. انظر سيغال، ر. أ.، يونغ الغنوصي (مطبعة جامعة برينستون 1992)، 70.

2. جاستن الشهيد، الاعتذار الأول 54، والحوار مع تريفو ، الفصل 69. يزعم جاستن أن الشياطين الأشرار "قلدوا ما قيل عن مسيحنا" "لخداع وإضلال الجنس البشري". انظر غوثري دبليو كيه سي، أورفيوس والدين اليوناني (مطبعة جامعة برينستون 1952)، 266، وانظر كينغ، سي دبليو، الغنوصيون وبقاياهم (ديفيد نوت لندن 1887)، 122-123.

3. "إن الشيطان، الذي تتمثل مهمته في تحريف الحقيقة، يقلد الظروف الدقيقة للأسرار المقدسة الإلهية. يقوم بتعميد أتباعه ويعدهم بمغفرة الذنوب من النبع المقدس، وبذلك يؤهلهم في دين ميثراس. وهكذا يحتفل بتقديم الخبز كقربان، ويُدخل رمز القيامة. فلنعترف إذن بمكر الشيطان، الذي يقلد بعض الأشياء الإلهية. اقتبس ترتليان في كينغزلاند، دبليو.، الغنوص (مطبعة فانيس 1937)، 99.

4. جيبون، إ.، انحدار وسقوط الإمبراطورية الرومانية (Penguin Classics، 529) الحاشية 36. اعتبر جيبون أن التزوير قد حدث "بين زمن أوريجانوس وزمن يوسابيوس".

5. شفايتزر، أ.، البحث عن يسوع التاريخي ، مقتبس في ويلسون، أ.، يسوع: الأدلة (هاربر سان فرانسيسو 1997)، 37.

6. غراهام، ب .، خدعة يسوع (ليزلي فروين 1974).

7. "يعقوب بن يوسف أخ يسوع". لم يكتشف علماء الآثار السبيكة العظمية وهي مجهولة المصدر. ويزعم الشهود أنهم رأوها في سوق الآثار في القدس في سبعينيات القرن الماضي، ولكنها كانت آنذاك بدون الجزء الثاني من النقش "أخو يسوع". أعلنت سلطة الآثار الإسرائيلية أنها مزيفة، كما أكد خبير في اللغة الآرامية القديم. ⇥ نقش s. انظر
http :// www.bibleinterp .com/articles/Official_Report.shtml :

8. ويلز، جي أي، هل يسوع موجود؟ (20، Pemberton Publishing 1975). انظر أيضًا ستانتون، ج.، حقيقة الإنجيل ؟ (هاربر كولينز 1995)، 131، حيث يلاحظ ستانتون أن "فشل بولس في الإشارة بشكل متكرر وبإسهاب أكبر إلى أفعال وتعاليم يسوع أمر محير".

9. ويلز، جي أي، هل يسوع موجود؟ (شركة بيمبرتون للنشر 1975)، 20-21.

10. غَلَاطِيَّةَ 1 .12.

11. كولوسي 1 .25-28.

12. غلاطية 3 .26-29.

13. رومية 6 .4-6.

14. رومية 6.6.

15. قام مرقيون بتأليف رسالة تسمى "الأضداد"، وهي عبارة عن مقارنة بين نصوص العهد القديم والعهد الجديد مصممة لإثبات أن "الإله العادل" في العهد القديم لا يمكن أن يكون "الإله الصالح" في العهد الجديد.

16. "كل من يعتمد على أعمال الناموس هو تحت اللعنة"، غلاطية 3 .6-11. "افتدانا المسيح من لعنة الناموس، غلاطية 3 .13-14. بالنسبة لبولس، كما هو الحال بالنسبة للغنوصيين، من خلال المشاركة في آلام المسيح وقيامته، يمكن للمسيحي المبتدئ أن يُفتدى من الشريعة ويتحرر. يكتب بولس، "الآن، بعد أن متنا، فقد خرجنا من نطاق الناموس الذي كان يُقيدنا"، رومية 7 .6.

17. كورنثوس *2* 3 :6

18. تعتبر رواية جوزيف وأسينات، وهي قصة تحول فتاة مصرية إلى اليهودية والتي كتبت في القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد، أقدم رواية يونانية موجودة بحسب موميليانو. انظر موميليانو، أ.، الحكمة الغريبة ، المرجع نفسه، 117. كانت تحظى بشعبية كبيرة بين المسيحيين الأوائل.

19. استنكر الوثنيون عدم رغبة اليهود في العمل يوم السبت، وختانهم، ومحرماتهم الغذائية باعتبارها خرافات. كانوا قاسيين بشكل خاص بشأن تلك القوانين التي منعت اليهود من التواصل مع جيرانهم الوثنيين أو الاعتراف بآلهتهم. انظر بالزدون جي بي ، الرومان والفضائيون (مطبعة جامعة نورث كارولينا 1980)، 67. انظر أيضًا إلى أبول. فلور 6؛ سترابو 16، 2، 35 وما بعدها؛ 760 وما بعدها. هوراس السبت 1، 4، 143. بلوتارخ، عن الخرافات . دعا أبولونيوس مولون من رودس في القرن الأول قبل الميلاد اليهود *atheoi* و *misanthropoi*، بسبب طريقة حياتهم في المدن اليونانية. ويزعم أنهم "أغبى البرابرة" وأنهم فشلوا في إنتاج "اختراع واحد له أي فائدة في الحياة". يتم توجيه نفس التهمة من قبل أبيون، يوسيفوس، كونترا أبيونيم 2 .148 و 135، و سيلسوس في اوريجانوس كونترا سيلسوس 4 .31. انظر هينجل، م.، اليهود واليونانيون والبرابرة، المرجع نفسه، ص 80.

20. شيشرون، برو فلاكو 28، 67.

21. سفر الخروج 21 .24-26.

22. يوحنا 8 .44.

.23لوقا 11 .52.

.24 انظر مناقشة مدى انتشار الغنوصية في الشرق في برايس، ر. م.، تفكيك يسوع (كتب بروميثيوس 2000)، 24 وما بعدها.

.25 مقتبس من لاكاريير في لاكاريير، ج.، الغنوصيين (أضواء المدينة 1989)، 100.

.26 باجلز، إي.، الأناجيل الغنوصية (راندوم هاوس 1979)، 121-122. على عكس هيبوليتوس وإيريناوس، لم يتم تطويب ترتليان، على الأرجح لأنه ارتد إلى المونتانية في عام 207 م. انظر جيبون، إ.، انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية ، المرجع نفسه، 523، حيث يسجل جيبون كيف أن ترتليان، بعد ارتداده، شرع في مهاجمة أخلاق الكنيسة التي دافع عنها سابقًا بحزم.

.27إيريناوس ، خصوم الهرطقات 1.1.

.28 الرسالة الثانية لشيث العظيم، 60، 20. روبنسون، ج. م.، مكتبة نجع حمادي (طبعة هاربر كولينز الورقية 1978)، 362.

.29إيريناوس ، خصوم الهرطقات 1 .11.8.

.30 كان البروفيسور فيلهلم فريدي (1859-1906) من جامعة بريسلاو أول من أظهر أن إنجيل مرقس الذي يفترض أنه "بدائي" قد خضع لإعادة كتابة وتحرير لاهوتي مكثف. في عام 1919 أثبت كارل لودفيج شميدت أن الإنجيل قد تم تأليفه من أجزاء موجودة مسبقًا وأن الروابط التي تربط بين هذه الأجزاء كانت من اختراع المؤلف نفسه.

.31ويلسون، أ.، يسوع ، المرجع نفسه، 36.

.32 لمزيد من المعلومات حول مريم المجدلية: مؤلفة الإنجيل الرابع؟ راجع موقع ويب Ramon K. Justino على www.beloveddisciple.org

.33 130 وقد سُميت العديد من المدارس الغنوصية بأسماء نساء، مثل هيلين، وسالومي، ومريم، ومارسيلينا، ومارثا. انظر هوفمان، ج.، سيلسوس حول العقيدة الحقيقية (مطبعة جامعة أكسفورد 1987)، 42، حيث يلاحظ المؤلف أنه "لا يسع المرء إلا أن ينبهر بعدد الطوائف التي أسستها النساء والمعروفة لدى سيلسوس".

.34ويلسون، أ.، يسوع ، المرجع نفسه، 39.

.35 لودمان، ج .، الهراطقة (مطبعة SCM 1995)، 196. يتتبع إيريناوس جميع البدع من سمعان الساحر ويستشهد بأعمال الرسل لإظهار أن بطرس قد رفض الهرطقي بشكل كبير. يذكر جاستن سمعان الساحر مراراً وتكراراً، لكن الغريب أنه لا يشير إلى سفر أعمال الرسل . يؤكد لوديمان أن سبب ظهور أعمال الرسل المفاجئ بين جاستن وإيريناوس "واضح بذاته". يقول اللاهوتي الألماني هانز فان كامبنهاوزن: "لا نجد شهادة على أعمال الرسل قبل إيريناوس"، مقتبس في لودمان،

جي . الهراطقة (مطبعة 315 ،(SCM 1995. إن وجهة نظر هارناك ثاقبة: "إن سفر أعمال الرسل هو المفتاح لفهم القانون الكاثوليكي وفي الوقت نفسه يظهر" حداثته ". يعترف ترتليان نفسه بأن سفر أعمال الرسل قد رُفض من قبل "الزنادقة".

36. ويلز، جي أي، هل يسوع موجود؟ (دار نشر بيمبرتون 1975)، 141. تم ذكر الاثني عشر في الفصول الأولى من سفر أعمال الرسل. في الفصل التاسع نسمع أنهم قادة كنيسة أورشليم. بحلول الفصل 15، يتشاركون هذه القيادة مع "الشيوخ"؛ ومن الفصل 16 إلى ما بعده، لا نسمع عنهم بعد ذلك، وتدار كنيسة أورشليم بواسطة يعقوب و"الشيوخ".

37. أعمال الرسل 1: 21 وما بعدها. انظر لودمان، ج.، الهراطقة ، المرجع نفسه، 104.

38. إن رواية سفر أعمال الرسل عن زيارة بولس إلى أورشليم تتعارض مع شهادة بولس في رسالته إلى أهل غلاطية . بحسب سفر أعمال الرسل، بعد تجربته الرؤيوية على الطريق إلى دمشق، أُمر بولس بالبحث عن تلميذ يُدعى حنانيا في دمشق والذي سيخبره بما يجب عليه فعله (أعمال الرسل 9 :10). ثم يذهب إلى أورشليم حيث يقدمه برنابا إلى الرسل (أعمال الرسل 9 .27). في الهيكل في أورشليم، يرى رؤية ثانية ليسوع ويتلقى دعوته للتبشير للأمم (أعمال 22: 17-21). لكن هذا يختلف تمامًا عن رواية بولس نفسه، حيث لم يذكر حنانيا وادعى أنه ذهب إلى الجزيرة العربية ولم يكن له أي علاقة بالمسيحيين في القدس لمدة ثلاث سنوات بعد تجربة اهتدائه (غلاطية 1: 15-17). بل إنه يكتب بشكل قاطع: "ما أكتبه هو الحقيقة الصريحة؛ أمام الله أنا لا أكذب". إذن من يكذب؟

39. يوحنا 1 .42. لم يطلق يسوع أي ألقاب على التلاميذ الآخرين، ولم يشرح سبب قيامه بذلك مع سمعان. ولكن الأمر الأكثر غرابة، أنه بعد كل هذا العناء في إعادة تسميته إلى صَفَا، لم يتم الإشارة إليه بهذه الطريقة مرة أخرى.

40. انظر ويلز، جي. أ.، هل يسوع موجود ؟ ، المرجع نفسه، 124 وما بعدها. كما يشير ويلز، "لا يوجد شيء في رسائل بولس يدعم الرأي القائل بأن بطرس الذي ذكره كان له نفس المسيرة والعلاقة مع يسوع المزعومة لبطرس في الأناجيل".

41. انظر باجلز، إي.، بولس الغنوصي (دار ترينيتي برس الدولية 1975)، 104.

42. وتشير باجلز إلى أن إيريناوس يفتتح رسالته بشكل لافت للنظر مدعياً "سلطة الرسول في معارضة الغنوصيين - من خلال الاستشهاد بكل من تيموثاوس وتيطس". باجلز، إي .، بولس الغنوصي ، المرجع نفسه، 5. يعترف ترتليان بأن الهراطقة تجرأوا على الطعن في صحة الرسائل الرعوية، لكنه يصر على أن "بولس نفسه" الذي كتب رسالة غلاطية كتب أيضًا رسالة تيطس.

43. *1* تيموثاوس 6 .20. تم رفضأعمال الرسل والكتب الرعوية من قبل الرسول الغنوصي. انظر لودمان، ج.، الهراطقة، المرجع نفسه، 196.

44. *1* تيموثاوس 6 .13.

45. يعترف إيريناوس بأن المعلم الغنوصي ماركوس قد اجتذب "العديد من النساء الساذجات"، بما في ذلك زوجة أحد شمامسته، لكنه يدعي أن ذلك كان لأن ماركوس كان مغوياً ماكراً بشكل شيطاني. ومع ذلك، فإن اعترافه اللاحق بأن المرقونيين كانوا يعبدون العنصر الأنثوي من الكائن الإلهي، "هي التي قبل كل شيء"، ويشجعون النساء على التنبؤ والعمل ككاهنات، لا بد أن يكون هو السبب الحقيقي. إيريناوس، ضد الهرطقات، 1.13.5، 1.13.1-2، وهيبوليتوس، دحض جميع الهرطقات 6.35. انظر باجلز، إي.، الأناجيل الغنوصية (راندوم هاوس 1979)، 80. كتب ترتليان: "نساء هؤلاء الزنادقة، كم هم طائشون! لأنهم جريئون بما يكفي للتعليم، وللجدال، ولإجراء طقوس طرد الأرواح الشريرة، وللقيام بالعلاجات - بل قد يصل الأمر إلى التعميد. ترتليان، في وصف الهراطقة، 41.

46. *1* تيموثاوس 2 :11-12.

47. تم تزوير الرسائل الرعوية، ورسالة تسالونيكي الثانية، ورسالة كورنثوس الثالثة، وغيرها من الوثائق لدحض عقائد غنوصية/بولسية محددة باسم الرسول نفسه. انظر لودمان، ج.، الهراطقة ، المرجع نفسه، 201.

48. *2* يوحنا 7.

49. وهي حقيقة لاحظها منذ عام 1699 زعيم الحركة الربوبية في إنجلترا، جون تولاند، الذي كتب: "ليس هناك كتاب واحد من العهد الجديد لم يرفضه بعض الكتاب القدماء باعتباره منسوبًا ظلمًا إلى الرسل ومزيفًا بالفعل من قبل خصومهم". انظر ميتزجر، ب. م.، شريعة العهد الجديد (مطبعة جامعة أكسفورد 1987)، 13.

50. ملاخي 3 .25.

51. ترتليان، في وصف الهراطقة، الفصل 1.

52. لين فوكس ر.، الوثنيون والمسيحيون (كتب البطريق 1986)، 439.

53. باجلز، إي.، الأناجيل الغنوصية ، المرجع نفسه، 106. أولئك المتحمسون للاستشهاد هم "الحمقى" الذين يقولون ببساطة عبارة "نحن مسيحيون" بينما لا يعرفون "من هو المسيح". إنهم "شهداء فارغون، لأنهم لا يشهدون إلا لأنفسهم". لن يكون موتهم إلا "موتاً بشرياً" ولن يؤدي إلى الخلاص الذي يتوقعونه، لأن "هذه الأمور لم تُحسم بهذه الطريقة" و"ليس لديهم الكلمة التي تعطي الحياة".

54. رؤيا بطرس 78 .1-2.

55. توركان، ر.، طوائف الإمبراطورية الرومانية (بلاكويل للنشر 1992)، 126، نقلاً عن إيونابيوس، حياة السفسطائيين .

56. فيدلر، د.، يسوع المسيح، شمس الله (كويست بوكس 1993)، 180. وقال القديس أوغسطين كذلك: "لم أكن لأؤمن بالإنجيل لو لم تجبرني سلطة الكنيسة الكاثوليكية على ذلك". انظر المرجع

نفسه 320.

الفصل الخامس محمد: من متصوف إلى رجل عصابات

1. سورة البقرة الآية 79.

2. أرمسترونغ، ك.، الإسلام: تاريخ قصير (المكتبة الحديثة 2000)، 15.

3. عرّف فون هارناك الإسلام بأنه "تحول على الأراضي العربية لدين يهودي كان قد تحول بدوره بواسطة اليهودية المسيحية الغنوصية". أدولف فون هارناك، Dogmengeschichte *11.537*، مقتبس في كوربين، أتش .، التوقيت الدوري والغنوص الإسماعيلي (Kegan Paul International 1983)، 66.

4. سورة القرآن 4 الآيات 156-15.

5. كان الإلكاسيتيون غنوصيين يهود على غرار الإبيونيين. أصروا على الختان وحافظوا على السبت، لكنهم مارسوا أيضاً المعمودية. ولد ماني، أحد أشهر الغنوصيين على مر العصور، بين طائفة تتحدث اللغة الآرامية في بلاد ما بين النهرين عام 216 ميلادي. يشهد أحد آباء الكنيسة إبيفانيوس أن أتباع الألكسية كانوا لا يزالون موجودين في أرض الموآبيين والأنباط في القرن الخامس. لذلك، قبل قرن من ميلاد محمد، كان هناك مسيحيون يهود غنوصيون مزدهرون في أرض الأنباط، حيث ولد محمد.

6. أرمسترونغ، ك.، تاريخ الله (ألفريد أ. نوبف 1993)، 184. أرمسترونغ، ك.، الإسلام ، المرجع نفسه، 14.

7. بيليكان، ج. (محرر)، القرآن (مطبعة جامعة برينستون 1988.) الرابع عشر.

8. سورة 96 (سورة العلق)، ينبغي أن تكون في البداية.

9. روثفن، م.، الأصولية: البحث عن المعنى (مطبعة جامعة أكسفورد 2004)، 81.

10. الشيخ، أ.، الإيمان والخداع (ناشرو برنسباليتي 1996)، 65.

11. سورة 2 البقرة 2.

12. سورة 2 البقرة 1. لذا فإن الترجمات الإنجليزية للقرآن تترك العبارة التي لا يمكن ترجمتها دون ترجمة.

13. سورة 4 النساء 82.

14. انظر تعليقات مانجي حول هذا الموضوع في مانجي، آي، مشكلة الإسلام: دعوة للاستيقاظ من أجل الصدق والتغيير (دار سانت مارتن للنشر 2004)، 45.

15. سورة 16 النحل 101.

16.سورة 2 البقرة 106.

17.سورة 111 أبو لهب 1-5.

18.حديث صحيح بخاري المجلد. 4. جامع الترمذي، المجلد الثاني.

19.سورة 3 آل عمران 110.

20.سورة 43 الزخرف 1-4.

21. الحديث 5751 المشكاة المجلد 3.انظر الشيخ، أ.، الإسلام: الإمبريالية العربية (ناشرو برينسباليتي 1998)، 113.

22.المرجع نفسه، 94.

23.السورة 8 الأنفال 69.

24.الانفال 67.

25.سورة 33 الأحزاب 50.

26.الحديث 5500 المشكاة المجلد 3.

27. نتقدم بالشكر إلى بنيامين ليو، أستاذ اللغة الإسبانية في العصور الوسطى بجامعة كونيتيكت، على هذه المعلومة.

28.سورة 42: الشورى 13.

29.سورة 2 البقرة 121.

30.سورة 2 البقرة 256.

31.سورة 3 آل عمران 19.

32.سورة 48 الفتح 28.

33.الأنعام 30. البقرة 75.

34.سورة 22 الحج 28، وانظر سورة آل عمران 67.

35. الشيخ، أ.، الإيمان والخداع (ناشرو برنسباليتي 1996)، 138.

36.جامع الترمذي، المجلد الثاني. الشيخ، أ.، الإسلام ، المرجع نفسه، 1998)، 93-94.

37.سورة 4 النساء 51-53

38.سورة 2 البقرة 141-143.

39.البخاري 147 المجلد. 1.

40.سورة 9 التوبة 17.

41.سورة 8 الأنفال 55.

42.سورة 9 التوبة 29.

43.سورة 9 التوبة 123.

44.سورة 48 الفتح 29.

45.سورة 5 المائدة 57.

46.سورة 9 التوبة 23.

47.سورة 58 المجادلة 22.

48.سورة 8 الأنفال 65.

49.الحديث 4363.

50.الحديث 4366. انظر الشيخ أ، الإسلام ، المرجع نفسه، 140.

51.الحديث 4364. انظر المرجع نفسه، 96.

52.سورة 5 المائدة 33.

53. "يمكن للمرء الآن أن يرى أن المبدأ الأساسي للإسلام هو أن يظل المسلمون رحماء ببعضهم البعض وقساة على غير المسلمين. إنها عقيدة صراع اجتماعي حاد، ومع ذلك يدّعي محمد أنه سفير الرحمة للبشرية جمعاء!" الشيخ، أ.، الإيمان والخداع ، المرجع نفسه، 1996)، 96.

54.المرجع نفسه، 94.

55. علي، ت.، صراع الأصوليات: الحروب الصليبية والجهاد والحداثة (فيرسو 2002)، 163.

56.سورة 33 الأحزاب 36.

57.الشيخ، أ.، الإسلام ، المرجع نفسه، 72.

58.سورة 82 الانفطار 19.

59.سورة 3 آل عمران 77.

60.سورة 98 البينة 6.

61.سورة 4 النساء 56.

62.سورة 22 الحج 19-22.

63.سورة 14 إبراهيم 16-17.

64.سورة 8 الأنفال 24.

65.سورة 83 المطففين 20-25.

66.سورة 78 النباء 31-34.

67.حديث الترمذي، المجلد الثاني 35-40.

68.حديث المشكاة المجلد 3 83-97.

69.حديث الترمذي، المجلد الثاني 138. انظر الشيخ، أ.، الإيمان والخداع ، المرجع نفسه، 50.

70.الحديث 6390، انظر المرجع نفسه، 89.

71.الحديث 4621.

72.سورة 39 الزمر 36-37.

73.سورة 6 الانعام 125.

74. "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ." الحديث 6985.

75.الشيخ، أ.، الإسلام ، المرجع نفسه، 142-145.

76.سورة 33 الأحزاب 21.

77.مانجي، آي .، مشكلة الإسلام ، المرجع نفسه، 58.

الفصل السادس حلم الاستيقاظ

1. المرجع نفسه، 162.

2. علي، ت .، صراع الأصوليات ، المرجع نفسه، 324.

3. مقتطفات من كتابات ثيودوتوس 35. انظر فورستر، دبليو .، الغنوصية: مجموعة مختارة من النصوص الغنوصية (مطبعة كلارندون 1972)، 222-233.

4. أينشتاين، أ.، العالم كما أراه (المكتبة الفلسفية 1949)، 24-28.

5. كيرك ورافين، الفلاسفة ما قبل سقراط (مطبعة جامعة كامبريدج 1957)، 168. في فيدروس 243، يلمح أفلاطون إلى أن عمى هوميروس كان عقابًا على بدعته في اختلاق مثل هذه الأساطير.

6. كيرك ورافين، الفلاسفة ما قبل سقراط ، المرجع نفسه، 168-169.

7. المرجع نفسه، 179.

8. باجلز، إي .، آدم، حواء، والحية (راندوم هاوس 1988)، 124.

9. انظر فريك وغاندي، الهرمسية (بياتكوس بوكس 1997)، 12.

10. معلوف، أ.، الحملات الصليبية من خلال العيون العربية (كتب الساقي 1984)، 54.

11. أرمسترونغ، ك.، الإسلام ، المرجع نفسه، 47.

12. المرجع نفسه، 59.

13. المرجع نفسه، 88.

14. كوبرنيكوس، *Coelestium* De Revolutionibus Orbium، يقتبس Aetius III 13، 1-3، نظرية مركزية الشمس لفيثاغورس فيلولاوس وهيراكليدس وإكفانتوس. انظر غوثري WKC، تاريخ الفلسفة اليونانية (مطبعة جامعة كامبريدج 1962)، 327.

15. يشوع 12-13.

16. كارل يونغ، الأعمال المجمعة 2.148.

17. رسالة القيامة مخطوطات نجع حمادي . روبنسون، ج. م.، مكتبة نجع حمادي ، المرجع نفسه، 54.

18. ثيودوتوس، مقتطفات من ثيودوتوس، 57. انظر فورستر، دبليو.، الغنوصية ، المرجع نفسه، 222-233.

قراءة إضافية مقترحة

اليهودية

ديفيز، ب. ر.، البحث عن "إسرائيل القديمة" (مطبعة شيفيلد الأكاديمية 1992)

فينكلشتاين، آي، سيلبرمان، إن إيه، الكتاب المقدس المكتشف: رؤية علم الآثار الجديدة وأصل نصوصها المقدسة (الصحافة الحرة 2001).

ستورجيس، م.، ليس بالضرورة: التحقيق في حقيقة الماضي التوراتي ، العنوان الرئيسي، 2001

طومسون، ت. ل.، التاريخ المبكر لشعب إسرائيل: من المصادر المكتوبة والأثرية ، بريل، 1992

الكتاب المقدس في التاريخ: كيف يصنع الكتاب الماضي ، بيمليكو، 1999 المسيحية

دوهرتي، إي.، لغز يسوع: هل بدأت المسيحية بمسيح

أسطوري ، المطبعة الإنسانية الكندية، 1999

فريك، ت.، وغاندي، ب.، أسرار يسوع: هل كان يسوع الأصلي إلهاً وثنياً ؟ ، هارموني بوكس، 1999

يسوع والإلهة: التعاليم السرية للمسيحيين الأصليين، كتب هرمني، *2001*

برايس، ر. م.، ابن الإنسان المتقلص المذهل: ما مدى موثوقية تقليد الإنجيل ؟ ، كتب بروميثيوس، 2003

روبنسون، ج. م.،مكتبة نجع حمادي، هاربر سان فرانسيسكو، 1978

ويلز، جي أي، هل يسوع موجود ؟ ، بروميثيوس، 1986 أسطورة يسوع ، المحكمة المفتوحة، 1996

أسطورة يسوع ، المحكمة المفتوحة، 1999

الإسلام

أرمسترونغ، ك.، الإسلام: تاريخ قصير ، المكتبة الحديثة، 2000

مانجي، آي.، مشكلة الإسلام: دعوة للاستيقاظ من أجل الصدق والتغيير ، دار النشر الرئيسية، 2004

الشيخ، أ.، الإيمان والخداع ، ناشرو برنسباليتي، صندوق بريد 918، كارديف، المملكة المتحدة 1996، CF5 2N.

الإسلام: الإمبريالية العربية ، ناشرو برينسبالي، صندوق بريد 918، كارديف، المملكة المتحدة CF5 2N، 1998.

العلماء الغنوصيين

ويلبر، ك. (محرر.)، أسئلة الكم: الكتابات الغامضة لعلماء الفيزياء العظماء في العالم ، شامبالا، 1984

كتب أخرى لتيم فريك وبيتر غاندي

تجربة الأسرار – نهج ثوري للاستيقاظ الروحي

كم هو مدة الآن؟ – رحلة إلى التنوير... وما وراءه

العيش بوعي – كتاب يمكنك قراءته في ساعة واحدة سيغير حياتك رأسًا على عقب

أسرار يسوع – هل كان يسوع "الأصلي" إلهاً وثنياً؟

يسوع والإلهة المفقودة – التعاليم السرية للمسيحيين الأصليين

إنجيل المجيء الثاني – يسوع عاد ... وهذه المرة هو مضحك!

الهرمسية - الحكمة المفقودة للفراعنة كتاب تاو تي تشينغ لـ لاو تزو

قلب الإسلام

في ضوء الموت – رؤى روحية تساعدك على التعايش مع الموت والفقد

الزن ببساطة – مقدمة إلى أساسيات فن الزن القديم، حكمة الرومي – تعاليم يومية من المعلم الصوفي العظيم

حكمة الزن – تعاليم يومية من أساتذة الزن، حكمة الطاوية – تعاليم يومية من حكماء الطاوية، السماء – دليل إلى العوالم العليا

الاستيقاظ مع تي! إم. فريك

عندما نعيش حالة اليقظة الروحية، نجد أنفسنا منغمسين في سر الوجود المذهل؛ هناك شعورٌ بالرهبة والوحدة مع الكون وتجربةٌ نشوةٌ من الحب اللامحدود؛ ينبض الجسد الحسي بالحياة وتصبح الحياة رائعة!

إذا كنت ترغب في تجربة هذا التحول في الوعي بنفسك، فأنا أستطيع المساعدة. لقد كرست حياتي لاستكشاف الروحانية العالمية، ويمكنني أن أرشدك إلى تجربة مباشرة لحالة اليقظة.

تيم فريك

يقدم تيم فريك خلوات تغير الحياة، وندوات تجريبية، وأمسيات ترفيهية حول "فلسفة الستاند أب" في جميع أنحاء العالم وعبر الإنترنت. للمزيد من المعلومات، تفضل بزيارة www.timfreke.com